المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الأول

نسخة رينولد نيكلسون

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كِتابُ المثنوي، وهُوَ أُصولُ أُصولِ أُصولِ الدِّين، في كَشْفِ أسرارِ الوصولِ واليقين، وهُوَ فِقْهُ اللهِ الأكبَرُ، وشَرْعُ اللهِ الأزْهَرُ، وبُرهانُ اللهِ الأظْهَرُ، مَثَلُ نورِهِ كمِشْكاةٍ فيها مِصْباح، يُشْرِقُ إشراقاً أنوَرَ مِنَ الإصباح، وهُوَ جِنانُ الجَنانِ، ذو العُيونِ والأغصانِ، مِنْها عَينٌ تُسَمَّى عِنْدَ أبناءِ هذا السَّبيلِ سَلْسَبيلاً، وعِنْدَ أصحابِ المقاماتِ والكراماتِ خَيْرٌ مَقاماً وأحْسَنُ مقيلاً؛ الأبرارُ فيهِ يأكلونَ ويَشربون، والأحرارُ مِنْهُ يَفرحونَ ويَطربون، وهُوَ كَنيلِ مِصْرَ شرابٌ للصَّابرين، وَحَسْرَةٌ على آلِ فِرْعَونَ والكافِرين، كما قالَ تعالى يُضِلُّ بِهِ كثيراً ويهدي بِهِ كثيراً، وإنَّهُ شِفاءُ الصُّدورِ، وجَلاءُ الأحزانِ، وكشَّافُ القُرآنِ، وَسَعَةُ الأرزاقِ، وتَطييبُ الأخلاقِ، بِأيدي سَفَرَةٍ، كِرامٍ بَرَرَةٍ، يمنعونَ بأنْ لا يمَسَّهُ إلَّا المُطَهَّرون، تنزيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمين، لا يأتيهِ الباطِلُ مِنْ بينِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ، واللهُ يَرْصُدُهُ ويرقُبُهُ، وهُوَ خَيْرٌ حافِظاً وهُوَ أرْحَمُ الرَّاحمين، ولهُ ألقابٌ أُخَرُ لقَّبَهُ اللهُ تعالى، واقتَصَرْنا على هذا القليل، والقَليلُ يَدُلُّ على الكثير، والجُرْعَةُ تَدُلُّ على الغَدير، والحَفْنَةُ تَدُلُّ على البَيْدَرِ الكبير. يقولُ العَبْدُ الضَّعيفُ المُحتاجُ إلى رَحْمَةِ اللهِ تعالى، مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ الحُسَينِ البَلْخِيُّ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ، اِجْتَهَدْتُ في تَطويلِ المَنظومِ المَثنويِّ المُشْتَمِلِ على الغرائِبِ والنَّوادِرِ، وغُرَرِ المقالات، ودُرَرِ الدِّلالات، وطريقَةِ الزُّهَّادِ، وحديقَةِ العُبَّادِ، قصيرَةِ المباني، كثيرَةِ المعاني، لاسْتِدْعاءِ سَيِّدي وسَنَدي، ومُعْتَمَدي، ومَكانِ الرُّوحِ مِنْ جَسَدي، وذَخيرَةِ يومي وغَدي، وهُوَ الشَّيْخُ قُدْوَةُ العارِفين، إمامُ الهُدى واليقين، مُغيثُ الورى، أمينُ القُلوبِ والنُّهى، وديعَةُ اللهِ بينَ خَليقَتِه، وَصَفْوَتُهُ في بَرِيَّتِه، وَوَصاياهُ لِنَبِيِّه، وخَباياهُ عِنْدَ صَفِيِّه، مِفتاحُ خزائِنِ العَرْشِ، أمِيْنُ

كُنوزِ الفَرْشِ، أبو الفَضَائلِ حُسامُ الحَقِّ والدِّين، حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ حَسَنٍ، المَعْروفُ بابْنِ أخى تُرْكْ، أبو يزيد الوَقْت، جُنَيْدُ الزَّمان، صِدِّيقٌ اِبْنُ صِدِّيْقٍ اِبْنُ صِدِّيق، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُم، الأَرْمَوِيُّ الأصْلِ، المُنْتَسِبُ إلى الشَّيْخِ المُكَرَّمِ، بِما قالَ أَمْسَيْتُ كُرْدِيَّاً وَأَصْبَحْتُ عَرَبِيَّاً، قَدَّسَ اللهُ روحَهُ وأرواحَ أخلافِهِ، فنِعْمَ السَّلَفُ وَنِعْمَ الخَلَفُ؛ لَهُ نَسَبٌ أَلْقَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ رِداءَها، وَحَسَبٌ أرْخَتِ النُّجومُ لَدَيْهِ أَضواءَها، لَمْ يَزَلْ فِناءُهُمْ قِبْلَةَ الإقبال، يَتَوَجَّهُ إليها بنو الوُلاة، وَكَعْبَةَ الآمال، يطوفُ بِها وُفودُ العُفاة، ولا زالَ كذلِكَ ما طَلَعَ نَجْمٌ وذَرَّ شارِقٌ، لِيكونَ مُعْتَصَماً لأولي البَصائرِ الرَّبَّانِيّين الرُّوحانِيّينَ السَّمائيّينَ العَرْشِيّينَ النُّورِيّينَ، السُّكَّتِ النُّظَّارِ، الغُيَّبِ الحُضَّارِ، المُلوكِ تَحْتَ الأطمارِ، أشرافِ القبائلِ، أصحابِ الفَضائلِ، أنوارِ الدَّلائلِ، آمينَ يا رَبَّ العالَمين. وهذا دُعاءٌ لا يُرَدُّ، فإنَّهُ دُعاءٌ لأصنافِ البَرِيَّةِ شامِلٌ. والحَمْدُ للهِ وحْدَهُ، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَعِتْرَتِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرين، وحَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

استمِعْ للنَّاي تشكو باحتِراقْ وهي تروي ما جرى عَهْدَ الفِراقْ
كُلُّ شَخْصٍ مُذْ جَفوني، مِنْ بُكا، مِنْ رِجالٍ أو نِساءٍ، لي بكى
قِطَعاً قطَّعْتُ قلبي في الفِراقْ أبتغي شَرْحَ عذابِ الاشتياقْ
كُلُّ شَخْصٍ قد نأى عَنْ أصْلِهِ طالِبٌ يرجو زمانَ وَصْلِهِ
كُلُّ جَمْعٍ كانَ لي فيهِ أنينْ صِرْتُ إلفاً لِسعيدٍ وحزينْ
كُلُّ شَخْصٍ بالولا لي قائلُ وعَنِ الأسرارِ ضِمني غافِلُ
ليسَ سرِّي مِنْ نَحيبي بِمَستور، لكِنَّ العَيْنَ والأُذُنَ ما لهُما ذلِكَ النُّور؛
البَدَنُ والرُّوحُ ليسَ بينَهُما سُتُور، لكِنْ ما لِشَخْصٍ بِرؤيَةِ الرُّوحِ دَستور؛
صَوتُ النَّايِ هذا لهيبٌ وليسَ ريحاً، كُلُّ مَنْ لا يملكُ ذاكَ اللَّهيبَ كانَ عَدَماً؛
نارُ العِشْقِ تِلكَ الَّتي أَخَذَتْ بالنَّاي، غليانُ العِشْقِ ذاكَ الَّذي وَقَعَ في الخَمْر؛
النَّايُ حريفُ مَنْ فَصَلوهُ عَنْ الأليفِ، أنغامُها أستارَنا مَزَّقَتْ؛
كالنَّاي، سُمَّاً وتِرياقاً، مَنْ رأى، كالنَّاي، إلْفاً ومُشتاقاً، مَنْ رأى؛
النَّاي تملأُ حديثَ النَّغَمِ دَماً، النَّايُ تروي قِصَصَ عِشْقِ المجنون؛
مُحرِمُ هذا الوعي ليسَ غيرَ مَنْ هُوَ بلا وعي، لا يشتري اللِّسانَ غيرُ الأُذُن؛
في غمِّنا الأيَّامُ بلا مكانٍ ولا زمانٍ، أيَّامُنا قرينَةُ النِّيران؛
الأيَّامُ إنْ ذَهَبَتْ قُلْ لها اذهبي لا خوفَ، اِبقَ أنتَ، أي مَنْ لا طَاهِرَ مِثْلُكَ؛
كُلُّ ما عدا السَّمَكِ ارتوى مِنَ الماء، كُلُّ مَنْ بلا قُوتٍ يومُهُ طويلٌ؛
لنْ يجِدَ حالَ النَّاضِجِ أيُّ خام، فاختِصارُ الكلامِ واجِبٌ والسَّلام؛
قطِّعِ القَيْدَ، كُنْ حُرَّاً أي وَلَد، كم تظَلُّ عَبدَ فِضَّةٍ وعبدَ ذَهَب؛
لو سَكَبْتَ هذا البَحْرَ في كوز، مهما جَمَعْتَ نصيبُكَ بُلْغَتُكَ؛

كوزُ عينِ الحريصينَ لا يمتلئُ، لولا قناعَةُ الصَّدَفِ ما امتلأ بالدُّرّ؛

كُلُّ مَنْ مَزَّقَ الثَّوبَ عِشْقاً مِزَقاً، صارَ طاهِراً مِنَ الحِرْصِ والعَيبِ كُلِّيَّاً؛

أسْعِدْ أيُّها العِشْقُ الجميلُ فؤادَنا، أي طبيبَ جُمْلَةِ أمراضِنا؛

أي دواءَ نخوَتِنا وناموسَنا، أي أفلاطونَنَا وجالينوسَنا؛

جِسْمُ التُّرابِ مِنَ العِشْقِ بَلَغَ الأفلاكَ، جاءَهُ الجَبَلُ راقِصاً فَعَلا؛

العِشْقُ روحُ *الطُّورُ جاءَ عاشِقاً*، الطُّورُ سكرانُ *وخَرَّ موسى صَعِقاً*؛

لو كُنْتَ لِشَفَتِكَ الموافِقَةِ شفيعاً، كُنْتَ تقولُ الأحاديثَ كالنَّاي؛

كُلُّ مَنِ ابتَعَدَ عنْ أهْلِ لسانِهِ، بلا لِسانٍ ولو مَلَكَ مِئةَ صوت؛

إذا ذَهَبَ الوردُ وانتهى الرَّوضُ، لنْ تسْمَعَ مِنَ البُلْبُلِ قِصَّةَ حَياةٍ؛

المعشوقُ جُمْلَةٌ والعاشِقُ صَفْحَةٌ، المعشوقُ حيٌّ والعاشِقُ مَيْتٌ؛

مَنْ لا يكونُ العِشْقُ راعِياً لهُ، هوَ مِثْلَ طائرٍ لا جَناحَ لهُ، واهاً لهُ؛

أنا ما كُنْتُ لأعيَ الأمامَ والخَلْفَ، لو لمْ يكُنْ نورُ الحبيبِ مِنْ أمامي وخلفي؛

العِشْقُ أرادَ لِهذا الحديثِ أنْ يَخْرُجَ، لم تكُنْ هُناكَ مِنْ قَبْلُ مِرآةٌ عاكِسَةٌ؛

أتدري لماذا مِرآتُكَ غيرُ عاكِسَةٍ، لأنَّ وجْهَها لا يمتازُ عنِ الزِّنجار؛

اسمعوا يا رِفاقُ هذِهِ القِصَّةَ ، فتِلْكَ حقيقَةً نَقْدٌ لِحالِنا؛

حِكايةُ عِشْقِ المَلِكِ لِجاريَة وشراؤُهُ الجاريةِ ومرضُ الجارية وتدبيرُ صِحَّتِها

كانَ هُناكَ مَلِكٌ في زمانٍ مِثْلِ هذا، كانَ لهُ مُلْكُ دُنيا وأيضاً مُلْكُ دين؛

اِتِّفاقاً ركِبَ المَلِكُ للصَّيْدِ، وركِبَ مَعَهُ خاصَّةُ نَفْسِه؛

رأى الملِكُ جارِيَةً في الطَّريقِ، روحُ المَلِكِ صارَتْ غُلاماً لِتِلْكَ الجارِيَة؛

طائرُ روحِهِ راحَ يخْفِقُ في القَفَص، دَفَعَ المالَ واشترى تِلْكَ الجارِيَة؛

بَعْدَ أنْ اشتراها وصارَتْ عِنْدَهُ، الجاريَةُ مِنَ القَضاءِ مرِضَتْ؛
كانَ واحِدٌ يملِكُ حِماراً، وكانَ لا يقدِرُ على امتِطائه، امتَطاهُ ذِئبٌ واختَطَفَه؛
وكانَ مَعَهُ كوزٌ ولمْ يقَعْ في يَدِهِ ماءٌ، حينَ حَصَلَ على الماءِ انكَسَرَ الكوز؛
جَمَعَ الشَّاهُ الأطِبَّاءَ عنْ شِمالِهِ ويمينِهِ، قالَ إنَّ روحَ كلينا في يَدِكُمْ؛
روحي سَهْلَةٌ وهِيَ روحُ روحي، أنا المُعذَّبُ العاني وهيَ دوائي؛
كُلُّ مَنْ عَمِلَ العِلاجَ لروحي، عطاؤهُ مِنّي كَنْزٌ ودُرٌّ ومرجان؛
قالوا جميعاً لهُ، سنَبْذُلُ الوُسْعَ ونَجْمَعُ الفَهْمَ، وَنَتَشارَكُ في الأمْر؛
كُلٌّ مِنَّا مسيحُ عالَمِه، وكُلُّ أَلَمٍ بِكَفِّنا مرحومٌ؛
((إنْ شاءَ اللهُ)) ما قالوا مِنَ البَطَرْ، فأظْهَرَ اللهُ لهُمْ عَجْزَ البَشَر؛
تركُ الاستثناءِ قَسْوَةٌ وتعسيرٌ، ليسَ بالقَوْلِ وَحْدَهُ، فالقَولُ عارِضُ حال؛
رُبَّ مَنْ لمْ يورِدِ الاستثناءَ في القول، وكانت روحُهُ قرينَةً لروحِ الاستثناء؛
كلَّ ما عمِلوا مِنْ عِلاجٍ ومِنْ دواءٍ، صارَ زيادَةً للألَمِ، ولمْ تُقْضَ مِنْهُ حاجَةٌ؛
الجاريَةُ مِنَ المَرَضِ صارتْ شَعْرَةً، عينُ الشَّاهِ مِنْ دمْعِ الدَّمِ صارَتْ جَدْوَلاً؛
خَلُّ التِّينِ مِنَ القضاءِ زادَ الصَّفراء، زيتُ اللَّوزِ سَبَّبَ اليبوسَةَ؛
مِنَ الإهليلَجِ القَابِضِ حَصَلَ الإطلاق ، الماءُ صارَ مَدَداً للنَّارِ كأنَّهُ النَّفط؛

ظهورُ عجْزِ الحُكماءِ عَن مُعالَجَةِ الجارية، وتوجُّهُ الشَّاه إلى بابِ الله، ورؤيتُهُ وليّاً في النَّوم

الشَّاهُ إذْ ظَهَرَ عَجْزُ أولئكَ الحُكَماء، سارَ مُسرِعاً حافِيَ القَدَمِ إلى المَسْجِد؛
دَخَلَ المَسْجِدَ وسارَ نحوَ المِحراب، موضِعُ سجْدَتِهِ امتلأَ مِنَ الدَّمْعِ بالماء؛
حينَ عادَ إلى نَفْسِهِ مِنْ لُجَّةِ الفَنَاء، أطلَقَ عَذْبَ اللِّسانِ بالمَدْحِ والثَّناء؛
أنْ أي مَنْ أقلُّ عطائكَ مُلْكُ العالَم، أنا ما أقولُ وأنتَ تعلَمُ الخفيّ؛

أي مَلْجَأَنا في كُلِّ حاجَةٍ لنا، مَرَّةً أُخرى الطَّريق أخطأنا؛
لكِنَّكَ قُلْتَ رغْمَ أنّي أعلمُ سِرَّك، أبْدِهِ سريعاً ظاهِراً عليك؛
حينَ أخرَجَ الصُّراخَ مِنْ صميمِ الرُّوحِ، جاءَ بَحْرُ العطاء جيَّاشاً؛
وسَطَ البُكاءِ اختَطَفَهُ النَّوم، رأى في نومِهِ شَيخاً أقْبَلَ عليهِ بِوَجْهِه؛
قالَ أي شاهُ البِشارَةَ حاجاتُكَ تُقْضى، إذا أتاكَ غريبٌ مِنَّا غَداً؛
إذا أتاكَ حكيمٌ حاذِقٌ، صدِّقْهُ فهوَ أمينٌ وصادِق؛
سترى في علاجِهِ السِّحْرَ المُطْلَق، سترى في مِزاجِهِ قُدْرَةَ الحقّ؛
لَمَّا أتى وَقْتُ الوَعْدِ وانقضى اليومُ، وجاءَتِ الشَّمْسُ مِنَ الشَّرْقِ تحرِقُ الأنجُمَ؛
كانَ الشَّاهُ في مَنْظَرَةٍ مُنتَظِراً، ليرى ذلِكَ الَّذي أظهروهُ لهُ في السِّرّ؛
رأى شَخْصاً فاضِلاً عالِيَ القَدْر، شَمساً في وَسَطِ الظِّلّْ؛
مُقبِلاً كالهِلالِ مْنْ بعيدٍ، كانَ عَدَماً وكانَ وجوداً على شَكْلِ هلال؛
الخيالُ في الرُّوح شبيهٌ بالعَدَم، أنتَ فلتَرَ العالَمَ كالخيالِ الذَّاهِب؛
إنَّ صُلْحَهُمْ وحَرْبَهُمْ خيالٌ، إنَّ فَخْرَهُم وعارَهُم خيال؛
تلكَ الخيالاتُ الَّتي هِيَ شِباكُ الأولياء، صُوَرُ أقمارِ الوجوهِ في بُستانِ الله؛
ذاكَ الخيالُ الَّذي رآهُ الشَّاهُ في النَّوم، بدا ظاهِراً في وجهِ الضَّيف؛
تَقَدَّمَ الشَّاهُ نَفْسُهُ بَدَلَ الحُجَّاب، إلى أمامَ ضيفِ الغَيْبِ ذاكَ؛
بحرا عِلمٍ كلاهُما اختلطا، روحانِ دونما خياطَةٍ التَحَمَا؛
قالَ أنتَ كُنتَ معشوقي لا تِلكَ، لَكِنْ في العالَمِ يَطلَعُ الأمرُ مِنَ الأمر؛
أنتَ كالمُصطفى أنا كعُمَرْ، لأجْلِ خِدْمَتِكَ عَقَدْتُ الكَمَرْ؛

مِنَ اللهِ وليّ التَّوفيقِ، طَلَبُ التَّوفيقِ رِعايَةُ أدبٍ
في جميعِ الأحوالِ، وبيانُ وخامَةِ أضرارِ قِلَّةِ الأدب

مِنَ اللهِ نطلُبُ توفيقَ الأدَب، مَنْ هُوَ بلا أدبٍ محرومٌ مِنْ لُطْفِ الرَّبّ؛
فاقِدُ الأدَبِ ما أساءَ لِنَفْسِهِ وحَدَها، بلْ أشْعَلَ النَّارَ في جميعِ الآفاق؛
مائدَةٌ مِنَ السَّماءِ تصِلُ، بلا شِراءٍ وبيعٍ وبلا جِدال؛
وَسَطَ قومِ موسى بِضْعُ أشخاصٍ، بلا أَدَبٍ قالوا أينَ الفومُ والعَدَس؛
انقطعتِ المائدَةُ والخُبْزُ مِنَ السَّماء، بقيَ ألَمُ الزَّرْعِ والمعوَلِ والمَنجَل؛
مُجدَّداً عيسى قامَ بالشّفاعَةِ، والحقُّ أرسَلَ المائدَةَ والغنيمَةَ على طَبَق؛
وعادَ مَنْ هُم بلا حياءٍ وتركوا الأدب، وحَمَلَ الزَّلّاتِ المساكين؛
وَرَجاهُمْ عيسى قائلاً، هذا دائمٌ لا يقلُّ ولا ينقطِعُ عنِ الأرض؛
سوءُ الظَّنِّ والشَّكُّ والحِرْصُ، على مائدَةِ العظيمِ كُفْرٌ؛
لِأنَّ وجْهَ السَّائلِ لَمْ يَكُنْ ظاهِراً مِنَ الحِرْصِ، أُغلِقَ لَهُمْ ذلِكَ البابُ للرَّحْمَة؛
الغيمُ لا يستجيبُ مِنْ مَنْعِ الزَّكاة، مِنَ الزّنا يقعُ الوباءُ في كُلِّ الجِهات؛
وكُلُّ ما يأتيكَ مِنْ ظُلُماتٍ وغمّ، ذاكَ أيضاً مِنَ التَّهَوُّرِ والاجتراءِ؛
كُلُّ مَنْ يسيرُ مُتهوّراً في طريقِ الحبيب، قاطِعُ طريقِ الرّجالِ وجَبان؛
مِنَ الأدَبِ امتَلأَ بالنُّورِ هذا الفَلَك، مِنَ الأدَبِ جاءَ معصوماً وطاهِراً المَلَك؛
مِنَ التَّهوُّرِ كان الكُسوفُ للشَّمْسِ، مِنَ الجُرأةِ كانَ ردُّ البابِ لإبليس؛

مُلاقاةُ الملِكِ لِذلِكَ الوليّ الَّذي أظهروهُ لهُ في نومِه

فَتَحَ اليَدَ وأمسَكَ بِنِطاقِه، أخَذَهُ ما يُشبِهُ العِشْقَ في القَلْبِ والرُّوح؛
بَدَأَ بتقبيلِ يدِهِ وجَبْهَتِه، وأخَذَ بالسُّؤالِ عَنْ مَقامِهِ وسيرَتِه؛

قالَ أيْ نورَ الحقّ ودَفْعَ الحَرَجْ، أيْ معنى *الصَّبْرُ مفتاحُ الفَرَجِ*؛

أي مَنْ لِقاؤكَ جوابُ كُلِّ سؤال، المُشكِلُ بِكَ حُلَّ بلا قيلٍ وقال؛

تُرجمانُ كُلِّ ما لدينا في قلبِك، مُنقِذُ كُلِّ مَنْ قَدَمُهُ عَلِقَتْ بالطِّين؛

مرحباً يا مُجتبى يا مُرتَضى إنْ تَغِبْ جاءَ القَضا ضاقَ الفَضا

أنتَ مولى القومِ مَنْ لا يشتهي قد رأى كلَّا لئنْ لَمْ ينتَهِ

أخذُ الملِكِ ذلِكَ الطَّبيبَ للمريضةِ ليرى حالَها

عِنْدَ انتهاءِ ذلِكَ المَجْلِسِ ومائدَةِ الكَرَم، أمسَكَ بيدِهِ **و**أخَذَهُ إلى الحَرَم؛

قَصَّ عليهِ قِصَّةِ المريضَةِ والمَرَض، بَعْدَ ذلِكَ أقاموا المريضَةَ أمامه؛

لونَ الوَجْهِ والنَّبْضَ والقارورَةَ رأى، والعلاماتِ كذلِكَ وأيضاً الأسبابَ سَمِع؛

قالَ كُلُّ دواءٍ عمِلوهُ، لم تكُنْ مِنْهُ عمارَةٌ بل كانَ مِنْهُ خراب؛

باطِنَ الحالِ لها لا يخبرون *أستعيذُ اللهَ مِمّا يفترون*؛

رأى المَرَضَ وانكَشَفَ لهُ المَخفيُّ، لكِنَّهُ أخفاهُ ولمْ يقُلْهُ للسُّلطان؛

مَرَضُها لم يكُنْ مِنَ الصَّفراءِ ولا السَّوداء، رائحَةُ كُلِّ حَطَبٍ تَظْهَرُ مِنْ دُخانِه؛

رأى مِنْ وَهَنِها أنَّهُ وَهَنُ القَلْب، بَدَنُها صحيحٌ وهِيَ عليلَةُ قلب؛

العِشْقُ ظاهِرٌ مِنْ وَهَنِ القَلْب، لا عِلَّةَ مِثْلَ عِلَّةِ القَلْب؛

عِلَّةُ العاشِقِ مُفارِقَةٌ للعِلَل، العِشْقُ اِصْطِرلابُ أسرارِ الله؛

العِشْقُ سواءً كانَ مِنْ هذا الرَّأسِ أمْ مِنْ ذاك، العاقِبَةُ تقودُنا إلى ذلِكَ الرَّئيس؛

كُلَّما قُلْتُ عَنِ العِشْقِ مِنْ شرْحٍ وبيان، حينَ وَصَلْتُ للعِشْقِ خجلْتُ مِنه؛

تفسيرُ اللّسانِ رغمَ أنَّهُ أوضَحُ، إلَّا أنَّ العِشْقَ بلا لِسانٍ أوضَحُ؛

القَلَمُ المُسرِعُ في الكِتابَةِ، حينَ يصِلُ إلى أمْرِ العِشْقِ مِنْ نَفسِهِ ينكسِر؛

العَقْلُ في شَرْحِهِ كالحِمارِ في الطِّين، شَرحَ عاشِقٍ وعِشْقٍ يقولُ العِشْقُ أيضاً؛

الشَّمْسُ جاءتْ دليلاً على الشَّمْس، إنْ كانَ يلزمُ الدَّليلُ، لا تَرْفَعْ الوجْهَ عنها؛

الظِّلُ وإنْ كانَ يُعطي علامَةً عليها، الشَّمْسُ كُلَّ لحظَةٍ تهبُ الرُّوحَ نوراً؛

الظِّلُّ يجلِبُ لكَ النَّومَ مِثْلَ السَّمَر، حينَ تطلَعُ شَمْسُ *انشَقَّ القَمَر*؛

لا غريبَ نَفْسٍ في العالَمِ مِثْلَ الشَّمْس، شمسُ الرُّوحِ باقيةٌ ليسَ لها أمس؛

الشَّمْسُ في الخارِجِ رَغْمَ أنَّها فَرْدٌ، تَصَوُّرُ مِثلِها مُمْكِنٌ كذلِكَ؛

شمْسُ الرُّوحِ الَّتي هِيَ خارِجَ الأثير، ليسَ لها في الذِّهْنِ وفي الخارِجِ نَظير؛

في التَّصوُّرِ لِذاتِها جوهَرٌ، جوهَرٌ لا يجيءُ في التَّصوُّرِ لهُ مِثْلٌ؛

حينَ وَصَلَ حديثُ وَجْهِ شَمْسِ الدِّينِ، شَمسُ السَّماءِ الرَّابِعَةِ تنحَّتْ جانِباً؛

صارَ واجِباً وقد وَرَدَ اِسْمُهُ، أنْ أقومَ بِشَرحِ رَمْزٍ مِنْ إنعامِه؛

إنَّ هذا النَّفَسَ حاكَ ثوباً لروحي، ريحَ قميصِ يوسُفَ وَجَدْتُ مِنهُ؛

لأجْلِ حقّ صُحْبَةِ السِّنين، أعِدْ ذِكْرَ حالٍ مِنْ تِلْكَ الأحوالِ الجميلَة؛

كي تَضحَكَ الأرْضُ والسَّماءُ، ويزدادَ العَقْلُ والرُّوحُ والنَّظَرُ مِئاتِ الأضعاف؛

لا تُكلِّفني فإنِّي في الفَنا كَلَّتْ أفهامي فلا أُحصي الثَّنا

كُلُّ شيءٍ قالَهُ غيرُ المُفيق إنْ تكَلَّفَ أو تَصَلَّفَ لا يليق

ما أقولُ ولا عِرْقَ مِنِّيَ واعٍ، في شرْحِ ذاكَ الحبيبِ الَّذي ليسَ كمِثلِهِ حبيب؛

شرحَ هذا الهِجرانِ وهذا الدَّمِ مِنَ الكَبِدِ، دَعْ هذا الزَّمانَ إلى وقتٍ آخَر؛

قالَ أطعِمني فإنِّي جائعُ واعتَجِلْ فالوقتُ سيفٌ قاطِعُ؛

الصُّوفيُّ ابنُ الوقتِ حقَّاً يا رفيق إنَّما ***اللَّاغَدُ*** مِنْ شَرْطِ الطَّريق؛

إذا كُنتَ رجُلاً صوفيَّاً، اشترِ نَقْداً فالنَّسيئةُ لا شيء؛

قُلتُ لهُ: سِرُّ الحبيب مستوراً أجْمَل، اسعَ أنْ يكونَ ضِمْنَ حِكاية؛

مِنَ الأفضلِ أن يأتيَ سِرُّ الأحِبَّةِ، مقولاً في حديثِ الآخَرين؛

قالَ: قُلْ هذا مكشوفاً وعارِياً، ذِكْرُ الدِّينِ جَهْراً خيرٌ مِنْهُ سِتراً؛

اِرفَعِ الحِجابَ وقُلِ المَقالَ عارياً، فأنا لا أنامُ مَعَ الحسناءَ في الثَّوب؛
قُلتُ: إذا صارَ عُرياناً يصيرُ عياناً، لا يبقى داخِلَكَ ولا جِوارَكَ ولا بينهُما؛
أُطلُبِ المُرادَ لكِنْ اطلُبْ بِقَدَر، فالقَشَّةُ لا تحتَمِلُ الجَبَلَ؛
الشَّمْسُ الَّتي أضاءَتِ العالَمَ، لو كانَتْ أقرَبَ قليلاً أحرَقَتْ كُلَّ شيء؛
لا تطلُبِ الفِتنَةَ والهَرْجَ وإراقَةَ الدَّمّ، لا تقُلْ أكثَرَ مِنْ هذا عنْ شَمسِ تبريز؛
هذا لا آخِرَ لهُ عُدْ إلى البِدايَة، عُدْ لإتمامِ هذِهِ الحِكاية؛

طَلَبُ ذلِكَ الوليّ الخلوةَ مِنَ الشَّاه لِتَشخيصِ مَرَضِ الجارِية

قالَ أي شاه أخْلِ المَنزِلَ، أبعِدَ القريبَ والغريب؛
لا يَكُونَنَّ لِشَخْصٍ أُذُنٌ في الدَّهاليز، لأسألَ الجارِيَةَ عَنْ أشياء؛
بقيَ المنزِلُ خالياً بلا ديَّار، ليسَ إلَّا الطبيبُ والمريضةُ في الدَّار؛
قالَ لها مُستَدْرِجاً بِلُطْفٍ أينَ مدينَتُك، فعلاجُ أهْلِ كُلِّ مدينَةٍ مُختَلِف؛
ومَنْ لكِ في تِلْكَ المدينَةِ مِنْ قرابَةٍ، وما قرابَتُهُمْ لكِ وارتِباطُهُم بِكِ؛
وَضَعَ اليَدَ على نَبْضِها وعادَ يسألُ عمّا أصابَها مِنْ جَورِ الفَلَكِ واحِداً واحِداً؛
إذا دَخَلَتْ شوكَةٌ في قَدَمِ شَخْصٍ، فإنَّهُ يَضَعُ القَدَمَ على رُكبَتِه؛
يبحثُ مِنْ تلكَ الشَّوكَةِ عن رأسِها، فإنْ لمْ يجِدْها رَطَّبَها مِنْ شِفَتِه؛
الشَّوكَةُ في القَدَمِ تُسبِّبُ أيَّ ألَمٍ، الشَّوكَةُ في القَلْبِ كيفَ تكونُ بلا أثَر؛
الشَّوكَةَ في القلبِ لو رأى كُلُّ خسيسٍ، ما كانتِ الغمومُ تمُدُّ يَدَاً على شَخْصٍ؛
لو غَرَزَ شَخْصٌ تحتَ ذَنَبِ حِمارٍ شوكَةً، الحَمارُ لا يعرِفُ لها دَفْعاً فيقفِز؛
يقفِزُ ويجعَلُ تِلكَ الشَّوكَةَ أكثَرَ إحكاماً، فلا بُدَّ مِنْ عاقِلٍ لينتزِعَ الشَّوكَة؛
الحِمارُ لِدَفْعِ الشَّوكَةِ مِنَ الوجَعِ والألَم، يلبِطُ بقوائمِهِ ويجرَحُ مئةَ مكان؛
ذاكَ الحكيمُ مُستَخْرِجُ الشَّوكِ كانَ أُستاذاً، وَضَعَ اليَدَ يفحَصُ مكاناً مكاناً؛

مِنْ تلكَ الجارِيَةِ على سبيلِ الحِكايَة، عادَ يسألُ عن حالِ أصحابِها؛
جَعَلَتْ تُفشي قِصَصَها للحكيم، عن مُقامِها وأسيادِها ومَدِينَتِها؛
كانَتْ أُذُنُهُ على قِصَّةِ حديثِها، مُنتَبِهاً لِنَبْضِها وجَسِّه؛
ليرى أيَّ اسمٍ يرفَعُ نبضَها، فيكونَ مقصودَ روحِها في العالَم؛
عَدَّتْ لهُ رِفاقَها في مدينَتِها، ثُمَّ بعدَ ذلِكَ ذَكَرَتْ اِسْمَ مدينَةٍ أُخرى؛
قالَ بعدَ أنْ خَرَجْتِ مِنْ مدينَتِكِ، في أيَّةِ مدينَةٍ مَكَثْتِ أكثَر؛
ذَكَرَتْ اسمَ مدينَةٍ وانتَقَلَتْ عنهُ، لا لونُ وَجْهِها تغيَّرَ ولا نبضُها؛
عنِ الأسيادِ والمُدُنِ واحِدةً واحِدةً، تحدَّثَتْ مُجدَّداً عنِ المكانِ والخُبْزِ والمِلْح؛
عن مدينَةٍ مدينَةٍ وبيتٍ بيتٍ قصَّتِ القِصَّة، ما قَفَزَ لها عِرقٌ ولا شَحُبَ وجه؛
نبضُها ظلَّ على حالِهِ بلا اختلال، حتَّى سألَ عن سَمَرقَنْد وسُكَّرِ نباتِها؛
قَفَزَ النَّبْضُ واحمَرَّ الوجهُ واصفَرَّ، فقد فارَقَتْ سَمَرقَنْديّاً صائغاً؛
حينَ وَجَدَ الحكيمُ هذا السِّرَّ مِنَ المريضَةِ، وَجَدَ مُجدَّداً أصلَ المَرَضِ والبلاء؛
قالَ في أيِّ حيٍّ يعيشُ وفي أيِّ شارِعٍ، قالت رأسَ الجِسْرِ، في حَيِّ غاتقَرْ؛
قالَ قد علِمْتُ ما هوَ مَرَضُكِ سريعاً، في خلاصِكِ أُريدُ إظهارَ فنونِ السِّحْر؛
اِسعَدي ولا تهتَمّي وكوني في أمانٍ،سأفعَلُ مَعَكِ ما يفعَلُ المَطَرُ مَعَ الرَّوض؛
أنا حامِلُ غَمِّكِ لا تغتمِّي، أنا مُشفِقٌ عليكِ أكثَرَ مِنْ مِئَةِ أب؛
إيَّاكِ إيَّاكِ أن تقولي هذا السِّرَّ لِشَخْصٍ، حتَّى ولو تحرَّى عنهُ عِندَكِ الشَّاه؛
إذا كانَتْ أسرارُكِ في القلبِ مخفيَّةً، مُرادُكِ ذاكَ يحصَلُ أسرع؛
قالَ النَّبيُّ كُلُّ مَنْ أخفى السِّرَّ، نالَ مُرادَ نَفْسِه سريعاً؛
الحبَّةُ حينَ تُخفى تحتَ التُّراب، سِرُّها يستَحيلُ خُضْرَةً في البُستان؛
الذَّهَبُ والفِضَّةُ لو لم يكونا مُخبَّأين، ما بقيا محفوظَينِ في المَنْجَم؛
وُعُودُ وألطافُ ذاكَ الحكيم، جَعَلَتِ المريضَةَ آمِنَةً مِنَ الخوف؛

الوعودُ الحقيقيَّةُ تلقى قبولَ القلب، الوعودُ المجازيَّةُ تَعَبٌ وعناء؛
وَعْدُ أهلِ الكَرَمِ كنزٌ للرُّوح ، وعدُ اللّئيمِ ألَمٌ للرُّوح؛

تشخيص ذلِكَ الوليِّ المَرَض، وعرضُ مَرَضِها على الشّاه

بعدَ ذلِكَ نَهَضَ قاصِداً الشَّاه، عرَّفَ الشَّاهَ شُمَّةً مِنْ ذلِك؛
قالَ تدبيرُ ذاكَ في ذلِكَ الرَّجُل، أنْ نُحْضِرَهُ مِنْ أجلِ هذا المَرَض؛
اِستَدْعِ الرَّجُلَ الصَّائغَ مِنْ ذلِكَ البَلَدِ البعيد، غُرَّهُ بالذَّهَبِ والخلعَةِ تُعطيهما لَهُ؛

إرسالُ الشّاه الرُّسُلَ إلى سَمَرقَند لِجَلْبِ الصَّائغ

أرسَلَ الشَّاهُ إلى ذلِكَ الطَّرَفِ رسولاً فرسولَين، حاذِقَينِ كامِلَينِ ثُمَّ عادِلَين؛
وَصَلَ ذانِكَ الأميرانِ إلى سَمَرْقَنْد، إلى أمام ذلِكَ الصَّائغِ مِنَ الشَّاهِ بشيرَين؛
أنْ أيُّها الأستاذُ اللَّطيفُ كامِلُ المَعْرِفَة، الفاشيَةُ في المُدُنِ كُلِّها صِفَتُك؛
الشَّاهُ فُلانُ مِنْ أجلِ صياغَةِ الذَّهَبِ، اختارَكَ لأنَّكَ أنتَ الأفضَل؛
هذِهِ خلعَةٌ وذَهَبٌ وفِضَّةٌ فخُذها، وحينَ تأتي ستكونُ مِنْ خاصَّتِهِ ونُدمائِه؛
رأى الرَّجُلُ المالَ الكثيرَ والخِلْعَةَ، فغرَّهُ ذلِكَ وأخَذَهُ مِنْ بَلَدِهِ ووَلَدِه؛
أقْبَلَ الرَّجُلُ مُسرِعاً في الطَّريقِ، جاهِلاً أنَّ ذلِكَ الشّاهَ يقصِدُ روحَه؛
امتطى حِصاناً عَرَبيَّاً وجَدَّ مسروراً، ليَدْفَعَ دَمَهُ ثَمَناً لِتِلكَ الخلعَةِ؛
أي ذاهَباً في السَّفَرِ بِمِئَةِ رضاء، مِنْ نَفْسِهِ بِقَدَمِهِ إلى سوءِ القَضاء؛
في خيالِهِ مُلْكٌ وعِزٌّ وجاه، وعزرائيلُ يقولُ أقبِلْ بِوَجْهِك؛
حينَ وَصَلَ مِنَ السَّفَرِ ذلِكَ الرَّجُلُ الغريب، أدخَلَهُ إلى أمامِ الشَّاه الطَّبيب؛
أخذوهُ إلى أمامِ الشَّاه بِإجلالٍ، لكي يحتَرِقَ على طرازِ الشَّمْع؛
رآهُ الشَّاه فعظَّمَهُ كثيراً، وقامَ بتسليمِهِ مخزَنَ الذَّهَبِ؛

ثُمَّ قالَ لهُ الحكيمُ أي سُلطاناً كالقَمَر، أعْطِ تِلْكَ الجارِيَةَ لِهذا السَّيّدِ؛
ليحسُنَ حالُ الجاريةِ بوِصالِه، ويكونَ ماءُ وصلِهِ دَفْعاً لِتِلكَ النَّار؛
الشَّاهُ أعطاهُ ذاتَ وَجْهِ القَمَر، وعَقَدَ القِرانَ بينَ طالِبَي الصُّحْبَة؛
مُدَّةَ سِتَّةِ شهورٍ يقضيانِ الأوطارَ، حتَّى عادَت البنتُ إلى تمامِ الصِّحَّة؛
بعدَ ذلِكَ أعَدَّ لهُ شُرْبَةً، يشرَبُها ليذوبَ أمامَ البنت؛
حينَ مِنَ المَرَضِ لمْ يبقَ لهُ جمال، روحُ الفتاةِ لم تبقَ منهُ في وبال؛
حينَ صارَ قبيحاً لا يسُرُّ وشاحِبَ الوجْهِ، برُدَ قليلاً قليلاً في قَلْبِها؛
العِشْقُ الَّذي يكونُ لأجلِ اللَّونِ، ليسَ عِشْقاً وعاقِبَتُهُ العار؛
ليتَ أنَّ ذلِكَ العارَ كانَ حالاً، كي لا يحِلَّ بِهِ سوءُ القضاء؛
جرى الدَّمْعُ مِنَ العينِ كالجَدوَل، وجهُهُ جاءَ عدوّاً لِروحِه؛
عدوَّ الطَّاووسِ كانَ ريشُه، أي كم مِنْ مليكٍ قتَلَهُ حُسنُه؛
قالَ أنا ذلِكَ الغزالُ الَّذي مِنْ سُرَّتي، أراقَ هذا الصَّيَّادُ صافيَ دمي؛
أي أنا ثعلَبُ الصَّحراءِ ذاكَ الَّذي كَمَنوا لهُ، قَطَعوا الرَّأسَ مِنْهُ مِنْ أجْلِ جِلْدِه؛
أنا ذلِكَ الفيلُ الَّذي طَعْنَةُ الفَيَّال، أراقَتْ دمي لأجْلِ سِنِّي؛
ذاكَ الَّذي قتلني لأجْلِ الأقَلَّ مِنِّي، لا يعلَمُ أنَّ دمي لا ينام؛
هذا اليومُ لي ولهُ الغَدُ، متى يكونُ ضائعاً دمُ شَخْصٍ مثلي؛
الجِدارُ إذا ألقى طويلاً الظِلَّ، ذاكَ الظِّلُّ يرجِعُ إليهِ عائداً؛
العالَمُ جَبَلٌ وفِعْلُنا نِداءٌ، نداؤنا يَرُدُّه إلينا الصَّدى؛
قالَ هذا وماتَ وصارَ تحتَ التُّراب، الجاريَةُ صارتْ نقيَّةً مِنَ العِشْقِ والألَم؛
ذاكَ لأنَّ عِشْقَ الموتى غيرُ خالِدٍ، ذاكَ لأنَّ الميّتَ لا يرجِعُ إلينا؛
العِشْقُ حيٌّ في الرُّوحِ وفي البَصَر، كُلَّ لحظَةٍ يتفتَّحُ منهُ بُرعُمٌ جديد؛
العِشْقُ ذلِكَ الحَيُّ المُختارُ الَّذي هُوَ باقٍ، مِنْ شرابٍ واهِبٍ للحياةِ مِنْ ساقٍ؛

ذلِكَ العِشْقَ فاختَرْ فجُمْلَةُ الأنبياء، وجدوا مِنْ عِشْقِهِ شُغلاً وسيّداً حاكماً؛
أنتَ لا تقُلْ ليسَ لنا إجازَةٌ لهذا الشّاه، فالمُعاملاتُ مَعَ الكِرامِ ليستْ عسيرةً؛

بيان أنَّ قتلَ الرَّجُلِ الصَّائغِ وإعطاءَهُ السُّمَّ كانَ عن إشارَةٍ إلهيَّةٍ ولم يكُنْ عن هوى نَفْسٍ وتأمُّلٍ فاسِدٍ

قتْلُ ذلِكَ الرَّجُلِ على يدِ ذاكَ الحكيم، لم يكُنْ لِرجاءٍ ولم يكُنْ مِنْ خوفٍ؛
هوَ لمْ يقتُلْهُ مِنْ أجْلِ طَبْعِ شاه، لكِنْ أتى أمْرُ وإلهامُ الإله؛
قَتْلُ الخِضْرِ ذاكَ الغُلامَ بِقَطْعِ الحَلْق، ما أدْرَكَ سِرَّهُ أحَدٌ مِنْ عامَّةِ الخَلْق؛
ذاكَ الَّذي مِنَ الحَقِّ وَجَدَ الوحيَ والخَطاب، كُلُّ ما أمَرَ بِهِ كانَ عينَ الصَّواب؛
ذاكَ الَّذي وَهَبَ الرُّوحَ إذا قَتَلَ حقَّ لَه، إنَّهُ نائبٌ ويدُهُ يدُ الله؛
فمُدَّ أمامَهُ الرَّأسَ مِثْلَ اسماعيلَ، وأسلِمْ الرُّوحَ لِسيفِهِ مُستبشِراً ضاحِكاً؛
لِتبقى روحُكَ ضاحِكَةً إلى الأبَد، كالرُّوحِ الضَّاحِكَةِ لأحمَدَ مَعَ الأحَد؛
العاشِقونَ حينَذاكَ جامَ الفَرَحِ رَفَعوا، وقد قُتِلوا على يدِ أحبابِ أنفُسِهِم؛
الشّاهُ لمْ يُرِقْ ذاكَ الدَّمَ طَلَباً للشَّهْوَة، فدَعْ عنكَ سوءَ الظَّنِّ لا تكُنْ حامِلِه؛
فقد ظَنَنْتَ أنَّهُ صارَ مُلوَّثاً، المِصْفاةُ لا تترُكُ غِشّاً في التَّصْفِيَة؛
مِنْ أجْلِ ذاكَ هذي الرِّياضَةُ وهذا الجفاءُ، لِتُخْرِجَ النَّارُ الشَّوائبَ مَنَ الذَّهَب؛
مِنْ أجْلِ ذاكَ الامتِحانُ بالخَيرِ والشَّرّ، لينفَصِلَ بالغلَيانِ الزَّبَدُ عنِ الذَّهَب؛
لو لمْ يكُنْ عَمَلُهُ إلهامَ إله، كانَ كَلباً عقوراً بَدَلَ شاه؛
كانَ طاهِراً مِنَ الشُّهْرَةِ والحِرْصِ والهوى، وعَمِلَ خَيراً ظَهَرَ بِمَظْهَرِ شرّ؛
الخِضْرُ إنْ خَرَقَ السَّفينَةَ في البَحْرِ، إنَّ مِئةَ صوابٍ بِخَرْقِ الخِضْرِ السّفينة؛
حتّى موسى بكُلِّ نورِهِ وفَضْلِهِ، كانَ محجوباً عن ذلِك أنتَ لا تطيرُ بلا جناح؛
ذاكَ وَرْدٌ أحْمَرٌ فلا تُسَمِّهِ دَماً، هُوَ سَكْرانُ عقلٍ، لا تُسَمِّهِ مجنوناً؛

لو كانَ مطلَبُهُ دَمَ المُسلِمينَ، أكونُ كافِراً لو حَمَلْتُ اسمَه؛
يهتَزُّ العَرْشُ مِنْ مَدْحِ الشَّقي، يصيرُ مُغرِضاً مِنْ مدحِهِ المُتَّقي؛
كانَ ملِكاً وكانَ ذا بصيرَةٍ كبيرةٍ، كانَ خاصّاً وكانَ خاصَّةَ الله؛
الشَّخْصُ إذا قُتِلَ يقتُلُهُ هكذا شاه، إنَّما يأخُذُهُ إلى البَخْتِ وإلى أفضَلِ جاه؛
إذا لمْ تَرَ نَفْعَهُ في قَهْرِه، متى تصيرُ باحِثاً عَنِ اللُّطْفِ المُطْلَقِ للقَهْر؛
الطِّفْلُ يرتَجِفُ مِنْ مَيسَمِ الحَجَّام، والأُمُّ المُشفِقُ في ذلِكَ الغَمِّ سعيدَةٌ راضية؛
أنتَ تعمَلُ مِنْ نَفْسِكَ القياسَ ولكِن، وَقَعْتَ بعيداً بعيداً، فانظُرْ جيّداً؛

حِكايةُ البَقَّالِ والببَّغاء، وإراقَةُ الببَّغاء الزَّيتَ في الدُّكَّان

كانَ هُناكَ بقَّالٌ وكانَ لهُ ببَّغاءٌ، عذْبُ الصَّوتِ، أخضَرٌ، وناطِقٌ فصيحٌ؛
كانَ في الدُّكَّانِ حارِساً للدُّكَّان، وكانَ يقولُ النِكاتِ لِجميعِ التُّجَّار؛
كانَ في خِطابِ الآدَميّ ناطِقا، كانَ في غِناءِ الببَّغاواتِ حاذِقا؛
قَفَزَ مِنْ صَدْرِ الدُّكانِ للهَرَب، فأراقَ الزَّيتَ مِنْ زُجاجاتِ زيتِ الوَرْد؛
جاءَ سيِّدُهُ مِنْ جِهَةِ المَنْزِل، جَلَسَ جلسَةَ السَّيِّدِ فارِغاً في الدُّكَّان؛
رأى الزَّيْتَ يملأُ الدُّكَّانَ وعلى القِماشَ، ضَرَبَ الببَّغاءَ على الرَّأسِ فأصْلَعَهُ؛
فانقَطَعَ عَنِ الكلامِ عِدَّةَ أيَّام، الرَّجُلُ البقَّالُ نَدامَةً أطلَقَ الآه؛
راحَ ينتِفُ اللِّحْيَةَ ويقول، أسَفاً شَمْسُ نِعْمَتي غطَّاها الغَيمُ؛
ليتَ يدي كُسِرَتْ ذاكَ الزَّمانَ، الَّذي ضَرَبْتُ بِهِ رأسَ ذاكَ العَذْبَ اللِّسان؛
أهدى الهدايا لِكُلِّ درويش، كي يجِدَ طائرُهُ الأثيرُ النُّطْقَ؛
بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ وثلاثِ ليالٍ حيرانَ عاجِزاً، جالِساً في الدُّكَّانِ يائساً؛
يعرِضُ كُلَّ عجيبٍ على ذلِكَ الطَّائرِ، عسى أنْ يعودَ لهُ النُّطْقُ؛
وإذا برَجُلٍ يمَرُّ، عليهِ دَلَقٌ، أصلَعٌ رأسُهُ بلا شعرَةٍ كأنَّهُ قفا طست؛

انبرى الببَّغاءُ يتكلَّمُ كما في الزَّمان، صَرَخَ في وجْهِهِ قائلاً أي فُلان؛
مِمَّ صِرْتَ أصلَعاً مِنَ الصّلعان، لعلَّكَ قد كَسَرْتَ زُجاجَةَ الزَّيت؛
ضَحِكَ القَومُ مِنْ قياسِه، فقد ظَنَّ صاحِبَ الدَّلَقِ مِثلَه؛
لا تأخُذْ أمْرَ الطَّاهِرينَ على قياسِ نَفْسِك، الأسَدُ واللَّبنُ في الفارِسيَّةِ شير؛
العالَمُ جُمْلَةً لِهذا السَّبَب ضلَّ، إلَّا قُلَّةً من أشخاصٍ مِنَ الأبدالِ أدركوا الحَقَّ؛
جَعَلوا أنفُسَهُم أنداداً للأنبياءِ، ظنُّوا كأنفُسِهِمْ هؤلاءِ الأولياء؛
قالوا هُمْ بَشَرٌ كما نحنُ بَشَر، نَحْنُ وهُمْ مُقيَّدونَ بالأكلِ والنَّوم؛
وهُم لا يعلمونَ مِنَ العمى، أنَّ هُناكَ فَرقاً بينهُم بلا مُنتَهى؛
نوعا النَّحْلِ أكلا مِنْ المَحَلِّ نَفْسِه، هذا مِنْهُ سُمٌّ وهذا مِنهُ عَسل؛
نوعا غزالٍ أكلا وشرِبا عُشباً وماءً، هذا مِنْهُ رَوثٌ وذاكَ مِنْهُ مِسْكٌ صافٍ؛
قصبتانِ اثنتانِ شرِبتا ماءً واحِداً، هذِهِ خاليَةٌ مِنَ السُّكَّرِ وتِلكَ مليئةٌ بالسُّكَّر؛
انظُرْ إلى مئاتِ آلافِ هكذا أشباه، أبصِرْ بينها فرقاً مَسيرَةَ سبعينَ سَنَة؛
هذا طَعامٌ صارَ نَجاسَةً تُطْرَدُ، وذاكَ طعامٌ صارَ كُلُّهُ نورَ الله؛
هذا الطَّعامُ كُلُّهُ يزيدُ البُخْلَ والحَسَد، وذاكَ الطَّعامُ كُلُّهُ يزيدُ نورَ الأحَد؛
هذِهِ أرضٌ طاهِرَةٌ وتِلكَ سبخَةٌ آجِنَة، ذا ملاكٌ طاهِرٌ وذاكَ شيطانٌ ومُفتَرِسٌ؛
يجوزُ أنْ يكونَ للاِثْنَينِ صورَةٌ واحِدَةٌ، الماءُ المالِحُ والماءُ العَذْبُ لِكُلٍّ صفاء؛
لا يُمَيِّزُ بينَهُما غيرُ صاحِبُ الذَّوقِ، فهُوَ يُميِّزُ الماءَ العَذْبَ مِنَ الماءِ المالِح؛
مَنْ عَمِلَ بينَ السِّحْرِ والمُعْجِزَةِ قياساً، ظنَّ أنَّ لكُلٍّ منهُما في المكرِ أساساً؛
السَّحَرَةُ مَعَ موسى في تلكَ الخُصومَة، كُلٌّ حَمَلَ عصاً كعصاه؛
فرقٌ عميقٌ بينَ هذِهِ العصا وتِلْكَ، طريقٌ عجيبٌ بينَ هذا العَمَلِ وذاكَ؛
لعنَةُ اللهِ لِهذا العَمَلِ في القفا، رحمَةُ اللهِ لِذاكَ العَمَلِ في الوفا؛
الكافِرونَ في الجِدالِ لهُمْ طَبْعُ قِرْدٍ، الآفَةُ جاءتْ مِنَ الطَّبْعِ في الصَّدْر؛

كُلُّ ما يفعَلُ الإنسانُ يفعَلُهُ القِرْدُ، ذاكَ يعمَلُ ما يرى الإنسانَ يعْمَلُ طِباقا؛

ظَنَّ أنْ أنا عمِلْتُ العَمَلَ مِثْلَهُ، متى يرى الفَرْقَ ذو الجِدالِ والعِناد؛

هذا عَمِلَ عَنْ أمْرٍ وهوَ عمِلَ نِزاعاً، على رؤوسِ أهْلِ النِّزاعِ هِلِ التُّراب؛

ذاكَ مُنافِقٌ معَ موافِقٍ في صلاة، جاءَ يطْلُبُ المِراءَ لا مِنْ وَجْهِ فاقَةٍ؛

بالصَّلاةِ والصَّومِ والحَجِّ والزَّكاة، المؤمنونَ مَعَ المُنافقينَ في رِبْحٍ وخُسران؛

المؤمنونَ في العاقِبَةِ رابحون، المنافقونَ في الآخِرَةِ خاسرون؛

رغْمَ أنَّ الاثنينِ في سِباقٍ واحِدٍ، يتسابقانِ معاً وذا مَرويٌّ وذا رازي؛

كُلٌّ ذاهِبٌ إلى مَقامِ نَفْسِهِ، كُلٌّ ذاهِبٌ وِفْقَ اسمِ نَفْسِه؛

مَنْ دَعَوهُ مؤمِناً سَعِدَتْ روحُهُ، والمُنافِقُ صارَتْ روحُهُ حادَّةً وامتلأتْ ناراً؛

اسمُهُ المحبوبُ مِنْ ذاتِه، اسمُ هذا المبغوضِ مِنْ آفاتِه؛

ميم وواو وميم ونون ليسَ للتَّشريف، لفظُ مؤمِنْ ليسَ بلا تعريف؛

إذا دَعَوتَهُ مُنافِقاً فإنَّ هذا الإسْمَ الدُّونَ، يلسَعُهُ مِثلُ العَقْرَبِ في داخِلِه؛

إذا لَمْ يكُنْ هذا الإسْمُ اشتِقاقَ الجَحيم، لِماذا إذَنْ فيهِ مذاقُ الجحيم؛

قُبْحُ ذلِكَ الإسْمِ ليسَ مِنَ الحَرْف، مُلوحَةُ ماءِ البَحْرِ ليسَتْ مِنَ الظَّرْف؛

الحَرْفُ جاءَ ظرْفاً وفيهِ مَعْنىً كماءِ بحرِ معنى *عِندَهُ أُمُّ الكِتاب*؛

البَحْرُ المالِحُ والبَحْرُ العَذْبُ في نَفْسِ العِنان، بينَهُما برزَخٌ لا يبغيان؛

كلا الاثنَينِ جريا مِنْ أصلٍ واحِدٍ، فَخَلِّ الإثنَينِ وامضِ إلى ذلِكَ الأصْل؛

الذَّهَبُ الزَّائفُ والذَّهَبُ حَسَنُ العِيار، بلا مَحَكٍّ لا فرْقَ في الاعتبار؛

كُلُّ مَنْ جَعَلَ اللهُ لهُ في الرُّوحِ المَحَكّ، يعرِفُ كُلَّ يقينٍ مُمَيَّزاً عَنِ الشَّكّ؛

لو شوكَةٌ وَقَعَتْ في فَمِ حيٍّ، لا يقِرُّ قرارُهُ حتَّى ينتَزِعَها؛

لو نَثْرَةٌ صغيرةٌ دَخَلَتْ في واحِدَةٍ مِنْ آلافِ اللُّقَمِ، لتَتَبَّعَها حِسُّ مُبتَلِعِها؛

حِسُّ الدُّنيا مِعراجُ هذا العالَم، حِسُّ العُقبى مِعراجُ السَّماء؛

صِحَّةَ هذا الحِسّ أُطلُبْ مِنَ الطَّبيب، صِحَّةَ ذاكَ الحِسِّ أُطْلُبْ مِنَ الحبيب؛

صِحَّةُ هذا الحِسِّ مِنْ عمارَةِ البَدَن، صِحَّةُ ذاكَ الحِسِّ مِنْ خرابِ البَدَن؛

طريقُ الرُّوحِ يجعَلُ الجِسْمَ خراباً، مِنْ بعدِ ذلِكَ الخَرابُ يُحدِثُ عُمراناً؛

كمَنْ خَرَبَ البيتَ لأجلِ كَنْزٍ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ مِنَ الكَنْزِ عينِهِ عَمَّرَ البيتَ أكثَرَ؛

كَمَنْ قطَعَ الماءَ ونظَّفَ الجَدْوَلَ، فَجَرى الماءُ بعدَها صافِياً في الجَدْوَل؛

كَمَنْ شَقَّ الجِلْدَ وانتزَعَ النَّصْلَ مِنْهُ، فتولَّدَ مِنْ بِعْدِ ذلِكَ الجِلْدِ جِلْدٌ جديد؛

كمنْ خَرَّبَ القَلْعَةَ واستولى عليها مِنْ كافِرٍ، بعدَ ذلِكَ بنى لها مِئَةَ بُرْجٍ وسَدّ؛

فَمَنْ يجْعَلُ كيفيَّةً لِعَمَلٍ لا كيفيَّةَ له، والَّذي قُلْتُ ما دَعَتْ إلَيْهِ الضَّرورَة؛

حيناً يُظهِرُ هذا وحيناً ضِدَّ هذا، غيرَ أنْ يكونَ حَيرَةً لا يكونُ أمْرُ الدِّين؛

ليسَ حَيرانَ ذاكَ الَّذي أدارَ لهُ الظَّهْرَ، الحَيرانُ حقّاً غريقُ وسكرانُ الحبيب؛

ذاكَ واحِدٌ وجهُهُ إلى الحبيب، وهذا واحِدٌ وَجْهُهُ إلى نَفْسِه؛

فَداوِمِ النَّظَرَ في الوجوهِ لَعَلَّكَ، مِنَ الخِدْمَةِ تَصيرُ عارِفاً بالوجوه؛

كمْ مِنْ إبليسٍ بِوَجْهِ آدَمِيّ، فلا تمُدَّنَّ اليَدَ إلى كُلِّ يَد؛

لأنَّ الصَّيَّادَ يُطلِقُ الصَّوتَ بالصَّفير، ليَخدَعَ الطَّائرَ، ذاكَ الصَّائدُ للطُّيور؛

وإذْ يسمَعُ ذلِكَ الطَّائرُ صَوتَ جِنْسِهِ، ينزِلُ مِنَ الهواءِ فيَجِدُ الشِّباكَ والنِّصال؛

سَرَقَ حَرْفَ الدَّراويشِ امرؤٌ سافِلٌ، لِيَقْرأَ على سليمٍ مِنْ ذلِكَ السِّحْر؛

عَمَلُ الرِّجالِ ضياءٌ وعطاء، عَمَلُ الأدنياءِ حيلَةٌ واستِهْزاء؛

يرتَدونَ ثيابَ الصُّوفيّ للتَّسَوُّل، يُعطونَ مُسَيْلَمَةَ لَقَبَ أحمَد؛

بقِيَ لِمُسَيْلَمَةَ لَقَبُ الكذَّاب، وبقِيَ لمُحمَّدٍ أولو الألباب؛

شرابُ الحَقِّ خِتامُهُ مِسْكٌ صاف، وهذِهِ الخَمْرَةُ خَتْمُها نَتْنٌ وعذاب؛

قِصَّةُ مَلِكٍ لليهود قَتَلَ النَّصارى تَعَصُّباً

كانَ مَلِكٌ في اليهودِ ظالِمٌ، عدُوٌّ لِعيسى وحاقِدٌ على النَّصارى؛
كانَ في عهدِ عيسى وفي نوبَتِه، أنَّهُ روحُ موسى وموسى روحُه؛
المَلِكُ الأحولُ قامَ في طريقِ الله، بالفَصْلِ ما بينَ هذينِ الخليلَينِ لله؛
قالَ أُستاذٌ لِأحوَلٍ ادخُلْ الحُجْرَةَ، وآتِني مِنْها بِتِلْكَ الزُّجاجَةِ؛
قالَ الأحوَلُ مِنْ تِلكُما الزُّجاجَتَينِ، أيَّتَهُما أحمِلُ لكَ، اِجْعَلِ الشَّرْحَ وافياً؛
قالَ الأُستاذُ ليستا زُجاجَتَين، اِذْهَبْ لا تَرَ زيادَةً في الواقِع؛
قالَ أي أُستاذُ لا تَسْخَرْ مِنّي، قالَ الأُستاذُ اذهَبْ واكسِرْ إحدى الزُّجاجَتَين؛
كانت زُجاجَةً واحَدَةً وظَهَرَتْ لِعَينِهِ اثنَتَين، حينَ كَسَرَ الزُّجاجَةَ اختَفَتِ الأُخرى؛
كَسَرَ واحِدَةً فاختفتا كِلتاهُما مِنَ العَين، صارَ الأحوَلُ مُستاءً وغاضِبا؛
الغَضَبُ والشَّهوَةُ يجعلانِ الرَّجُلَ أحولاً، يُبَدِّلانِ استقامَةَ الرُّوحِ مِنْه؛
إذا كانَ غَرَضٌ كُتِمَ الفَضْلُ، وصارَ مِئةُ حِجابٍ مِنَ القلبِ على العين؛
إذا أعطى القاضي القلبَ للرَّشوَةِ، متى يعرِفُ الظَّالِمَ مِنَ المظلومِ الضَّعيف؛
الشَّاهُ مِنَ الحِقدِ اليهوديِّ صارَ هكذا، مثلَ أحولٍ فالأمانَ يا ربّ الأمان؛
مئاتِ ألوفِ المؤمنينَ والمظلومينَ قَتَلَ، يظُنُّ أنَّهُ يحمي دينَ موسى وينصُرُه؛

تعليم الوزير المكرَ للملِك

كانَ لهُ وزيرٌ مجوسيٌّ ماكِرٌ، يعقَدُ العُقَدَ على الماءِ مِنْ مكرِه؛
قالَ: الرُّهبانُ يَحفَظونَ أرواحَهُم، ويكتُمونَ دينَهُمْ عنِ المَلِكِ؛
كُفَّ عَنْ قَتْلِهِمْ فلا نَفْعَ في القَتْل، الدِّينُ ما لهُ رائحَةٌ، ليسَ فيهِ مِسكٌ وعُود؛
إنَّهُ السِّرُّ المَستورُ بِمِئةِ غلاف، ظاهِرُهُ معكَ والباطِنُ على الخِلاف؛

قالَ لهُ المَلِكُ إذن ما التَّدبير، ما وسيلَةُ ذلِكَ المَكْرِ وذلِكَ التَّزوير؛
كي لا يبقى في العالَمِ أيُّ نصرانيّ، لا ظاهِرَ دينٍ ولا مخفيّ؛
قالَ أي شاهُ اقطَعْ أُذُني ويدي، واجْدَعْ أنفي وكذلِكَ شَفَتي؛
بعدَ ذلِكَ خُذني إلى تَحتِ المشنقة، وليشْفَعْ لي أحَدُهُم عِنْدَكَ؛
واجْعَلْ عَمَلَكَ هذا على الملأ، على رأسِ طريقٍ يكونُ مُفترَقَ طُرُقٍ؛
ذلِكَ الحينَ انفِني إلى مدينَةٍ بعيدَةٍ، لأُلقيَ فيما بينَهُمُ الفِتنَةَ والشُّرور؛

تلبيسُ الوزير على النَّصارى

سأقولُ لهُم: أنا نصرانيٌّ بالسِّرِّ، ويعرِفُني اللهُ الَّذي هُوَ عالِمُ السِّرِّ؛
وقد وَقَفَ الشَّاهُ على إيماني، فأرادَ مِنَ التَّعَصُّبِ قتلي؛
أرَدْتُ إخفاءَ ديني عنِ المَلِك، فيما كُنتُ أُظْهِرُ دينَهُ ظاهِراً؛
أحَسَّ المَلِكُ بشيءٍ مِنْ أسراري، صارَ كلامي عِنْدَ المَلِكِ مَحَلَّ اتِّهام؛
قالَ لي مقالُكَ مِثْلَ الإبرَةِ في الخُبْز، إنَّ لي كُوَّةً مِنْ قلبي إلى قلبِكَ؛
أنا مِنْ تِلكَ الكوَّةِ أرى حالَك، رأيتُ حالَكَ فلا أُصَدِّقُ مقالَك؛
ولو لمْ تكُنْ روحُ عيسى وسيلتي، لكانَ اليهوديُّ قَطَّعَني؛
روحي الفِداءُ لأجْلِ عيسى، فإنَّ لهُ مِئةَ ألفِ مِنَّةٍ عليّ؛
ولا أسَفَ بي على الرُّوحِ لِعيسى ولكِنْ، أنا واقِفٌ على عِلْمِ دينِهِ حَسَناً حَسَناً؛
وإنَّهُ ليؤذيني أنَّ ذلِكَ الدِّينَ الطَّاهِرَ، ما بينَ الجاهلينَ صارَ هلاكاً؛
الشُّكْرُ للهِ ولعيسى أنَّنا حَصَلْنا على هذا الدِّينِ الحَقِّ وصِرنا أدِلَّاءَ عليه؛
وصِرنا مِنَ اليهوديَّةِ واليهودِ أحراراً، لِنَربِطَ على أوساطِنا الزِّنَّار؛
الدَّورُ دَوْرُ عيسى يا أيُّها النَّاس، استمعوا إلى أسرارِهِ بأرواحِكُم؛

أمضى الشَّاهُ عَمَلَهُ الَّذي قال، والخَلْقُ ظَلّوا حيارى مِنْ ذلِكَ المَكْرِ الخَفيّ؛
ونفاهُ إلى جانِبِ النَّصارى ، وشَرَعَ في الدَّعوَةِ بعدَ ذلِك؛

قبولُ النَّصارى مَكْرَ الوزير

مِئةُ ألفِ رَجُلٍ مِنَ الرُّهبانِ جاؤوه، اجتمعوا شيئاً فشيئاً إلى مكانِ إقامَتِه؛
بَدَأ بالبيانِ لهُمْ عَنِ السِّرّ، سِرِّ الإنجيلِ والزّنّارِ والصَّلاة؛
هُوَ في الظَّاهِرِ واعِظُ أحكامٍ، لكِنْ في الباطِنِ صَفيرٌ وشباكٌ؛
بعضٌ مِنَ الصَّحابَةِ سألَ الرّسولَ عَنْ مَكْرِ غولِ النَّفْس؛
وما الَّذي يختَلِطُ مِنَ الأغراضِ الخفيَّةِ، في العِباداتِ وفي إخلاصِ الرُّوح؛
لم يبحثوا عن فَضْلِ الطَّاعَةِ مِنه، سألوا عن عيبِ الظَّاهِرِ ما هو؟؛
شَعْرَةً بِشَعْرَةٍ وذَرَّةً بِذَرَّةٍ، صاروا يُميّزونَ مَكْرَ النَّفْسِ كالوَرْدِ مِنَ الكَرَفْس؛
شاقّو الشَّعْرَةِ، الصَّحابَةُ جُمْلَةً، باتوا حائرينَ مِنْ ذلِكَ الوَعْظِ والبيان؛

مُتابَعَةُ النَّصارى للوزير

الرُّهبانُ جميعاً أعطَوهُ القَلْب بالتَّمام، وصارَتْ لهُ قوَّةُ التَّقليدِ العامّ؛
زَرَعوا مَحَبَّتَهُ داخِلَ صُدورِهِم، وهُم يحسبونَهُ نائباً لعيسى؛
وهُوَ بِرأسِ الدَّجَّالِ وحيدِ العَينِ اللَّعين، رَبَّنا أجِبْ صَرخَتَنا، أي نِعْمَ المُعين؛
مِئةُ ألفِ شَبَكَةٍ وحبَّةٍ، أي إلهنا، ونحنُ مِثْلَ طُيورٍ حريصَةٍ ضَعيفَة؛
لحظَةً بِلَحظَةٍ نحنُ في شِباكٍ جديدَةٍ، ولو كانَ كُلٌّ مِنّا البازَ والعنقاء؛
وأنتَ كُلَّ لَحْظَةٍ تُحرّرُنا، ونحنُ نروحُ للشِّباكِ مِنْ جديدٍ، أي مُستَغْنٍ؛
ونحنُ في هذا المَخْزَنِ نَجْمَعُ الحَبَّ، ونرى حَبَّنا الَّذي جَمَعْنا يقِلّ؛
ولا نُفَكِّرُ أخيراً بِوَعينا، أنَّ هذا الخَلَلَ في الحبِّ مِنْ مَكْرِ فأرَةٍ؛

الفأرَةُ حَفَرَتْ حُفْرَةً إلى مَخْزَنِنا، مِنْ أسلوبِها صارَ مخزَنُنا خراباً؛
أوّلاً أي روحي اِدْفَعْ شَرَّ الفَأرَةِ، ثُمَّ بَعْدَها قُمْ بِجَمْعِ الحَبّ؛
اسمَعِ الأخبارَ مِنْ صَدْرِ الصُّدور لا صَلاةَ ثَمَّ إلّا بالحُضور
لو لَمْ تكُنِ الفأرَةُ تسرِقُ مخزَنَنا، حَبُّ أربعينَ سَنَةً أينَ هُوَ؟؛
حَبَّةً حَبَّةً الصِّدْقُ كُلَّ يومٍ، لِماذا لا يصيرُ مجموعاً في مخزَنِنا؛
كُلَّما انبَعَثَتْ شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ مِنَ الحديدِ، قبِلَها ذلِكَ القَلْبُ المُحتَرِقُ وَحمَلَها؛
لكِنَّ في الظُّلْمَةِ سارِقاً خفِيّاً، يَضَعُ الإصْبَعِ على النُّجوم؛
يُطفئُ النُّجومَ واحِدَاً واحِدَاً، كي لا تُضيءَ سِراجاً مِنَ الفَلَك؛
لو آلافُ الشِّباكِ لنا في كُلِّ قَدَمٍ، ما دُمْتَ مَعنا ليسَ هُناكَ أيُّ غَمّ؛
مِنْ شَبَكَةِ البَدَنِ تُطلِقُ الأرواح، في كُلِّ ليلَةٍ، وتَكْسِرُ الألواح؛
تُطْلَقُ الأرواحُ كُلَّ ليلَةٍ مِنَ القَفَص، فارِغَةً، لا حاكِمَ ومحكومَ مِنْ شَخْص؛
ليلاً مِنَ السِّجْنِ بلا خَبَرٍ مِنَ السَّجَّانين، ليلاً مِنَ الدَّولَةِ بلا خَبَرٍ مِنَ السَّلاطين؛
لا غَمَّ ولا فِكْرَ بالرِّبْحِ والخسران، ولا خيالَ هذا الفُلانِ وذاكَ الفُلان؛
كحالِ العارِفِ الَّذي هُوَ بلا نومٍ أيضاً، قالَ اللهُ هُمْ رُقودٌ مِنْ هذا المَرَم؛
نائمونَ عن أحوالِ الدُّنيا اللَّيلَ والنَّهارَ، مِثلَ القَلَمِ في يَدِ تَقليبِ الرَّب؛
ذاكَ الَّذي لمْ يُشاهِدِ اليَدَ في الرَّقَم، ظَنَّ الفِعْلَ مِنْ حَرَكَةِ القَلَم؛
وأظْهَرَ شُمَّةً مِنْ هذِهِ الحالِ لِلعارِفِ، ولِلْخَلقِ إذْ يختَطِفُ النَّومُ الحِسَّ أيضاً؛
تَذْهَبُ أرواحُهُمْ في صَحراءَ بلا وَصْفٍ، وترتاحُ أرواحُهُم وأبدانُهُم؛
ومِنْ صفيرٍ جديدٍ تُمسِكُ بِهِم الشِّباكُ مِنْ جديدٍ جُملَةً عن عدالَةٍ وبِأمْرِ حاكِمٍ؛
فالِقُ الإصباحِ مِثلَ إسرافيل، يعودُ بِها جُمْلَةً مِنْ تِلْكَ الدِّيار صُوَراً؛
يبسطُ الأرواحَ على الأبدانِ، ويعودُ كُلُّ بَدَنٍ حامِلاً مِنْ جديد؛
يجعَلُ حِصانَ الأرواحِ عارِياً مِنَ السَّرْج، سِرُّ *النَّومُ أخُ الموتِ* هذا هوَ؛

لكِنْ لِتعودَ إذْ يعودُ النَّهارُ مِن جديد، رَبَطَ أقدامَها بِحَبْلٍ طويل؛
لِيَجْذِبَها النَّهارَ مِنْ ذلِكَ المَرْجِ الأخضَر، مِنَ المَرعى إلى تَحْتِ الأحمال؛
ليتَهُ كانَ حَفِظَ هذِهِ الرُّوحَ، كأصحابِ الكَهْفِ، أو كسفينَةِ نوح؛
كي يُحرِّرَ هذا الضَّميرَ والعَينَ والأُذُنَ، مِنْ طوفانِ اليَقَظَةِ والوعيِ هذا؛
أصحابُ كهْفٍ كثيرونَ في العالَم، أمامَكَ وبِجوارِكَ هذا الزَّمان؛
مَعَهُ الغارُ، مَعَهُ الحبيبُ في النَّغَم، الخَتْمُ على العَينِ وعلى الأُذُنِ، ما النَّفْع؟؛

قِصَّةُ رؤيَةِ الخليفَةِ ليلى

قالَ الخليفَةُ لِليلى أي أنتِ، الَّتي هامَ بِكِ المَجنونُ وغوى؛
عنِ الحسناواتِ الأُخرَياتِ لا تَزيدينَ، قالَتِ اصمُتْ فأنتَ لستَ مجنوناً؛
إنَّ الصَّاحِيَ هوَ الأشَدُّ نَوماً، ويقظَتُهُ مِنْ نومِهِ أسوأُ؛
إنْ لمْ تَكُنْ روحُنا صاحِيَةً بالحَقِّ، فالصَّحْوُ لنا مِثْلُ القَيْد؛
الرُّوحُ النَّهارَ تَحْتَ طَرْقِ الخيال، والتَّفكيرِ بالرِّبْحِ والخسارَةِ وخَوفِ الزَّوال؛
لمْ يبقَ لها صَفاءٌ ولا لُطْفٌ ولا غَناءٌ، ولا طَريقُ سَفَرٍ إلى جِهَةِ السَّماء؛
نائمٌ ذاكَ الَّذي بكُلِّ خيالٍ، لهُ أمَلٌ ولهُ مَعَهُ مقال؛
حَوراءُ رأتِ الشَّيطانَ في النَّوم، مِنَ الشَّهْوَةِ ألْقتْ مَعَ الشَّيطانِ الماء؛
حينَ ألْقتْ بيضَةَ النَّسْلِ في أرضٍ سَبْخَةٍ، عادَ لها الوعيُ فهرَبَ مِنها الخيال؛
رأتْ ضَعْفَ رأسٍ مِنْ ذلِكَ وبَدَناً نجِساً، آهِ مِنْ ذلِكَ النَّقْشِ الظَّاهِرِ الخفيّ؛
طائرٌ في الأعلى وتَحْتَهُ ظِلُّهُ، يجري على الأرضِ كأنَّهُ طائر؛
وصيَّادٌ أبلَهٌ راحَ يتبَعُ ذلِكَ الظِلَّ، يجري خلفَ هذا الَّذي لا أساسَ له؛
جاهِلاً أنَّ ذاكَ صورَةُ الطَّائرِ في الهواء، لا يعرِفُ أينَ أصلُ ذلِكَ الظِّلّ؛
راحَ يرمي السِّهامَ على ذلِكَ الظِلِّ، حتَّى صارتْ كنانَتُهُ فارِغَةً في طَلَبِه؛

كنانَةُ عُمرِهِ صارتْ فارِغَةً، انقضى عُمرُهُ يجري خَلْفَ ظِلِّ صَيدٍ؛
مِنْ كانَ ظِلُّ اللهِ يُظِلُّهُ ويرعاهُ، كانَ مُحرّرَهُ مِنْ كُلِّ خيالٍ وظِلٍّ؛
ظِلُّ اللهِ هوَ عَبْدُ الله، الميّتُ عَنِ العالَمِ والحَيُّ بالله؛
أمسِكْ بِثَوبِهِ سريعاً بلا وَهْمٍ، ليُحَرّرَكَ مِنْ فِتَنِ ثوبِ آخِرِ زمان؛
كيفَ مَدَّ الظِّلَّ نَقْشُ الأولياء، إنَّهُ دليلُ نورِ شَمْسِ الله؛
في هذا الوادي لا تَذْهَبْ بلا دليل، قُلْ *لا أُحِبُّ الآفِلينَ*، مِثْلَ الخليل؛
اذهَبْ عَنْ ظِلِّ الشَّمْسِ كي تَجِدَ، ثوبَ شاهِ شمْسِ تبريزَ يُشِعّ؛
إنْ كُنْتَ لا تعرِفُ طَرِيقَ هذا الحَفْلِ والعُرْس، اِسألْ ضياءَ الحقّ حُسامَ الدِّين؛
وإذا أَخَذَ بِكَ الحَسَدُ بالحَلْق، فالغُلوُّ كانَ في حَسَدِ إبليس؛
كانَ لهُ في آدَمَ جِدالٌ مِنَ الحَسَد، كانَ لهُ حربٌ مَعَ السَّعادَةِ مِنَ الحَسَد؛
لا عَقَبَةَ أصعَبُ مِنْ هذِهِ في الطَّرِيق، أجْمِلْ بِمَنْ ليسَ الحَسَدُ لهُ الرَّفيق؛
هذا الجَسَدُ الَّذي صارَ منزِلاً للحَسَد، اِعلَمْ أنَّ سُكَّانَهُ يتلوَّثونَ مِنَ الحَسَد؛
وإذا صارَ الجَسَدُ بيتاً للحَسَد، لا بُدَّ أنْ يُطَهِّرَ اللهُ حَسَناً ذلِكَ الجَسَد؛
طَهِّرا بيتِي بيانُ طهارَةٍ، كنزُ نورٍ رغمَ أنَّ طَلَسَمَهُ تُرابيٌّ؛
بِعَمَلِكَ المَكْرَ والحَسَد لِغَيرِ ذي حَسَدٍ، تَصِلُ الظُّلُماتُ القَلْبَ مِنْ ذلِكَ الحَسَدْ؛
كُنْ تُراباً تحتَ أقدامِ رِجالِ الحَقّ، ادفِنِ الحَسَدَ بالتُّرابِ مِثلنا؛

بيان حَسَد الوزير

ذاكَ الوزيرُ كانَ لهُ أصْلٌ في الحَسَد، لكَي يَدْفَعَ الأُذُنَ والعَينَ للباطِل؛
كانَ يطمَعُ أنْ يوصِلَ بإبرَةِ الحَسَدِ، سُمَّهُ إلى أرواحِ المساكين؛
كُلُّ شَخْصٍ يجْعَلُ نَظَرَهُ مِنْ حَسَد، يجعَلُ نفسَهُ بلا أذُنٍ ولا أنف؛
فالأنفُ شُغلُهُ أنْ يجِدَ العبير، العبيرَ الَّذي يجيءُ مِنْ حِمى الحبيب؛

كُلُّ مَنْ لا يشُمُّ عبيرَهُ بلا أنْفٍ، ذاكَ العبيرُ هُوَ العبيرُ، فهوَ الدِّين؛
مَنْ وَجَدَ العَبيرَ ولمْ يقُمْ بالشُّكْر، كَفَرَ النِّعْمَةَ وقَطَعَ أنْفَهُ؛
اشكُرْ وكُنْ عبداً للشَّاكرين، ومُتْ أمامَهُم وكُنْ ثابِتَ الأساس؛
لا تَجْعَلْ مِنْ قَطْعِ الطَّريقِ رأسَمالِكَ كالوزير، ولا تُخْرِجِ الخلقَ مِنَ الصَلاة؛
ذاكَ الوزيرُ الكافِرُ صارَ ناصِحَ دينٍ، عَمَلُهُ مِنَ المَكْرِ ثومٌ في الحلوى؛

فَهْمُ حاذِقي النَّصارى مَكْرَ الوزير

صاحِبُ الذَّوقِ كانَ يرى لَذَّةً مِنْ مقالِهِ، لكِنَّها لَذَّةٌ مقرونَةٌ بمَرارَة؛
فقد كانَ يقولُ اللَّطائفَ ممزوجَةً، يسكُبُ السُّمَّ في جُلابِ القَنْدِ؛
ظاهِرُهُ كانَ يقولُ كُنْ سالِكاً، ومِنْ أثَرٍ كانَ يقولُ للرُّوحِ هِنِي؛
ظاهِرُ الفِضَّةِ رغْمَ أنَّهُ أبيَضٌ وجديد، اليَدُ والثَّوبُ يسودَّانِ مِنْه؛
النَّارُ رغْمَ أنَّها حمراءُ الوَجْهِ مِنَ الشَّرَر، انظُرْ مِنْ فِعْلِها إلى سوادِ عَمَلِها؛
البَرْقُ رَغْمَ أنَّهُ يجيءُ نوراً في النَّظَر، فإنَّ لهُ مِنْ خاصِّيَّةٍ خَطْفَ البَصَر؛
خلا مَنْ كانَ واعياً وصاحِبَ ذَوقٍ، صارَ مقالُهُ لِكُلِّ واحِدٍ طَوقاً في العُنُق؛
مُدَّةَ سِتِّ سنينَ في هِجرانِ الشَّاه، والوزيرُ ملجأٌ لأتباعِ عيسى؛
أسلَمَهُ الخَلْقُ كُلُّهُمُ الدِّينَ والقَلْب، صارَ الخَلْقُ يموتونَ أمامَ أمْرِهِ ونَهْيِه؛

رسالَةُ الشَّاه خِفْيَةً للوزير

كانتْ رسائلُ بينَهُ وبينَ الشَّاهِ، أرسَلَها إلى الشَّاهِ خفيَةً يُطمئنُه؛
كَتَبَ لهُ الشَّاهُ أنْ أي مُقبِلي، لقد جاءَ الوَقْتُ فاجْعَلْ قلبي سريعاً فارِغاً؛
قالَ أنا في العَمَلِ أي ملِكي، أُلقِيْ الفِتَنَ في دينِ عيسى؛

بيانُ الأسباطِ الاثنَي عَشَرَ مِنَ النَّصارى

قومُ عيسى كانوا بينَ أَخْذٍ وردٍّ، عليهِمُ اثنا عَشَرَ أميراً حاكِماً؛
كُلُّ فَريقٍ لهُم أميرٌ هُمْ لهُ تَبَعٌ، الأميرُ نَفْسُهُ صارَ عَبْداً مِنَ الطَّمَع؛
الاِثنا عَشَرَ أميراً وقومُهُم جميعاً، صاروا في قيدِ ذلِكَ الوَزيرِ سيّئِ الطَّالَع؛
اعتِمادُ الجميعِ على أقوالِهِ، اقتِداءُ الجميعِ بِسلوكِهِ وأفعالِهِ؛
لو طَلَبَ مِنْ كُلِّ أميرٍ أنْ يموتَ ، أسْلَمَ أمامَهُ الرُّوحَ، في الوَقْتِ والسَّاعَةِ؛

تخليطُ الوزير في أحكامِ الإنجيل

أَعَدَّ لكُلِّ واحِدٍ منهُمْ طوماراً، رَسْمُ كُلِّ طومارٍ مَسْلَكٌ مُختَلِف؛
أحكامُ كُلِّ واحِدٍ مِنْ نوعٍ مُختَلِفٍ، هذا خِلافُ ذاكَ، مِنَ الرَّأسِ إلى القَدَم؛
في واحِدٍ جَعَلَ طريقَ الرِّياضَةِ والجوع، رُكْناً للتَّوبَةِ وشَرْطاً للرُّجوع؛
في واحِدٍ قالَ لا نَفْعَ في الرِّياضَةِ، في هذا الطَّريقِ لا خلاصَ إلَّا بالجود؛
في واحِدٍ قالَ جوعُكَ وجُودُك، شِرْكٌ يكونُ مِنْكَ بمعبودِك؛
وكُلُّ ما عدا التَّوكُّلِ وَتَمامُ التَّسليمِ، في الغَمِّ والرَّاحَةِ مَكْرٌ وحِيلَةٌ؛
في واحِدٍ قالَ تَجِبُ الخِدْمَة، مِنْ دونِها فِكْرُ التَّوكُّلِ تُهْمَة؛
في واحِدٍ قالَ إنَّ الأمْرَ والنَّهْيَ، ليسا لِأجلِ العَمَلِ بل لِشَرْحِ عَجْزِنا؛
كي نرى عَجْز النَّفْسِ في ذلِك، ونَعْرِفَ قُدْرَةَ الحَقِّ آنَذاكَ مِنْ ذلِك؛
في واحِدٍ قالَ لا تَنظُرْ إلى عَجْزِ النَّفْس، نظَرُكَ ذلِكَ العَجْزَ كُفرٌ للنِّعْمَةِ؛
أُنْظُرْ إلى قُدرَةِ نفسِكَ فهذِهِ القُدرَةُ مِنْه، قُدرَتُكَ نِعْمَتُهُ عليكَ، اعرفْهُ بِها؛
في واحِدٍ قالَ دَعْكَ مِنْهُما كِلَيهِما، فكُلُّ مَنْظورٍ إليهِ وَثَنٌ؛
في واحِدٍ قالَ لا تُطْفِئْ هذا الشَّمْعَ، هذا النَّظَرُ كالشَّمْعِ للجَمْع؛

إذا تَرَكْتَ النَّظَرَ وتَرَكْتَ الخيال، أطفَأتَ في مُنْتَصَفِ اللَّيلِ شَمْعَ الوِصال؛

في واحِدٍ قالَ أطْفِئْهُ ولا تَخَفْ، لِترى مِئةَ ألْفِ عِوَضٍ في النَّظَر؛

مِنْ إطفاءِ الشَّمْعِ تكونُ زيادَةُ الرُّوح، *ليلاكَ* مِنَ الصَّبْرِ تصيرُ مجنونَةً بِك؛ كُلُّ

مَنْ تَرَكَ الدُّنيا مِنَ الزُّهْدِ مِنْ نَفْسِه؛ تأتيهِ الدُّنيا مِنْ أمامِهِ ومِنْ خَلْفِه؛

في واحِدٍ قالَ كُلَّ ما أعطاكَ الحَقّ، جَعَلَهُ لكَ طيّباً مِنْ إيجادِهِ الحَقّ؛

جِعَلَهُ لِكَ سَهْلاً فأمسِكْ بِهِ جميلاً، ألقِ بِنَفْسِكَ في ذاكَ في أنين؛

في واحِدٍ قالَ تَخَلَّصْ مِنْ تِلْكَ النَّفْس، فقَبولُ طبْعِكَ ذاكَ مردودٌ وسيِّئٌ؛

فتصيرَ الطُّرُقُ المُختَلِفَةُ سَهْلَةً، وتَصيرَ لكُلِّ مِلَّةٍ طريقٌ عزيزَةٌ كالرُّوح؛

لو كانَ الحَقُّ قد جَعَلَ الطَّريقَ مُيَسَّراً، كانَ عرِفَهُ كُلُّ يهوديٍّ وزَرَدَشتيٍّ؛

في واحِدٍ قالَ إنَّ ذلِكَ المُيَسَّرَ، هُوَ الَّذي بِهِ حياةُ القَلْبِ وغذاءُ الرُّوحِ؛

كُلُّ شيءٍ ذَهَبَ مِنْهُ ذوقُ الطَّبْع، لا يُنْبِتُ كالأرضِ السَّبْخَةِ الرَّيعَ والزَرْع؛

غيرَ نَدَمٍ لا يكونُ رَيعُهُ، غيرَ خسارَةٍ لا يجلِبُ بيعُهُ؛

ذاكَ ليسَ مُيَسَّراً في العاقِبِة، اسمُهُ يكونُ مُعسَّراً في العاقِبَة؛

اِعْرِفِ المُعسَّرَ مِنَ المُيسَّرَ، انظُرْ جمالَ هذا وذاك في العاقِبَةِ؛

في واحِدٍ قالَ اطلُبِ الأُستاذ، القَدْرُ في العاقِبَةِ لا يأتي مِنَ الحَسَب؛

فَقَدْ رأتِ العاقِبَةَ أُمَمٌ مُختَلِفَة، لا جَرَمَ أنْ أصبَحوا أسارى ذِلَّة؛

رؤيَةُ العاقِبَةِ لا تكونُ صُنْعَ اليَد، وإلَّا متى يكونُ مِنَ الأديانِ اختِلاف؛

في واحِدٍ قالَ أنتَ أيضاً أُستاذٌ، ذاكَ مِنْ كونِكَ عارِفاً بالأُستاذ؛

كُنْ رَجُلاً ولا تكُنْ مَسْخَرَةَ الرِّجال، كُنْ واثِقَ الخُطى ولا تكُنْ تائهاً هائماً؛

في واحِدٍ قالَ المَذاهِبُ جُمْلَةً واحِدٌ، كُلُّ مَنْ رأى اثنَينِ رَجُلٌ وضيعٌ أحوَلٌ؛

في واحِدٍ قالَ كيفَ تكونُ المئةُ واحِداً، مُعتَقِدُ ذلِكَ ليسَ غيرَ مجنون؛

كُلُّ واحِدٍ قائلٌ بِأنَّهُ ضِدُّ آخَر، كيفَ يكونُ واحِداً السُّمُّ والسُّكَّر؛

إذا كُنْتَ لا تُميِّزُ بَيْنَ السُمِّ والسُّكَّرِ، متى تستطيعُ أن تَشُمَّ عبيرَ البُستان؛
بِهذا النَّمَطِ وهذا النَّوعِ في اثَني عَشْرَ طوماراً،كتَبَ دينَ عيسى ذاكَ العَدُوُّ؛

بيان أنَّ هذِهِ الاِختلافاتِ كائنَةٌ في
صُورَةِ المَسْلَك لا في حقيقَةِ الطَّريق

هُوَ مِنْ صفاءِ عيسى لمْ يَشُمَّ رائِحَةً، ومِنْ مِزاجِ دَنِّ عيسى لا يملكُ سَجِيَّةً؛
ثوبٌ بِمِئةِ لَوْنٍ، مِنْ ذلِكَ الدَّنِّ للصَّفاءِ، يصيرُ صِرفاً بلونٍ واحِدٍ كالضِّياء؛
ليسَ واحِدَ اللَّونِ الَّذي يجيءُ مِنْهُ مَلالٌ، بل مِثالُ الأسماكِ والماءِ الزُّلال؛
رَغْمَ أنَّ اليابِسَةَ بِها آلافُ الألوان، الأسماكُ لها صَراعٌ مَعَ اليابِسَة؛
ما هِيَ الأسماكُ وما البَحْرُ في المَثَل، لِنُشَبِّهَ بِها المَلِكَ عَزَّ وجَلّ؛
مِئاتُ آلافِ البِحارِ والأسماكِ في الوجود، سَجَدَتْ أمامَ ذينِكَ الإكرامِ والجود؛
كم أمطَرَ مَطَرُ العَطاءِ، ليُعَلِّمَ ذلِكَ البَحْرَ نَثْرَ الدُّرَر؛
وكَمْ أضاءَتْ شَمْسُ الكَرَمِ، لِتُعَلِّمَ الغَيْمَ والبَحْرَ الجود؛
ضِياءُ العِلْمِ أُسْقِطَ على الماءِ والطِّين، لِتَصيرَ الحَبَّةُ مقبولَةَ الأرض؛
التُّرابُ أمينٌ وما تَزرَعُ بِهِ مِنْ شَيءٍ، بلا خيانَةٍ يُعطيكَ مَحصولَ ذاكَ الجِنْس؛
هذِهِ الأمانَةُ مِنْ تِلْكَ الأمانة أوجِدَتْ، فإنَّ شَمْسَ العَدْلِ أشرَقَتْ عَلَيها؛
لو لَمْ تأتِ إشارَةُ الحَقِّ للرَّبيعَ، ما كانَ أطْلَعَ الأسرارَ ظاهِرَةً مِنَ التُّراب؛
ذاكَ الجوادُ الَّذي أعطى الجَمادَ، هذِهِ المَعارِفَ وهذِي الأمانَةَ وهذا السَّداد؛
فَضْلُهُ جَعَلَ الجَمادَ خبيراً، قَهْرُهُ جَعَلَ العاقِلَ ضَريراً؛
الرُّوحُ والقَلْبُ لا طاقَةَ لهُما بهذا الغَلَيان، لِمَنْ أقولُ ولا أُذُنَ واحِدَةً في العالَمِ؛
أيَّةُ زاوِيَةٍ أينما كانَتْ عَلَيها عَينٌ مِنْهُ، أيُّ حَجَرٍ أينما كانَ يصيرُ مِنْهُ ياقوتا؛
صانِعُ الكيمياءِ، أينَما كانَتِ الكيمياء، مُعْجِزُ العطاءِ أينَما كانَتِ السّيمياء؛

هذا الثَّناءُ مِنّي تَرْكٌ للثَّناء، فهذا دليلُ وجودٍ والوُجودُ خطاء؛
أمامَ وُجودِهِ يجِبُ الكونُ عَدَماً، المَوجودُ أمامَهُ أعمىً وَكَدِرٌ؛
لو لمْ يكُنْ أعمىً لَذابَ مِنْه، ولَعَرِفَ معنى حرارَةِ الشَّمْس؛
ولو لمْ يَكُنْ كَدِراً مِنَ التَّعزِيَة ، متى كانَ جَمُدَ كالثَّلْجِ هذِهِ النَّاحِيَة؛

بيان خسارَة الوزير في هذا المَكْر

جاهِلاً غافِلاً كانَ الوزيرُ كالشَّاه، يضرِبُ بالقَبْضَةِ نحوَ القَديمِ الَّذي لا يُغْلَب؛
نَحْوَ مِثْلِ هذا القادِرِ الإلهيّ الَّذي مِنَ العَدَم، مِئةً مِثْلَ هذا العالَمِ أوجَدَ بِلَحْظَةٍ؛
مِئَةً مِثْلَ هذا العالَمِ يُوْجِدُ في نَظْرِكَ، عِنْدَما يَجْعَلُ عَينَكَ ناظِرَةً إلَيه؛
إذا كانَ العالَمُ بدا لَكَ كبيراً وبلا حدود، فلْتَرَهُ ذَرَّةً كالعَدَمِ تَحتَ القُدرة؛
هذا العالَمُ نَفسُهُ حَبْسٌ لأرواحِكُم، هيّا اجروا بِذاكَ الاِتّجاهِ فهوَ صَحراؤكُم؛
هذا العالَمُ محدودٌ وتِلكَ النَّفْسُ بلا حَدّ، النَّقْشُ والصُّورَةُ أمامَ ذاكَ المَعنى سَدّ؛
مِئاتُ آلافِ الحِرابِ لِفِرعَون، انكَسَرَتْ مِنْ موسى بعصاً واحِدَة؛
مئاتُ الآلافِ مِنْ طِبِّ جالينوس، أمامَ عيسى وَنَفَسِهِ خُرافَة؛
مئاتُ الآلافِ مِنْ كُتُبِ الأشعار، أمامَ حَرْفِ ذلِكَ الأُمِّيّ عار؛
أمامَ مِثْلِ هذا الغالِبِ الإلهيّ، كيفَ لا يموتُ الشَّخْصُ إنْ لمْ يكُنْ خسيساً؛
كمْ مِنْ قَلْبٍ كالجَبَلِ دَكَّهُ، علَّقَ الطَّائرَ الذّكيَّ مِنْ قَدَمَيه؛
الفَهْمُ وحِدَّةُ الذِّهْنِ ليسا طَريقاً، فَضْلُ الشَّاهِ لا ينظُرُ لِغَيْرِ المكسور؛
كمْ كَنْزاً جَمَعَ الباحِثُ عنِ الكنوزِ، وقَدْ صارَ خيالُ فِكْرِهِ لِحْيَةَ أحْمَق؛
ما هوَ الأحْمَقُ لتكونَ لِحْيَتَه، ما هُوَ التُّرابُ لِتكونَ حشيشَه؛
حينَ اصْفَرَّ وَجْهُ امْرَأَةٍ مِنْ عَمَلِ السُّوءِ، مَسَخَها اللهُ وكانَتِ الزُّهْرَة؛
العَوْرَةُ مُسِخَتِ إلى الزُّهْرَة، التَّحَوُّلُ إلى تُرابٍ وطينٍ ليسَ مَسْخاً أي عَنود؛ الرُّوحُ

تحْمِلُكَ نحوَ العالَمِ الأعلى، وصِرْتَ إلى الماءِ والطِّينِ في الأسْفَلين؛
مَسَخْتَ نَفْسَكَ بهذا السُّفول، مِنْ ذلِكَ الوجودِ مِنْ حَسَدِ العُقول؛
ثُمَّ انظُرْ إلى هذا المَسْخِ كيفَ كان، أمامَ ذاكَ المَسْخِ هذا كانَ في غايَةِ الدُّون؛
قُمْتَ بالغارَةِ بِحِصانِ الهِمَّةِ على النَّجْم، وآدَمَ المَسجودَ لهُ لمْ تَعْرِفْ؛
أخيراً اِبْنَ آدَمَ أيْ سيِّئاً مِنْ خَلَف، كمْ حَسِبْتَ الحَقيرَ ذا شَرَف؛
كم قُلْتَ سأستولي على العالَم، سوفَ أملأُ العالَمَ بِما أملِك؛
لو كانَ العالَمُ مملوءاً جُمْلَةً بالثَّلْجِ، طاقَةُ الشَّمْسِ تُذيبُهُ بِنَظْرَةٍ واحِدَة؛
وِزْرَهُ ومِئةَ وِزْرٍ مِنْهُ ومِئةَ ألفٍ، يجْعَلُ اللهُ عَدَماً مِنْ شرارَةٍ واحِدَةٍ؛
يجْعَلُ مِنْ عينِ ذلِكَ التَّخييلِ حِكْمَةً، ومِنْ عينَ ذاكَ الماءِ المسمومِ شُربَةً؛
يصنَعُ مِمَّا أثارَ الخيالُ يقيناً، يُنمي مِنْ أسبابِ البغضاء المَحَبَّةَ؛
ربَّى في النَّارِ إبراهيمَ، أعطاهُ أمانَ الرُّوحِ مِنَ الخوف؛
مِنْ سَبَبِ إحَراقِهِ أنا حائرٌ، في خيالاتِهِ أنا كالسُّفسطائيّ؛

مَكْرٌ آخَرُ أثارَهُ الوزير في إضلالِ القَوم

مَكْراً آخَرَ عَقَدَ ذاكَ الوزير، تَرَكَ الوَعْظَ وجَلَسَ في خَلْوَةٍ؛
أضْرَمَ النَّارَ في المُريدينَ مِنَ الشَّوقِ، ظَلَّ في الخَلْوَةِ أربعينَ خمسينَ يوماً؛
جُنَّ الخَلْقُ مِنَ الشَّوقِ إليه، مِنْ فِراقِ حالِهِ وقالِهِ وذَوْقِهِ؛
تَضَرَّعَ إليْهِ الجميعُ في بُكاء، وهُوَ مِنَ الرِّياضَةِ انحَنَتْ قامَتُهُ في الخَلوَةِ؛
قالوا لهُ مِنْ دونِكَ ليسَ لنا نورٌ، مِنْ دونِ عصاً كيفَ تكونُ أحوالُ الأعمى؛
مِنْ سبيلِ الإكرامِ ومِنْ أجْلِ الله، أكثَرَ مِنْ هذا لا تُبْعِدْنا عَنْكَ؛
نحنُ كالأطفالِ، أنتَ لنا الحاضِنَةُ، اجْعَلْ على رؤوسِنا الغِطاءَ مِنْ ظِلِّك؛
قالَ روحي ليسَتْ بعيدَةً عَنِ المُحِبِّين، لكِنْ ليسَ لي للخروجِ خارِجاً دستورٌ؛

أولئِكَ الأُمَراءُ جاؤوا للشَّفاعةِ، وأولئكَ المُريدونَ جاؤوا في الشَّناعَة؛
أنْ ما هذا الحَظُّ السَّيِّئُ لنا أي كريمُ، كُلُّنا مِنْ دونِكَ مِنَ القَلْبِ والدِّينِ يتيمُ؛
إنَّكَ تَعْتَذِرُ بلا عُذْرٍ ونحْنُ ألَماً، نُطلِقُ مِنْ احتراقِ القَلْبِ الآهاتِ مُتوالِيَةً؛
طَبْعُنا اعتادَ على حَديثِكَ العَذْبِ، نَحْنُ مِنْ لَبَنِ حِكْمَتِكَ شَرِبْنا؛
اللهَ اللهَ، لا تَصْنَعْ مَعَنا هذا الجَفاء، اعمَلِ الخَيْرَ مَعَنا اليومَ، لا تَعْمَلْهُ غدا؛
ألَمْ تَعْلَمْ مِنْ قلبِكَ أنَّ هؤلاءِ الوالِهين، صاروا مِنْ دونِكَ أخيراً هائمين؛
جُملَةً يضطرِبونَ كالأسماك على اليابِسَةِ، افتَحِ الماءَ ارفَعِ العائقَ مِنَ الجَدول؛
أي مَنْ لا شَخْصَ في الزَّمانِ مِثْلَكَ ، اللهَ اللهَ في الخَلْقِ، لَبِّ استِغاثَتَهُم؛

حديثُ دَفْعِ الوزير للمُريدين

قالَ أي أهْلَ السُّخْريَةِ بالقَولِ والفِعْل، طالبي الوَعْظِ وحديثِ اللسانِ والأُذُن؛
ضعوا القطْنَ في أُذُنِ الحِسِّ الدَّنِيّ، وارفَعوا عِصابَةَ الحِسِّ عَن أعيُنِكُم؛
قِطْنُ أُذُنِ السِّرِّ تِلْكَ أُذُنُ الرَّأسِ، ما لَمْ تُصِمَّ هذِهِ، أُذُنُ الباطِنِ صَمَّاء؛
كونوا بلا حِسٍّ ولا سَمْعٍ ولا فِكْرٍ، لكي تسمعوا خِطابَ ارجِعي؛
ما لَمْ تُمَزِّقَ قالَ ومقالَ اليَقَظَة، متى يحصَلُ لَكَ عبيرٌ مِنْ مقالِ النَّوم؛
السَّيْرُ الخارِجِيُّ قَولُنا وفِعْلُنا، سيرُ الباطِنِ يكونُ فوقَ السَّماء؛
الحِسُّ أدرَكَ اليابِسةَ لأنَّهُ مولودٌ مِنْها، عيسى العزيزُ سارَ بالقَدَمِ على البَحْر؛
سَيْرُ الجِسْمِ اليابِسِ يكونُ على اليابِسَة، سَيْرُ الرُّوحِ بالقَدَمِ في بَحْرِ القَلْب؛
كيفَ مَرَّ العُمُرُ في طريقٍ يابِسٍ، حيناً جَبَلٌ وحيناً صَحراءٌ وحيناً فلاةٌ؛
ماءَ الحياةِ أينَ تُريدُ أنْ تَجِدَ، مِنْ أينَ لَكَ أنْ تشُقَّ ماءَ البَحْر؛
موجُ التُّرابِ وهْمُنا وفَهْمُنا وفِكْرُنا، مَوجُ الماءِ مَحوُنا وسُكْرُنا وفناؤنا؛

أنتَ بهذا السُّكْرِ بعيدٌ عَنْ ذلِكَ السُّكْرِ، أنت بهذا السَّكَرِ أعمى عنْ ذلِكَ الجامِ؛
قولُ ومقالُ الظَّاهِرِ كأنَّهُ الغُبار ، عوّدِ الطَّبْعَ مُدَّةً على الصَّمْت، أُصْحُ؛

تِكرارُ المُريدينَ أنْ اكسِرِ الخَلْوَةَ

الجميعُ قالوا أي حكيمُ ابحَثْ عنْ مَخْرَج، لا تُكَلِّمنا بهذا الخِداعِ والجفاء؛
حِمْلَ الدَّوابِّ اجعَلْ على قَدرِ طاقَتِها، شُغْلَ الضُّعَفاءِ اجْعَلْ على قَدرِ قوَّتِهِم؛
حَبَّةُ كُلِّ طائِرٍ على مَقاسِه، مَتى كانَ التِّينُ طُعْمَةَ كُلِّ طائرٍ؛
إذا أعطَيْتَ الطِّفْلَ الخُبْزَ بَدَلَ الحليب، الطِّفْلُ المِسكينُ مِنْ ذلِكَ الخُبْزِ يموت؛
حينَ تَطْلَعُ الأسنانُ مِنْ بَعْدِ ذاك، يصيرُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ قلبِهِ يطلُبُ الخُبْز؛
الطَّائرُ لو طارَ قبلَ أنْ ينبُتَ لهُ الرِّيشُ، يصيرُ لُقْمَةَ كُلِّ قِطَّةٍ مُفتَرِسَة؛
وحينَ ينبُتُ الرِّيشُ يطيرُ مِنْ نَفْسِهِ، بلا تكلُّفٍ، بلا صَفيرٍ، حَسَنٍ أو رديء؛
نُطْقُكَ يجْعَلُ الشَّيطانَ أخرساً، مقالُكَ يجْعَلُ آذانَنا واعِيَةً؛
آذانُنا واعِيَةٌ ما دُمْتَ قائلا، يابِسَتُنا بَحْرٌ وأنتَ البَحْر؛
مَعَكَ الأرْضُ لنا أفضَلُ مِنَ الفَلَك، مُنَوَّرُ مِنْكَ مِنَ السَّماكِ إلى السَّمَك؛
مِنْ دونِكَ على الفَلَكِ ظلامٌ ومَعَك، لا حِمْلَ ثقيلٌ أيْ قَمَرَ هذا الفَلَك؛
صورَةُ الرِّفْعَةِ تكونُ للأفلاك، معنى الرِّفْعَةِ يكونُ للرُّوحِ الطَّاهِرَة؛
صُورَةُ الرِّفْعَةِ تكونُ للأجسام، الأجسامُ قياساً بالمعنى أسماءٌ؛

جوابُ الوزير أنّي لا أكسِرُ الخَلْوَة

قالَ حُجَجَكُمْ أقصِروها، اجْعَلوا للنَّصيحَةِ طريقاً إلى القَلْبِ وإلى الرُّوح؛
إذا كُنتُ أميناً فالأمينُ لا يكونُ مُتَّهَماً، ولو قُلتُ أنَّ هذِهِ السَّماءَ أرْضٌ؛

إن كُنتُ كمالاً مَعَ الكَمال ما الإنكارُ، وإن لمْ أكُنْ ما هذا العَذابُ والاِضطِرار؛
أنا لا أُريدُ الخُروجَ مِنْ خَلْوَتي هذِهِ، لأنّي مشغولٌ بأحوالِ الباطِن؛

اعتِراضُ المُريدينَ على خَلوَةِ الوزير

قالَ الجميعُ أيْ وزيرُ ليسَ قولُنا بإنكار، مقالُنا ليسَ كمقالِ الأغيار؛
دُموعُ العينِ مِنْ فِراقِكَ جارِيَةٌ، آهاتُنا مِنْ وَسَطِ الرُّوحِ صاعِدَة؛
الطِّفْلُ لم يُخاصِمُ المُرَبِّيَةِ ولكِنْ، بكى لا يعْرِفُ الخيرَ أو الشَّرّ؛
نحنُ كالقَيثارَةِ وأنتَ تَضْرِبُ أوتارَنا، البُكاءُ ليسَ مِنَّا أنتَ الَّذي تبكي؛
نحنُ كالنَّايِ والصَّوتُ فينا مِنْكَ، نَحْنُ كالجَبَلِ والصَّدى فينا مِنْكَ؛
نَحْنُ كالشِّطْرَنجِ في رِبْحٍ وَخُسْرٍ، رِبْحُنا وَخُسْرُنا مِنْكَ أيْ حَسَنَ الصِّفات؛
نحْنُ ما نكونُ أنتَ لنا روحُ الرُّوحِ، متى يكونُ لنا مَعَ وجودِكَ وجودٌ؛
نَحْنُ عَدَمٌ وأنتَ وجودُنا، أنتَ الوجودُ المُطلَقُ مُظْهِرُ الفاني؛
نحنُ كُلُّنا أسودٌ لكِنْ أسودُ عِلْمٍ، وحَملاتُها تكونُ مِنَ الرِّيحِ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
حَملاتُها ظاهِرَةٌ والرِّيحُ غيرُ ظاهِرَة، ذاكَ الَّذي ليسَ ظاهِراً ليسَ مفقوداً؛
ريحُنا وكيانُنا مِنْ عطائك، وجُودُنا جُمْلَةً مِنْ إيجادِك؛
لَذَّةَ الوجودِ أظْهَرْتَ لِلعَدَمِ، جَعَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ عاشِقاً للعَدَمَ؛
لَذَّةَ الإنعامِ مِنْكَ أعِدْ علينا، النُّقْلَ والخَمْرَ والجامَ مِنْكَ أعِدْ علينا؛
وإنْ تأخُذْ فمَنْ لَهُ مَعَكَ بحْثٌ، أيَّةُ قُدرَةٍ تكونُ للرَّسْمِ مَعَ الرَّسَّام؛
لا تَنْظُرْ لِباطِنِنا لا يكُنْ لَكَ فينا نَظَرٌ، انظُرْ في إكرامِكَ وسخائكَ؛
نحنُ لمْ نكُ موجودينَ ولمْ تكُنْ لنا شَكوى، لُطْفُكَ كلامَنا غيرَ المَقولِ سَمِعَ؛
النَّقْشُ أمامَ النَّقَّاشِ والقَلَمِ عاجِزٌ، مِثْلَ طِفْلٍ صغيرٍ في البَطْن؛
الخَلْقُ جُمْلَةً بِلاطُ المَلِكِ أمامَ القُدْرَة، عاجِزونَ كالمَشْغَلِ أمامَ الإبرَة؛

حيناً يعْمَلُ نَقْشَهُ شيطاناً وحيناً آدميَّاً، حيناً يعْمَلُ نَقْشَهُ سعادَةً وحيناً غمَّاً؛

لا يَدَ لهُ لِيُحرِّكَ اليَدَ بالدَّفْع، ولا نُطْقَ لهُ لِيَنطقَ في الضُّرِّ والنَّفْع؛

أنتَ مِنَ القُرآنِ أعِدْ قراءَةَ تفسيرِ بيتِ، قالَ اللهُ *ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْت؛*

إذا أطلَقْنا السَّهمَ طائراً فذاكَ ليسَ مِنّا، نحنُ قوسٌ والرَّامي هوَ الله؛

هذا ليسَ جَبْراً هذا مَعْنى الجَبَّار، ذِكْرُ الجَبَّارِ يُقابِلُ العَجْز؛

عَجْزُنا صارَ دَليلَ اضطِرار، خَجَلُنا صارَ دليلَ اختيار؛

إنْ لمْ يكُنْ اختيارٌ فما هذا الحَياء، ما هذا الأسَفُ والخَجَلُ والعَناء؛

زَجْرُ الأُستاذِ التَّلاميذَ لماذا، إعمالُ الخاطِرِ في التَّدابيرِ لِماذا؛

وإذا قُلْتَ أنَّهُ غافِلٌ عَنْ الجَبْرِ، قَمَرُ الحَقِّ في السَّحابِ أخفى وَجْهَه؛

إنَّ لهذا جواباً حَسَناً إنْ كُنْتَ سامِعاً، دَعِ الكُفْرَ وادخُلْ بالدِّين؛

الحَسْرَةُ والضُّرُّ عِنْدَ المَرَضِ يكونان، وَقْتَ المَرَضِ الجميعُ صاحون؛

ذلِكَ الزَّمانُ الَّذي تصيرُ فيهِ مريضاً، تقومُ فيهِ بالإسْتِغْفارِ مِنَ الجُرْم؛

يظْهَرُ لَكَ قُبْحُ الذَنْب، وتُبَيِّتُ النِّيَّةَ أنِّي عائدٌ للطَّريق؛

وتعْمَلُ العَهْدَ والميثاقَ أنْ بَعْدَ هذا، لنْ أختارَ عَمَلاً غيرَ الطَّاعَة؛

فيحصَلُ لكَ اليقينُ أنَّ مَرَضَكَ هذا، واهِبُكَ وعياً ويَقَظَةً؛

ثُمَّ اعلَمْ هذا الأصْلَ أيْ باحِثاً عَنِ الأصْل، إنَّ كُلَّ مَنْ تألَّمَ شمَّ ريحاً مِنْه؛

كُلُّ مَنْ هُوَ أكثَرُ صَحْواً أكثَرُ ألَماً، كُلُّ مَنْ هُوَ أكثَرُ إدراكاً أصْفَرُ وَجْهاً؛

إنْ كُنْتَ مُدرِكاً لِجَبْرِهِ ما ضَرَرُك، أينَ رؤيَتُكَ لِزَنْجيرِ الجبَّارِيَّة؛

وكيفَ يسعَدُ المُقيَّدُ بِسلاسِلِ الحديد، وكيفَ يكونُ حُرَّاً الأسيرُ في الحَبْس؛

وإنْ كُنْتَ ترى أنَّهُم قَيَّدوا قَدَمَكَ، وأنَّ عساكِرَ المَلِكِ قد أقعدوك؛

فلا تكُنْ قويَّاً مَعَ العاجِزين، لأنَّ ذلِكَ ليسَ مِنْ طَبْعِ وطبيعَةِ العاجِز؛

إذا كُنْتَ لا ترى جَبْرَهُ لا تَتَحَدَّثْ عَنْهُ، وإنْ كُنْتَ تراهُ، أيْنَ دليلُ الرُّؤيَة؛

كُلَّ عَمَلٍ تَعْمَلُ بِمَيْلٍ مِنْكَ إليهِ، أنتَ ترى فيهِ قُدْرَتَكَ عياناً؛
وفي ذلِكَ العَمَلِ الَّذي لا مَيْلَ بِكَ إليهِ، ترى نَفْسَكَ مَجبوراً فهذا مِنَ الله؛
الأنبياءُ في شُغْلِ الدُّنيا جبريُّون، الجاهِلونَ في شُغْلِ العُقبى جبريُّون؛
عَمَلُ العُقبى اختيارُ الأنبياء، عَمَلُ الدُّنيا اختيارُ الجُهَلاء؛
ذاكَ لأنَّ كُلَّ طائرٍ إلى جِهَةِ جِنْسِهِ، يطيرُ في الخَلْفِ والرُّوحُ مِنْ أمامِه؛
الكافِرونَ وقد جاؤوا مِنْ جِنْسِ سِجّين، جاؤوا إلى سِجْنِ الدُّنيا يرونَهُ جميلاً؛
الأنبياءُ حيثُ أنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ عِلّيين، أرواحُهُمْ وقُلوبُهُمْ تتَّجِهُ جِهَةَ عِلّيّين؛
هذا الحديثُ لا نِهايَةَ لهُ لكِنَّنا، عائدونَ لإتْمامِ تِلْكَ القِصَّة؛

إيئاسُ الوزير المريدين مِنْ رَفْض الخلوة

ذلِكَ الوزيرُ مِنَ الدَّاخِلِ أطْلَقَ الصَّوت، أنْ أي مُريدين، اعلَموا ذلِكَ مِنّي؛
إنَّ عيسى أرْسَلَ ليْ رِسالَةً، أنْ انفَرِدْ عَنْ جميعِ مُحبّيكَ وأهْلِك؛
اجْعَلْ الوَجْهَ للحائطِ واجلِسْ وحيداً، وعَنْ وجودِ نَفْسِكَ اختَرِ الخَلْوَةَ أيضاً؛
مِنْ بَعْدِ هذا لمْ يبقَ دستورٌ لِحَديث، بعْدَ هذا لم يبقَ للنِّقاشِ شُغْلٌ؛
الوداعُ أي أحِبَّاءُ فإنَّني مِتُّ، مَتَاعيْ إلى الفَلَكِ الرَّابِعِ حَمَلْتُ؛
كي لا أكونَ تَحْتَ الفَلَكِ النَّارِيّ كالحَطَب، أحتَرِقُ في العَناءِ وفي العَطَب؛
سأجلِسُ بجوارِ عيسى بَعْدَ هذا ، في أعلى السَّماءِ الرَّابِعَة؛

نَصْبُ الوزير وليَّ عَهْدٍ كُلَّ واحِدٍ مِنَ الأُمَراءِ بِشَكْلٍ مُنْفَصِل

عِنْدَ ذلِكَ طَلَبَ أولئكَ الأُمراءَ، واحِداً واحِداً مُنفَرِداً بِكُلِّ واحِدٍ مُتَحَدِّثاً إليه؛
وقالَ لِكُلِّ واحِدٍ، في الدِّينِ العيسَويّ، أنتَ نائبي بِالحَقِّ وخَليفَتي؛
وأولئكَ الأُمراءُ الآخَرونَ أتباعٌ لكَ، جَعَلَهُمْ عيسى جُمْلَةً أشياعاً لكَ؛

كُلُّ أميرٍ عانَدَكَ فاقْبِضْ عَليه، أو اقْتُلْهُ أو أبقِ عَلَيْهِ أسيراً؛
لكِنْ لا تَقُلْ هذا ما دُمْتُ حيَّاً، حتَّى إذا مِتُّ فاطلُبْ هذِهِ الرِّئاسَة؛
إلى أنْ أموتَ لا تُظْهِرْ هذا، ولا تَدَّعِ السُّلطانَ ولا تَقُمْ بالإستيلاءِ عليه؛
هاكَ هذا الطُّومارَ وأحكامَ المسيح، واحِداً واحِداً اقرأ على الأُمَّةِ بلسانٍ فصيح؛
قالَ لكُلِّ أميرٍ على حِدَةٍ: لا نائبَ غيرُكَ في دينِ الله؛
جَعَلَ كُلَّ واحِدٍ واحِدٍ مِنْهُم العزيز، كُلَّ ما لِذلِكَ قالَ، قالَ لِهذا أيضاً؛
أعطى لِكُلِّ واحِدٍ طوماراً واحِداً، كانَ المُرادُ أنْ يكونَ كُلُّ واحِدٍ ضِدَّ الآخَر؛
الطَّواميرُ جُمْلَةً كانَتْ بِشَكْلٍ مُختَلِف، كحروفِ تلكَ الجُمْلَةِ مِنَ الياءِ للألِف؛
حُكْمُ هذا الطُّومارِ ضِدُّ حُكْمِ ذلِكَ ، وقد شَرَحنا قبلَ هذا ذلِكَ؛

قَتْلُ الوزيرِ نَفْسَهُ في الخَلْوَة

بِعْدَ أربعينَ يوماً أُخرى خَلْفَ بابٍ مُغْلَقٍ، قَتَلَ نَفْسَهُ وراحَ عَنِ الوجود؛
حينَ صارَ للخَلْقِ عِلْمٌ بموتِه، على قَبْرِهِ كأنَّ القيامَةَ قامَتْ؛
خَلْقٌ كثيرٌ اجتمعوا على قَبْرِهِ، الشَّعْرَ ينتفونَ، الثِّيابَ يُمزِّقونَ، ويضطرِبون؛
جموعٌ اللهُ وحْدَهُ يعلَمُ عَدَدَها، مِنْ عَرَبٍ وتُرْكٍ وروم وكُرْد؛
تُرابَهُ وَضَعوا على الرُّؤوس، رأوا في الحُزْنِ عَلَيهِ دواءَ النُّفوس؛
الخلائقُ أولئكَ على قَبْرِهِ، أرسلوا الدُّموعَ دَماً مِنْ كِلْتَا العينَين؛

طَلَبُ أُمَّةِ عيسى عليهِ السَّلامُ مِنَ الأمراء، مَنْ وليُّ العَهْدِ مِنْكُم

بَعْدَ شَهْرٍ قالَ الخَلْقُ أيُّها البُدُورُ مِنَ الأُمَراءِ، مَنْ عِنْدَهُ الإشارَةُ ليقومَ مَقامَه؛
لِنَعْرِفَهُ لنا في مكانِهِ إماماً، لِيصيرَ عَمَلُنا بِهِ تماماً؛
حيثُ أنَّ الشَّمْسَ غابَتْ وَتَرَكَتِ الحرارَةَ فينا، لا بُدَّ لنا في مقامِها مِنْ سِراج؛

بما أنَّ وَصْلَ الحبيب مِنْ أمامِ العَيْنِ انتهى، وَجَبَ يكونَ لنا نائبٌ مِنْهُ بِعلامَةٍ؛
بما أنَّ الوَرْدَ ذَهَبَ والبُستانُ خَرِبَ، عبيرَ الوَرْدِ مِنْ أينَ نَطلُبُ، مِنَ الجُلَّاب؛
حيثُ أنَّ اللهَ لَمْ يَظْهَرْ للعَيان، نوابُ الحَقّ هؤلاءِ الرُّسُلُ؛
لا لَقَدْ غَلَطْتُ في القَولِ نائبٌ ومَنُوبٌ، تخَيُلُكَ اثنينِ قبيحٌ لا جميل؛
ليسا باثنَينِ إلَّا أنْ تكونَ عابِدَ صُورَةٍ، هُما واحِدٌ عِنْدَ مَنْ تَحَرَّرَ مِنَ الصُّورَة؛
حينَ تنظُرُ إلى الصُّورَةِ عَينُكَ وسيلَةٌ، انظُرْ إلى نورِهِ وتَحَرَّرْ مِنَ العَين؛
فلا يُمكِنُ التَّفريقُ بينَ نورِ كِلْتَا العَينَين، حينَ يُلقي النَّظَرَ إلى نورِهِ المرء؛
إنْ تَكُنْ عَشْرةُ سُرُجٍ حاضِرَةً في المكان، يَخْتَلِفْ كُلُّ واحِدٍ صَورَةً عَنِ الآخَر؛
ولا تستَطيعُ تفريقَ نورِ كُلِّ واحِدٍ، إذا وَجَّهْتَ وَجْهَكَ إلى نورِهِ بلا شكّ؛
مِئةَ تُفَّاحَةٍ ومِئةَ شرابٍ إذا عَدَدْتَها، لا تبقى مِئةً بل تَصيرُ واحِدَةً إنْ عَصَرْتَها؛
في المعاني لا قِسْمَةَ ولا أعداد، في المعاني لا تَجْزِئةَ ولا إفراد؛
اتِّحادُ الحبيبِ بالأحِبَّةِ جميلٌ، تَمَسَّكْ بِقَدَمِ المَعنى فالصُّورَةُ عنيدَةٌ؛
الصُّورَةَ العَنيدَةَ أذِبْ بالألَم، لِترى مِنْ تِحْتِها الوَحْدَةَ مِثْلَ كَنْز؛
وإنْ كُنْتَ لا تُذيبُها فعناياتُه، تُذيبُها، أي مَنِ القَلْبُ مولاهُ؛
هُوَ أرى الجَميعَ في القلوبِ نَفْسَه، هُوَ رَتَقَ خِرْقَةَ الدَّرويش؛
نَحْنُ انبَسَطْنا وجَوْهَرُ الجميعِ واحِدٌ، بلا بِدايَةٍ ولا نِهايَةٍ جميعاً كُنَّا؛
كُنَّا جَوْهَراً واحِداً مِثْلَ الشَّمْس، بلا عُقَدٍ كُنَّا وصافينَ كالماء؛
حينَ صارَ ذلِكَ النُّورُ المَصْدَرُ صُوَراً، صارَتِ الأعدادُ كظِلالِ القَصْر؛
اجعلوا القَصْرَ خراباً بالمَنْجَنيق، لِيَذْهَبَ الفَرْقُ مِنْ وَسَطِ هذا الفَريق؛
وكُنْتُ لِأشْرِحَ هذا بالجِدالِ، لكِنَّني أخافُ أنْ يزِلَّ خاطِر؛
فالمسائلُ هُنا كسيفٍ مِنَ البولادِ حادٍّ، إنْ لمْ تكُنْ تملكُ الدِّرعَ فارجِعْ واهْرَبْ؛
إلى أمامِ هذا الماسّ لا تَأتِ بلا دِرْع، فالسَّيفُ لا حَياءَ لَهُ مِنَ القَطْع؛

لِهذا السَّبَبِ جَعَلْتُ السَّيفَ في الغِلاف، فلا يقرَأَ أعوَجُ القِراءَةِ على الخِلاف؛
وَصَلْنا إلى تمامِ القِصَّةِ، وفاءً لِجَمْعِ الصَّادِقين؛
فمِنْ بِعْدِ هذا الزَّعيمِ نَهَضوا ، يطلبونَ نائباً في مقامِه؛

تنازُعُ الأُمَراءِ في ولايَةِ العَهْد

أميرٌ مِنْ أولئكَ الأُمراءِ تَقَدَّمَ، أمامَ أولئكَ القومِ الأوفياءِ تَقدَّم؛
قالَ أنا النَّائبُ عنْ ذلِكَ الرَّجُل، أنا النَّائبُ لِعيسى في الزَّمَن؛
هاكُمْ هذا الطُّومارُ بُرهانٌ لي، أنَّ النِّيابَةَ مِنْ بَعْدِهِ نيابتي؛
ذاكَ أميرٌ آخَرُ جاءَ مِنْ كمين، دعواهُ في الخِلافَةِ كانَتْ حاضِرَة؛
مِنْ تَحْتِ إبطِهِ أظْهَرَ طوماراً أيضاً، كُلٌّ مِنْهُما صارَ في غَضَبِ اليهود؛
وواحِداً واحِداً أولئكَ الأُمَراءُ الآخَرونَ، على التَّوالي كُلٌّ امتَشَقَ السَّيف؛
كُلُّ واحِدٍ سَيفُهُ وطومارُهُ في يَده، واشتَبَكوا بِبَعْضِهِمْ كالفِيَلَةِ السَّكْرى؛
مِئةُ ألفِ رَجُلٍ راهِبٍ قُتِلوا، حتَّى صارَتْ تَلَّةٌ مِنَ الرُّؤوسِ المَقطوعَة؛
وسالَ الدَّمُ كالسَّيْلِ عَنْ يمينٍ وَشِمالٍ، وعلا الغُبارُ في الهواءِ كالجِبال؛
بُذورُ الفِتْنَةِ الَّتي كانَ زَرَعَها، صارَتْ آفاتٍ في رؤوسِهِم؛
انكَسَرَتِ الرُّؤوسُ كالجَوْزِ وكُلُّ ذي لُبٍّ، نالَ بَعْدَ القَتْلِ روحاً طاهِرَةً جميلَةً؛
القَتْلُ والمَوتُ اللَّذانِ هُما بِرَسْمِ البَدَن، كأنَّهُما كَسْرُ ثِمارِ الرُّمَّانِ والتُّفَّاح؛
كُلُّ ما كانَ عَذْباً كانَ كحبَّاتِ الرُّمَّانِ، وما كانَ يبلى لمْ يكُنْ غيرَ وسيلَةَ حِفْظ؛
فكُلُّ ما كانَ ذا مَعنى ظَهَرَ، وكُلُّ ما كانَ للفَسادِ افتَضَحْ؛
فامْضِ للمعنى أيْ عابِدَ الصُّورَة، لأنَّ المَعْنى للبَدَنِ كالجَناحِ للصُّورَة؛
كُنْ جليساً لأهْلِ المَعْنى لِكَي، تجِدَ العَطاءَ وتكونَ فتىً؛
الرُّوحُ بلا مَعْنىً في هذا البَدَنِ بلا خِلاف، كالسَّيفِ مِنْ خَشَبٍ في غِلاف؛

هوَ ذو قيمَةٍ ما دامَ في الغِلافِ، فإذا خَرَجَ مِنْهُ صارَ آلَةً وصارَ للإحراق؛
سيفَ خَشَبٍ لا تَحْمِلْ في ساحَةِ الحَرْب، انظُرْ أوَّلاً كي لا يكونَ عَمَلُكَ نَدَماً؛
فإنْ كانَ خَشَباً فاذْهَبْ واطْلُبْ غَيْرَهُ، وإنْ كانَ ألماساً فأقْبِلْ بِهِ في طَرَبٍ؛
سَيفاً مِنْ مَصْنَعِ سِلاحِ الأولياء، نَظَرُ أولئكَ إليكَ كيمياء؛
هذا المَقالُ قَولُ جُمْلَةِ العالِمين، إنَّ العالِمَ رَحْمَةٌ للعالَمين؛
إذا اشتَرَيْتَ الرُّمَّانَ فاشتَرِهِ ضاحِكاً، لِكَي تُعطَيَكَ ضُحكَةٌ مِنْ حبَّاتِهِ خَبَراً؛
مُبارَكَةٌ ضُحْكَتُهُ فإنَّهُ مِنَ الثَّغْر، يُظْهِرُ القَلْبَ مِنْ درْجِ الرُّوح كالدُّرّ؛
لا بورِكَتْ ضُحْكَةُ زَهْرَةِ الشَّقائقِ تِلْكَ، الَّتي يَظْهَرُ مِنْ فَمِها سوادُ قلبِها؛
نارُ الضَّحِكِ تَجْعَلُ الرَّوْضَ ضاحِكاً، صُحْبَةُ الرِّجالِ تَجْعَلُكَ رَجُلاً؛
صَخْرَةً صمَّاءَ كُنْتَ أم مَرْمَراً، اتَّصِلْ بِصاحِبِ القَلْبِ تَصِرْ جوهَراً؛
شَمْسُ الطَّاهِرينَ لها علامَةٌ وَسَطَ الرُّوح، لا تُعْطِ القَلْبَ إلَّا لِمَحَبَّةِ السُّعَداء؛
الآمالُ موجودَةٌ لا تَذْهَبْ إلى دارِ اليأس، الشُّموسُ موجودَةٌ لا تَذْهَبْ للظَّلام؛
القَلْبُ يشُدُّكَ إلى حِمى أهْلِ القَلْب، البَدَنُ يشُدُّكَ إلى حَبْسِ الماءِ والطِّين؛
أُطْلُبْ غِذاءَ القَلْبِ عِنْدَ الوَلي وابحَثْ عَنِ الإقبالِ مِنْ مُقْبِلِ

تعظيمُ نَعْتِ المُصطَفى عليهِ السَّلامُ، المذكور في الإنجيل

كانَ في الإنجيلِ اِسْمُ المُصطفى سَيِّدٌ للأنبيا، بَحرُ الصَّفا
مَذكورَةٌ حِليَتُهُ وشَكْلُهُ وغَزوُهُ وَصَومُهُ وأكْلُهُ
طائفَةٌ مِنَ النَّصارى للثَّواب قَدْ أيقَنَتْ بِاِسْمِهِ وبالخِطاب
فَقَبَّلَتْ لإسْمِهِ ذاكَ الشَّريف واتَّجَّهَتْ لِوَصْفِهِ ذاكَ اللَّطيف
مِنْ هذِهِ الفِتْنَةِ تِلكَ الطَّائفَه آمِنَةً راحَتْ وغَيرَ خائِفَه
مِنْ الشُّرورِ مِنْ أميرٍ ووزير بأحْمَدٍ لاذَتْ، مُجيرِ المُستَجير

ونَسلُهُمْ أيضاً غدا كَثيراً وأحْمَدٌ غدا لَهُمْ نصيراً
طائفَةٌ أُخرى مِنَ النَّصارى، استهانوا بِإسْمِ أحمَدَ؛
فهانوا وذلُّوا مِنَ الفِتَنِ، مِنْ وزيرِ الشُّؤمِ في الرَّأيِ والمسلَك؛
صاروا يتخبَّطونَ في دِينِهِم وحُكْمِهِم، جرَّاءَ الطُّوماراتِ المُعْوَجَّةِ البيان؛
مِنْ اسمِ أحْمَدَ جاءَ هكذا عَون، فكيفَ بالحِفْظِ مِنْ نورِهِ؛
اسمُ أحْمَدَ حِصْنٌ حصينٌ، فكيفَ بِذاتِ ذاكَ الرُّوحِ الأمين؛

حِكايَةُ ذاكَ المَلِكِ اليهوديِّ الآخَرِ الَّذي سَعى في هلاكِ دينِ عيسى

بَعْدَ هذِهِ المَذبَحَةِ بلا عِلاج، الَّتي وَقَعَتْ مِنْ بلاءِ ذاكَ الوزير؛
مَلِكٌ آخَرُ مِنْ نَسْلِ ذاكَ اليهوديّ، سَعى في هلاكِ قَومِ عيسى؛
إنْ كُنْتَ تُريدُ خَبَرَ هذا الخُروج، اِقرأ سورَةَ والسَّماءِ ذاتِ البروج؛
سُنَّةَ السُّوءِ الَّتي سَنَّ الملِكُ الأوَّلُ، سارَ عَليها هذا المَلِكُ الآخَر؛
كُلُّ مَنْ سَنَّ للسُّوءِ سُنَّةً، تجري عليهِ مِنْها كُلَّ ساعَةٍ لَعْنَةٌ؛
الطَّيِّبونَ مَضَوا وسُنَنُهُم باقِيَةٌ، ومِنَ اللِّئامِ الظُّلْمُ واللَّعَناتُ باقِيَة؛
إلى القيامَةِ كُلُّ ما كانَ مِنْ ذاكَ الجِنْسِ، إذا جاءَ إلى الوجودِ يعْرِفُ وُجْهَتَه؛
عِرْقاً عِرْقاً الماءُ العَذْبُ والماءُ المالِحُ، يجريانِ في الخلائقِ إلى نَفْخِ الصُّور؛
ميراثُ الطَّيِّبينَ مِنْ الماءِ العَذْبِ، ذاكَ أنَّهُ ميراثُ *أورَثنا الكِتاب؛*
حاجَةُ الطَّالبينَ لو نَظَرْتَ، شُعَلٌ مِنْ جَوهَرِ الرُّسُل؛
الشُّعَلُ دائرَةٌ مَعَ الجواهِرِ، الشُّعْلَةُ تتبَعُ حَرَكَةَ ذاكَ حيثُما كانَ؛
نورُ النَّافِذَةِ يدورُ دائراً في المَنْزِلِ، لأنَّ الشَّمْسَ تنتَقِلُ مِنْ بُرْجٍ إلى بُرْج؛
وكُلُّ مَنْ لهُ ارتِباطٌ بِكوكَبٍ، تكونُ حَرَكَتُهُ في توافُقٍ مَعَ كوكَبِه؛
فإنْ كانَ طالِعُهُ الزُّهْرَةَ، كانَ لهُ مَيْلٌ كُلِّيٌّ للطَّرَبِ، وللعِشْقِ والطَّلَب؛

وإنْ كانَ مَرّيخِيّاً كانَ سَفّاكَ طَبْعٍ، باحِثاً عَنِ الحَرْبِ والبُهتانِ والخُصومَة؛
وهُناكَ كواكِبُ مِنْ وراءِ الكواكَب، لا يكونُ فيها احتِراقٌ ولا نَحْسٌ؛
تسيرُ في سماواتٍ أُخَرَ، غيرَ هذِهِ السَّماواتِ السَّبْع؛
الرَّاسِخونَ في لألاءِ أنوارِ اللهِ، لا مُتَّصِلينَ ولا مُنْفَصِلين؛
كُلُّ مَنْ كانَ طالِعُهُ مِنْ تِلْكَ النُّجوم، نَفَسُهُ يحرقُ الكُفَّارَ في رُجوم؛
ليسَ الغَضَبُ المرّيخيُّ غَضَباً لهُ، بلِ العَكْسُ فهُوَ غالِبٌ في طَبْعٍ مَغلوب؛
نورُ الغالِبِ آمِنٌ مِنَ النَّقْصِ والغَسَق، ما بينَ إصْبَعَيْنِ مِنْ نورِ حَقّ؛
الحَقُّ رَشَّ ذلِكَ النُّورَ على الأرواح، وأهلُ الإقبالِ فَتَحوا الثِّيابَ؛
فوجَدوا نِثارَ نورِ الله، وأعرَضوا بالوَجْهِ عَنْ غَيْرِ الله؛
كُلُّ مَنْ لَمْ يكُنْ لَهُ ثَوبٌ مِنَ العِشْق، كانَ مِنْ ذلِكَ النَّثارِ مِنَ النُّورِ بلا نَصيب؛
الأجزاءُ وجوهُها جِهَةَ الكُلّ، والبلابِلُ عِشْقُها لِوَجْهِ الوَرْد؛
مِنَ الظَّاهِرِ لونُ البَقَرِ، وفي الباطِنِ ابحَثْ عَنْ اللَّونِ الأحمَرِ والأصْفَرِ للرَّجُل؛
الألوانُ الجميلَةُ مِنْ دَنِّ الصَّفاء، الألوانُ القبيحَةُ مِنْ سوادِ الجفاء؛
صِبْغَةُ اللهِ اسمُ ذاكَ اللَّونِ اللَّطيف، لَعْنَةُ اللهِ اِسْمُ هذا اللَّونِ الكثيف؛
كُلُّ ما هُوَ مِنَ البَحْرِ يذْهَبُ إلى البَحْر، مِنْ هُناكَ جاءَ وإلى هُناكَ يَذْهَب؛
مِنْ قِمَّةِ الجَبَلِ تسيلُ السُّيولُ مُسْرِعَةً ، مِنْ بَدَنِنا تَسيرُ الرُّوحُ مزاجُها العِشْق؛

إشعالُ مَلِكِ اليهودِ ناراً وإقامَتُهُ صَنَماً أمامَ النَّار، وكُلُّ مَنْ يقومُ بالسُّجودِ لِهذا الصَّنَم يُنْجيهِ مِنَ النَّار

ذاكَ الكَلْبُ اليهوديُّ أنظُرْ أيَّ رأيٍ عَمِلَ، أقامَ صَنَماً على قَدَمَيهِ أمامَ النَّار؛
مَنْ يَسْجُدُ لِهذا الصَّنَمِ فهُوَ طليقٌ، وَمَنْ لا يسْجُدُ لهُ يُجْلَسُ في قَلْبِ النَّار؛
حينَ لمْ يُعْطِ صَنَمَ نَفْسِهِ ما يستَحِقُّ، صَنَمٌ آخَرُ توَلَّدَ مِنْ صَنَمِ النَّفْس؛

أُمُّ الأصنامِ صَنَمُ نَفْسِكَ، لأنَّ ذاكَ الصَّنَمَ حَيَّةٌ وهذا ثُعْبان؛
النَّفْسُ حديدٌ وحَجَرٌ، والصَّنَمُ شَرار، الشَّرَارُ بالماءِ يُجْعَلُ ساكِناً وفي قَرار؛
الحَجَرُ والحَديدُ متى يُسَكَّنانِ بالماء، الآدَمِيُّ مَعَ هذينِ الاِثْنَيْنِ متى يكونُ آمِناً؛
الصَّنَمُ ماءٌ أسوَدُ مُخْتَفٍ في الكوز، النَّفْسُ عَينٌ يسيلُ مِنْها الماءُ الأسوَدُ؛
الصَّنَمُ المَنْحوتُ كالسَّيْلِ الأسوَدِ، النَّفْسُ مُولِّدَةُ الأصنامِ عَيْنٌ في مَجْرى الماء؛
مِئةَ جَرَّةٍ تُكْسَرُ بقِطْعَةِ حَجَرٍ، ماءُ العَينِ يتَدَفَّقُ بلا انقِطاع؛
كَسْرُ الصَّنَمِ سَهْلٌ وأيُّ سَهْلٍ، استِسْهالُكَ النَّفْسَ جَهْلٌ وأيُّ جَهْل؛
صُورَةَ النَّفْسِ إنْ تَكُنْ تَطْلُبُ أي وَلَد، اقرَأْ قِصَّةَ جَهَنَمَ ذاتِ السَّبعَةِ أبواب؛
لِكُلِّ نَفْسٍ مَكْرٌ وفي كُلِّ مَكْرٍ مِنْها، مِئةٌ مِنْ فِرعَونَ والفِرعَونيّين غَرِقوا؛
فالجَأْ إلى إلهِ موسى وموسى، لا تُرِقْ ماءَ الإيمانِ مِنْ فرعونيَّةٍ؛
وَتَمَسَّكْ بالأحَدِ وأحْمَد ، يا أخي وانْجُ مِنْ أبي جَهلِ الجَسَد؛

تَكَلُّمُ الطِّفْلِ مِنْ وَسَطِ النَّار وتحريضُهُ الخَلْقَ على الوقوعِ بالنَّار

جاءَ بامرَأةٍ وَطِفْلِها ذلِكَ اليهودِيُّ، إلى أمامِ ذلِكَ الصَّنَمِ والنَّارُ مُشْتَعِلَةٌ؛
أَخَذَ الطِّفْلَ مِنْها وألقاهُ في النَّار، خافتِ المَرْأةُ وتَزَعْزَعَ إيمانُ قَلبِها؛
هَمَّتْ بالقِيامِ بالسُّجودِ للصَّنَم، صاحَ ذلِكَ الطِّفْلُ *إنِّي لَمْ أمُتْ*؛
أقبِلي أيْ أُمُّ أنا هُنا سَعيدٌ، رَغْمَ أنّي صُورَةً وَسَطَ النَّار؛
النَّارُ رِباطٌ على العَينِ كالحِجاب، الرَّحْمَةُ تَرْفَعُ الرَّأسَ مِنَ الجَيب؛
أقْبِلي أُمُّ وانظُري بُرْهانَ الحَقّ، لِتَرَي عِشْرَةَ خواصِّ الحَقّ؛
أقبِلي وانظُري ماءً بمِثالَ النَّار، مِنْ عالَمٍ نارُهُ بمِثالِ الماء؛
أقبِلي وانظُري أسرارَ إبراهيم، الوَاجِدِ في النَّارِ السَّرْوَ والياسَمين؛
كُنْتُ أرى المَوت في ولادَتي مِنْكِ، كُنْتُ شديدَ الخوفِ إذْ سَقَطْتُ مِنْكِ؛

لكِنْ إذْ وُلِدْتُ تَحَرَّرْتُ مِنَ سِجْنٍ ضَيِّقٍ، إلى عالَمٍ عَذْبِ الهواءِ حَسَنِ اللَّون؛
أنا أرى العالَمَ الآنَ مِثْلَ الرَّحِم، حيثُ أرى في هذِهِ النَّارِ هذا السُّكون؛
داخِلَ هذِهِ النَّارِ رأيْتُ عالَماً، ذرَّةً ذَرَّةً فيهِ عيسَويُّ النَّفَس؛
العالَمُ الجميلُ ليسَ مِنْ شَكْلِ وجودِ الذَّات، وذلِكَ العالَمُ شَكْلُهُ بلا ثبات؛
أقبِلي أُمَّ بِحَقِّ الأُمومَة، وانظُري أنَّ هذِهِ النَّارَ لا تؤذي؛
أقبِلي أُمُّ فقد جاءَ الإقبال، أقبِلي أُمُّ لا تترُكي الدَّولَةَ تَضيعُ مِنْ يَدِكِ؛
قُدْرَةَ ذلِكَ الكَلْبِ قدْ رأيتِ، أقبِلي لِتَرَي قُدْرَةَ ولُطْفَ الله؛
أنا مِنَ الرَّحْمَةِ بِكِ أجذُبُ قَدَمَكِ، ومِنْ طَرَبِ النَّفسِ مَشغولٌ عَنْكِ؛
أقبِلي وادعي الآخَرينَ أيضاً، فالشَّاهُ أقامَ مائدَةَ الضِّيافَة في النَّار؛
أقبِلوا أيُّها المُسْلِمونَ جميعاً، غيرَ عَذْبِ الدِّينِ كُلُّ شيءٍ عَذاب؛
أقبِلوا كُلُّكُمْ جميعاً كالفراش، إلى هذا المَرْتَعِ ذي المِئةِ ربيع؛
وصاحَتْ وَسَطَ ذاكَ الجَمْع، وامتلأتْ أرواحُ الخَلائقِ بالقوَّة؛
الخَلْقُ مِنْ بَعْدِ ذاكَ ذَهَلوا عَنْ أنفُسِهِم، قذفوا بِأنْفُسِهِم في النَّارِ رِجالاً ونِساءً؛
بلا مُوَكَّلٍ، بلا شَدٍّ، مِنْ عِشْقِ الحبيب، كُلُّ مُرٍّ يصيرُ عذباً مِنَ الحبيب؛
حتَّى أنَّ الأعوانَ صاروا مِنْ ذلِكَ، يمنعونَ الخَلْقِ مِنَ الدُّخولِ إلى النَّار؛
ذاكَ اليهودِيُّ صارَ أسوَدَ الوَجْهِ خَجِلاً، وأصابَهُ الخِزيُ وصارَ مريضَ قَلْب؛
ففي الإيمانِ صارَ الخَلْقُ أكثَرَ عِشْقاً، وفي فَناءِ الجِسْمِ صاروا أكثَرَ صِدْقاً؛
شُكْراً أنَّ الشَّيطانَ عَلِقَ في مَكْره، وشُكْراً أنَّ الشَّيطانَ افتَضحَ واسوَدّ وجهُهُ؛
وذاكَ الَّذي كانَ يطلي بِهِ وجوهَ النَّاس، صارَ مجموعاً في وَجْهِهِ، ذاك اللَّئيم؛
ذاكَ الَّذي يسعى في تمزيقِ ثيابِ الخَلْق ، تصيرُ ثيابُهُ مُمَزَّقَةً وتسلَمُ ثيابُهُم؛

بقاءُ فَمِ ذلِكَ الرَّجُلِ الَّذي نَطَقَ باسْمِ مُحَمَّدٍ عليهِ السَّلامُ تَسَخُّراً مُعوَجّاً

أمالَ ذلِكَ الفَمَ وقَرَأَ ساخِراً اِسْمَ أحْمَد، فبقِيَ فمُهُ مُعوَجّاً لِذلِك؛
رَجَعَ إلى مُحَمَّد أنْ أُعْفُ عنّي، أيْ مَنْ لَكَ ألطافٌ وعِلْمٌ مِنْ لَدُنْه؛
أنا كُنْتُ أستَهْزِئُ بِكَ مِنَ الجَهْل، أنا الَّذي للاِستِهزاءِ مَنْسوبٌ وأهْل؛
إذا كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يكشِفَ عَيْبَ شَخْصٍ، يجعَلُ مَيْلَهُ للطَّعْنِ في الطّاهِرين؛
وإذا كانَ اللهُ يريدُ أنْ يستُرَ عَيْبَ شَخْصٍ، يمنَعُهُ مِنْ ذِكْرِ عَيبِ المَعيوبين؛
عِندما يُريدُ اللهُ أنْ يهَبَنا العَون، يجْعَلُ ميلَنا إلى جانِبِ العَجْز؛
أيْ قريرَ العَينِ مِنْ كونِها باكِيَةً، أيْ مُطْمَئِنَّ القَلْبِ مِنْ كونِهِ مُحْتَرِقاً؛
آخِرُ كُلِّ بُكاءٍ أخيراً ضُحْكَةٌ، الرَّجُلُ النّاظِرُ لِلآخِرِ عَبْدٌ مُبارَكٌ؛
حيثُما جرى الماءُ كانتِ الخُضْرَةُ، حيثُما جرى الدَّمْعُ كانَتِ الرَّحْمَةُ؛
كُنْ كدولابِ ناعُورَةٍ باكيَ العَينِ، كي ينموَ مِنْ صَحْنِ روحِكَ الخَضِر؛
إنْ أرَدْتَ الدَّمْعَ اِرْحَمِ الباكين، إنْ أرَدْتَ الرَّحْمَةَ ارْحَمِ المساكين؛

عِتابُ مَلِكِ اليهودِ ذاكَ للنّار

وَجَّهَ الوَجْهَ للنّارِ أنْ أيْ حادَّةَ الطَّبْع، أينَ طَبْعُكِ المُحْرِقُ الطَّبيعيُّ ذاك؛
كيفَ لمْ تَحْرقي ماذا جرى لِخاصِّيَّتِك، أو مِنْ بِخْتِنا تغيَّرَتْ نِيَّتُك؛
أنتِ لا تَعْفينَ عَنْ عابِدِ النّار، كيفَ أنْجَيْتِ ذاكَ الَّذي لا يعْبُدُك؛
أبَداً لم تكوني أيْ نارُ صابِرَةً، كيفَ لمْ تَحْرقي عَلامَ، ألستِ قادِرَةً؛
أعَلى العَينِ سِتْرٌ عَجَباً أم على العَقْل، كيفَ لا تُحْرِقُ مِثْلُ هذِهِ الشُّعْلَةِ العالية؛
أعَمِلَ شَخْصٌ لكِ سِحْراً أم سيمياء، أم خلافُ طبعِكِ مِنْ بَخْتِنا جاء؛
قالَتِ النّارُ أنا كما كُنْتُ أي وَثَنيّ، أُدخُلْ فِيَّ لِترى حرارَتي؛

لَمْ يتغيَّرْ طَبعي ولا عُنْصُري، سيفَ حَقِّي بِدَستورٍ أحملُ معي؛
على بابِ خَيْمَةِ التُّركُمانِ كِلابُ التُّركُمان، أمامَ مواطِنيها تتملَّق؛
وإذا ما مَرَّ بالخَيْمَةِ غريبُ وَجْهٍ، تَحْمِلُ الكِلابُ عليهِ حَمْلَةَ الأسود؛
لستُ أَقَلَّ في العُبوديَّة مِنْ الكَلْب، وليسَ الحَقُّ أَقَلَّ في الحَياة مِنَ التُّركي؛
إذا جَعَلَ نارَ طَبْعِكَ مغمومَةً، جَعَلَ اشتِعالَها بأمْرِ مليكِ الدِّين؛
إذا جَعَلَ نارَ طَبْعِكَ مسرورَةً، وَضَعَ السُّرورَ فيها مليكُ الدِّين؛
حينَ ترى الغَمَّ قُمْ بالاِستِغفار، الغَمُّ جاءَ عنْ أمْرِ الخالِقِ فاعمَلْ عَمَلَك؛
إذا أرادَ يصيرُ الغَمُّ عَينُهُ سروراً، والقَيْدُ في القَدَمِ عينُهُ يصيرُ حُرِّيَّةً؛
الرِّيحُ والتُّرابُ والماءُ والنَّارُ عبيدٌ، مِثلي ومِثلَكَ موتى، بالحَقِّ أحياء؛
أمامَ الحَقِّ، النَّارُ دائماً في قيام، كعاشِقٍ خاضِعٍ اللَّيْلَ والنَّهارَ على الدَّوام؛
أُضْرُبِ الصَّخْرَ على الحديدِ يرتَدُّ عنهُ، بأمرِ الحقِّ خطا خارِجاً عنه؛
لا تَجْعَلِ الحديدَ والصَّخْرَ يتخاصَمان، هذانِ الاِثنانِ كالرَّجُلِ والمرأةِ يَلِدان؛
الصَّخْرُ والحديدُ جاءا سَبَباً لكِنْ، أنتَ فانْظُرْ أعلى، أيُّها الرَّجُلُ الحَسَن؛
فإنَّ هذا السَّبَبَ أورَدَهُ ذلِكَ السَّبَب، السَّببُ لا يصيرُ مِنْ نَفسِهِ أبداً بلا سَبَبٍ؛
تلكَ الأسبابُ الَّتي هِيَ مُرشِدَةُ الأنبياء، تِلكَ أسبابٌ أرفَعُ مِنْ هذِهِ الأسباب؛
هذا السَّبَبُ يجعَلُهُ ذلِكَ السَّبَبُ عامِلاً، ويعودُ حيناً فيجْعَلَهُ بلا أثرٍ وعاطِلاً؛
هذا السَّبَبُ محرَمٌ للعقول، تلكَ الأسبابُ مَحْرَمٌ للأنبياء؛
هذا السَّبَبُ بئرٌ ينزِلُ بها الَّذي يُقالُ رَسَن، في هذِهِ البئر، الرَّسَنُ ينزِلُ بِفَنّ؛
دَورانُ البَكْرَةِ للرَّسَن عِلَّةٌ، عَدَمُ رؤيَةِ البَكْرَةِ الَّتي تدورُ زَلَّةٌ؛
هذهِ الأرسانُ أسبابٌ في الدُّنيا، وحذارِ حَذارِ لا تَرَها مِنْ دولابِ الفَلَكِ الدَّائر؛
لئلَّا تَظَلَّ صِفْراً دائرَ الرَّأسِ كالفَلَك، لئلَّا تَحْتَرِقَ خَلْفَ ما لا مغزى لهُ كالمَرْخ؛
النَّارُ تأكُلُ الهواءَ عنْ أمْرِ الحَقّ، كلاهُما سكرانانِ مِنْ خَمْرِ الحَقّ؛

ماءَ الحِلْمِ وماءَ الغَضَبِ أي وَلَد، فلتَرَهُما أيضاً مِنَ الحَقِّ حينَ تفتَحُ البَصَر؛
لو لم تكُنِ الرِّيحُ واقِفَةً على حَقِّ الرُّوحِ ، متى كانَتْ تُفَرِّقُ ما بينَ قومِ عاد؛

قِصَّةُ الرِّيحِ الَّتي أهلَكَتْ قومَ عادٍ في عَهْدِ هودَ عليهِ السَّلام

هودُ رَسَمَ حولَ المؤمنينَ خَطَّاً، الرِّيحُ كانت ترقُّ إذْ تَصِلُ إلى هُناك؛
كُلُّ الَّذينَ كانوا خارِجَ ذلِكَ الخَطِّ جُمْلَةً، إرْباً إرْباً تقطَّعوا في الهواء؛
كما كانَ يرسُمُ شيبان الرَّاعي، خطَّ دائرَةٍ بالتُّرابِ حولَ القطيع؛
كي لا يحْمِلَ هُناكَ الذِّئبُ حَمْلَةَ التُّركِ، إذا راحَ إلى الجُمُعَةِ وقْتَ الصَّلاة؛
ما دَخَلَ داخِلَ تلكَ الدَّائرة أيُّ ذِئبٍ، كما لمْ تَخْرُجْ خارِجَها أيَّةُ شاةٍ؛
ريحُ حِرْصِ الذِّئبِ وحِرْصِ الشِّياه، كانَتْ قيداً لها دائرَةُ رَجُلِ الله؛
كذلِكَ ريحُ الأَجَلِ مَعَ العارِفين، رقيقَةٌ لطِيفَةٌ كنسيمِ اليُوسُفِيّين؛
النَّارُ لمْ تَعَضَّ إبراهيمَ بالأسنان، كانَ مُختارَ الحَقِّ فكيفَ تَعَضُّه؛
نارُ الشَّهْوَةِ لا يحْترِقُ منها أهْلُ الدِّين، وَقَدْ أخَذَتْ إلى قَعْرِ الأرْضِ الباقين؛
موجُ البَحْرِ حينَ هَجَمَ بِأمْرِ الحَقّ، مَيَّزَ ما بينَ أهْلِ موسى والأقباط؛
الأرْضُ حينَ وَصَلَ إليها الأمْرُ سَحَبَتْ، قارونَ مَعَ ذَهَبِهِ وتختِهِ إلى قَعْرِها؛
الماءُ والطِّينُ حينَ أُشرِبا مِنْ نَفَسِ عيسى، فَتَحَ الجناحَ والرِّيشَ طائرٌ وطار؛
تسبيحُكَ بُخارُ ماءٍ وطين، صارَ طائرَ جَنَّةٍ مِنْ نَفخِ صِدْقِ القَلْب؛
جَبَلُ الطُّورِ مِنْ نورِ موسى رَقَصَ، صارَ صوفِيَّاً كامِلاً وتَخلَّصَ مِنَ النَّقْص؛
أيُّ عَجَبٍ إنْ صارَ صوفِيَّاً الجَبَلُ، أيْ عزيزُ، جسمُ موسى كانَ أيضاً طيناً؛

استِهْزاءُ وإنكارُ مَلِكِ اليهود وعَدَم قَبولِهِ نصيحَةَ خاصَّتِه

شاهُ اليهودِ ذاكَ رأى هذِهِ العجائبَ، فما كانَ مِنْهُ غيرُ سُخْرِيَةٍ وغيرُ إنكار؛

قالَ لهُ النَّاصِحونَ لا تتجاوَزْ الحَدّ، لا تَقُدْ مَرْكَبَ العِنادِ بعيداً كثيراً؛

فحَبَسَ النَّاصِحينَ وغَلَّ أيديَهُمْ، وجَعَلَ الظُّلْمَ موصولاً بالظُّلْم؛

جاءَ النِّداءُ بِما وَصَلَ الأمْرُ إلى هُنا، أي كَلْبُ قاوِمْ، وَصَل قهْرُنا؛

بعْدَ ذاكَ النَّارُ عَلَتِ أربعينَ ذِراعاً، صارَتْ حَلَقَةً وأحْرَقَتْ أولئكَ اليهود؛

أصلُهُمْ كانَ ناراً في الاِبتِداء، إلى أصْلِهِمْ ذهبوا في الانتِهاء؛

مِنْ النَّارِ كانَتْ ولادَةُ أولئكَ الفَريق، الأجزاءُ إلى جِهَةِ الكُلِّ لها طريق؛

كانوا ناراً تحرقُ المؤمنينَ فحسبُ، أحرَقَتْهُمْ نارُ أنفُسِهِم كشوكٍ يابِس؛

كُلُّ مَنْ كانَ *أُمُّهُ الهاوِيَه*، راحَ *للهاوِيَةِ* لهُ فيها *زاويه؛*

الأُمُّ تبحَثُ عَنْ أبنائها، الأُصولُ تَجري في إثْرِ فُروعِها؛

الماءُ في الحَوضِ إذا كانَ حبيساً، الرِّيْحُ تُنَشِّفُهُ، ذاكَ عَمَلُها؛

تُحَرِّرُهُ تحملُهُ إلى مَعْدَنِه، شيئاً فشيئاً فلا ترى حَمْلَها إيَّاه؛

وهذا النَّفَسُ يسرقُ أرواحَنا مِثْلَ ذلِكَ، شيئاً فشيئاً مِنْ سِجْنِ الدُّنيا؛

كي إليهِ يصْعَدْ أطيابُ الكَلِمْ صاعِداً مِنَّا إلى حَيْثُ عُلِمْ

ترتقي أنفاسُنا بالمُتَّقى مُتْحِفاً مِنَّا إلى دارِ البَقا

ثُمَّ تأتينا مُكافاتُ المقال ضِعْفُ ذاكَ رَحْمَةً مِنْ ذي الجلال

ثُمَّ يُلجينا إلى أمثالِها كي ينالَ العَبْدُ مِمَّا نالَها

هكذا تَعْرُجْ وتَنْزِلْ دايماً ذا فلا زِلْتَ عليهِ قايما

يعني هذا الجَذْبُ ولنَقُلْ بالفارسيَّةِ، يأتي مِنْ ذلِكَ الطَّرَفِ الَّذي جاءَ مِنْهُ ذَوقُه؛

عَيْنُ كُلِّ قَومٍ ناظِرَةٌ إلى طَرَف، ويوماً سيسوقُها الذَّوقُ إلى ذلِكَ الطَّرَف؛

ذَوقُ(طَبْعُ) الجِنْسِ يكونُ يقيناً مِنْ جِنْسِهِ، ذَوقَ الجُزءِ يجِبُ أنْ يُنْظَرَ مِنْ كُلّه؛
وإمَّا أنْ يكونَ ذلِكَ مِنْ قابِلِ جِنْسِهِ، فإذا ما اتَّصَلَ بِهِ صارَ مِنْ جِنْسِهِ؛
كالماءِ والخُبْزِ اللَّذَينِ ليسا مِنْ جِنْسِنا، ويصيرانِ مِنْ جِنْسِنا ويُنمياننِا؛
الماءُ والخُبْزُ لا يملكانِ نَقْشَ الجِنْسيَّةِ، وقد عَرِفا ذلِكَ باعتِبارٍ آخرٍ؛
وإذا ما كانَ ذوقُنا مِنْ غيرِ جِنْسِنا، فرُبَّما كانَ ذلِكَ مِنْ شبيهٍ لِجِنْسِنا؛
وكُلُّ ما كانَ شبيهاً رُبَّما كانَ عارِيَةً، والعاريَةُ في العاقِبَةِ لا تبقى باقِيَةً؛
الطَّائرُ إنْ حَصَلَ لهُ ذَوقٌ مِنَ الصَّفير، إنْ لَمْ يجِدْ جِنْسَ نَفْسِهِ يكونُ لهُ نَفير؛
الظَّمآنُ إنْ جاءَهُ ذَوقٌ مِنَ السَّراب، إذا وَصَلَ إليهِ فَرَّ مِنْهُ وَبَحَثَ عَنِ الماء؛
المُفلِسونَ أيضاً يُسَرُّونَ بالذَّهَبِ الزَّائفِ، لكِنَّ ذلِكَ يُفْتَضَحُ في دارِ الصِّرافة؛
كي لا يُضِلَّكَ الذَّهَبُ المَجموعُ، كي لا يُلقيَكَ في الجُبِّ الخيالُ الأعوجُ؛
مِنْ كليلَةَ أعِدِ النَّظَرَ في تِلْكَ القِصَّة، ومِنْ داخِلِ تِلْكَ القِصَّة اطلُبِ الحِصَّة؛

بيان قول الوحوش للأسَد بالتَّوكُّل وترك الجهد

طائفَةٌ مِنَ الوحوش في وادٍ جميل، كانَ لهُم مَعَ الأَسَدِ دائماً قَتْلٌ وقِتال؛
اختَطَفَ ذلِكَ الأَسَدُ الكثيرَ مِنهم مِنَ الكمينِ، حتَّى صاروا جُمْلَةً في ألَمٍ لذلِكَ؛
احتالوا وجاؤوا جميعاً إلى الأَسَد، أنَّنا جَعَلنا لَكَ وَظيفَةً شِبَعَكَ كُلَّ يوم؛
فمِنْ بَعْدِ هذا لا تَسْعَ في طَلَبِ الصَّيْد ، كي لا تُنَغِّصَ علينا هذا المَرعى؛

جوابُ الأسَد للوحوش وقَولُهُ بَفائدَةِ الجهد

قالَ أجَلْ لو رأيتُ الوَفاءَ لا المَكْر، وكَمْ مَكْراً رأيتُ مِنْ زَيْدٍ وبَكْر؛
أنا الهالِكُ مِنْ مَكْرِ وفِعْلِ الخَلْقِ، أنا الملدوغُ والمَلسوعُ مِنْ حَيَّةٍ وعَقْرَبٍ؛

إنسانُ النَّفسِ مِنْ داخِلي في الكمين، أسوأُ مَكْراً وحِقْداً مِنَ الخَلقِ أجمعين؛
أُذُني سَمِعَتْ *لا يُلْدَغُ المؤمِنُ* ، تَخَيَّرْتُ قولَ النَّبِيِّ بالرُّوحِ والقَلْب؛

تَرجيح الوحوش التَّوكُّلَ على الجهد والاكتِساب

قالَ الجميعُ يا حكيماً ذا خَبَرْ، *الحَذَرَ دَعْ ليسَ يُغني عَنْ قَدَر*؛
في الحَذَرِ إثارَةٌ للفِتْنَةِ والشَّرّ، رُحْ بِوَجْهِ التَّوَكُّلِ فالتَّوَكُّلُ أفضَلُ؛
لا تُخاصِمِ القضاءِ أي هائجاً وحادّاً، لكي لا يصيرَ القضاءُ خَصْمَكَ أيضاً؛
يجِبُ الكونُ مَيّتاً أمامَ حُكْمِ الحقّ، كي لا يجيءَ البلاءُ مِنْ ربِّ الفَلَق؛

تَرجيحُ الأَسَد الجهْدَ والاِكتِساب على التَّوكُّل والتَّسليم

قالَ نَعَمْ إذا كانَ التَّوكُّلُ مُرشِداً، هذا السَّبَبُ أيضاً سُنَّةُ الرَّسول؛
قالَ الرَّسولُ بِعالي الصَّوتِ، مَعَ التَّوكُّلِ اِعقِلْ رُكبَةَ البَعير؛
رَمْزَ *الكاسِبُ حبيبُ الله* فاسْمَعْ ، لا يَكُنِ التَّوكُّلُ سَبَباً لكَ لتكونَ عاجِزاً؛

ترجيحُ الوحوش التَّوكُّلَ على الجهد

قالَ لهُ القَومُ الكَسْبُ مِنْ ضَعْفِ الخَلْق، لُقْمَةَ التَّزويرِ اعرِفْ على قَدْرِ الحَلْق؛
ليسَ الكسْبُ مِنَ التَّوكُّل بِأفْضَلَ، وأيُّ شيءٍ يكونُ محبوباً أكثَرَ مِنَ التَّسليم؛
كمْ مِنْ هارِبٍ مِنَ البلاءِ نحوَ البلاء، كم مِنْ فارٍّ مِنَ الحَيَّةِ نحوَ الأفعى؛
احتالَ الإنسانُ فكانَتْ حيلَتُهُ شَرَكَهُ، والَّذي ظَنَّهُ حبيبَهُ كانَ سافِكَ دَمِه؛
أغْلَقَ البابَ والعَدُوُّ كانَ في البيت، حيلَةُ فِرْعَونَ كانَتْ مِنْ هذِهِ الخُرافَة؛
مئاتِ آلافِ الأطفالِ قَتَلَ ذلِكَ الحاقِدُ، وذاكَ الَّذي كانَ يطلُبُ كانَ في بيتِه؛
وحيثُ أنَّ عينَنا عِلَّاتُها كثيرَةٌ، اِذْهَبْ وأَفْنِ النَّظَرَ مِنْكَ في نَظَرِ الحبيب؛

فَعَينُهُ عَنْ عَينِنا نِعْمَ العِوَض   سوفَ ترى بِعَينِهِ كُلَّ غَرَض
الطِّفْلُ قَبلَ أنْ يصيرَ قابِضاً وساعِياً، لا مَرْكَبَ لهُ غيرُ عُنُقِ أبيه؛
وحينَ صارَ فُضوليّاً وأظْهَرَ اليَدَ والقَدَمَ، وَقَعَ في العناءِ وفي العمى والشّقاء؛
أرواحُ الخَلْقِ مِنْ قَبْلِ الأيدي والأقدامِ، كانَتْ تُحلّقُ مِنَ الوَفاءِ في الصَّفاء؛
حينَ صارَتْ مُقيَّدَةً بأمْرِ *اهبِطوا*، صارَتْ حبيسَةَ الغَضَبِ والحِرْصِ والفَرَح؛
نحنُ عِيالُ الحَضْرَةِ كالرُّضَّعِ، قالَ *الخَلْقُ عِيالٌ للإله*؛
ذاكَ الّذي وَهَبَ المَطَرَ مِنَ السَّماء، يستطيعُ أيضاً مِنْ رَحْمَتِهِ أنْ يهَبَ الخُبْزَ؛

ترجيحُ الأسَدِ الجُهْدَ على التَّوكُّلِ مُجَدَّداً

قالَ الأسَدُ نَعَمْ ولكِنَّ رَبَّ العِباد، وَضَعَ سُلَّماً أمامَ أقدامِنا؛
دَرَجَةً دَرَجَةً يجِبُ الصُّعودُ إلى السَّطْح، الكَوْنُ جَبْرِيّاً هُنا طَمَعٌ خام؛
لَكَ قَدَمٌ فكيفَ تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ أعرَجاً، لكَ يدٌ فكيفَ لا تُظْهِرُ قَبْضَتَك؛
السَّيّدُ حينَ يُعطي العَبْدَ الفأسَ بيدِه، يكونُ معلوماً المُرادُ مِنْهُ بلا لِسان؛
اليَدُ كما الفأسُ إشاراتُهُ، آخِرُ التَّفكيرِ عِباراتُه؛
إذا وَضَعَ إشاراتِهِ على الرُّوح، وفاءً لِتِلْكَ الإشارَةِ ادْفَعِ الرُّوح؛
فتُعْطِيَكَ إشاراتُهُ الأسرار، وتَرفُعُ عنكَ الحِمْلَ وتُعطيكَ فلاحَ العَمَل؛
فَتَجْعَلَكَ حامِلاً مَحْمولاً، وتَجْعَلَكَ قابِلاً مَقبولاً؛
قابِلَ أمْرِهِ وقائلاً تَصير، طالِبَ وَصْلِهِ بَعْدَ ذاكَ وواصِلاً تَصير؛
السَّعْيُ شُكْرَ نِعْمَتِهِ قُدْرَةٌ، جَبْرُكَ إنكارٌ لِتِلْكَ النِّعْمَة؛
شُكْرُ القُدْرَةِ يزيدُ في قُدْرَتِك، الجَبْرُ يُخرِجُ النِّعْمَةَ مِنْ يدِك؛
جَبْرُكَ نَومٌ في الطَّريقِ فلا تَنَمْ، قَبْلَ أنْ ترى الأبوابَ والأعتابَ لا تَنَمْ؛
ها..لا تَنَمْ أي جَبْرِيّاً بلا اعتِبار، إلّا تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حامِلَةِ الثِّمار؛

كي تهُزَّ الرّيحُ كُلَّ لحظَةِ أغصانَها، وتُساقِطَ عَليكَ في نومِكَ الفاكِهَةَ والزَّاد؛
الجَبْرُ والنَّومُ قاطِعانِ للطَّريق، طائرٌ لا يعْرِفُ الوَقْتَ متى يجِدُ الأمان؛
وإذا ما تَكَبَّرْتَ على إشاراتِهِ، تظُنُّ نَفْسَكَ رَجُلاً وأنتَ لو نظرْتَ امرأة؛
تَفقدُ هذا القَدْرَ مِنَ العَقْلِ الَّذي تملكُ، الرَّأسُ الَّذي طارَ العَقْلُ مِنْهُ يصيرُ ذَنَباً؛
ذاكَ لأنَّ الجُحودَ شؤمٌ وعار، ويَحْمِلُ الجاحِدَ إلى قَعْرِ النَّار؛
إنْ كُنْتَ مُتوكِّلاً فكُنْ عامِلاً ، كُنْ ساعِياً ثُمَّ اعتَمِدْ على الجَبَّار؛

تَرجيحُ الوحوش التَّوكُّلَ على الجُهْدِ مُجَدَّداً

رفَعوا الأصواتَ جُمْلَةً بالقَوْلِ أنْ، أولئكَ الحريصونَ الَّذينَ زَرَعوا الأسباب؛
مِئاتُ آلافِ آلافِ الرِّجالِ والنِّساء، لِماذا ظَلُّوا مَحرومينَ مِنَ الزَّمَنِ إذَنْ؛
مِئاتُ آلافِ القُرونِ مِنْ بِدايَةِ العالَم، كأنَّها الثَّعابينُ فاغِرَةً مئاتِ الأفواه؛
هذِهِ المجموعَةُ العالِمَةُ مَكَرَتْ، حتَّى اقتلعَتِ الجَبَلَ مِنَ أساسِهِ مِنْ ذلِكَ المَكْر؛
مَكرُها قدْ قالَ عَنْهُ ذو الجلال لِتَزولَ مِنْهُ أقلالُ الجِبالْ
غَيْرَ ما خُطَّ لها وَقْتَ الأزَلْ لَمْ تَنَلْ مِنْ صَيْدِها أو مِنْ عَمَلْ
سقطوا جُمْلَةً مِنَ التَّدبيرِ والفِعْلِ، وبَقِيَ فِعْلُ وأحكامُ الفَعَّال؛
فلا تَعْتَبِرِ الكَسْبَ أي ذا الإسْمِ غَيْرَ اِسْمٍ، ولا تَظُنَّ الجُهْدَ أي عَيَّارُ غَيرَ وَهْمٍ؛

نَظَرُ عِزرائيلَ إلى رَجُلٍ وهَرَبُ ذلِكَ الرَّجُلِ إلى قَصْرِ سُليمان وتقريرُ ترجيحِ التَّوكُّلِ على الجَهْد وقِلَّةُ فائدَةِ الجهْد

رَجُلٌ مُسِنٌّ دَخَلَ وَقْتَ الضُّحى، إلى قَصْرِ عَدْلِ سُليمانَ راكِضاً؛
وَجْهُهُ مِنَ الغَمِّ شاحِبٌ وشفتاهُ مُزرَقَّتان، قالَ لهُ سليمانُ ما هُناكَ يا سيِّد؛
قالَ لَقَدْ نَظَرَ إليَّ عزرائيلُ هكذا، نَظْرَةً مِلؤها الغَضَبُ والعِداء؛

قالَ فاطْلُبِ ما تُريدُ الآنَ، قالَ فلتأمُرِ الرِّيحَ أي مَلْجأَ الرُّوح؛
تَحْمِلَني مِنْ هُنا إلى بلادِ الهِنْد، رُبَّما إذا وَصَلْتُ ذلِك الطَّرَفَ أنجو بالرُّوح؛
أليسَ مِنَ الفَقْرِ هَرَبَ الخَلْقُ، فصاروا مِنْ ذلِكَ لُقْمَةً للحِرْصِ والأمَل؛
خَوفُ الفَقْرِ مِثالُ ذلِكَ الرُّعب، الحِرْصُ والسَّعْيُ طَلَبُ بلادِ الهِنْد؛
فأمَرَ الرِّيحَ أنْ تَحْمِلَهُ سريعاً، إلى جِهَةِ قَعْرِ الهِنْدِ مِنْ فوقِ الماء؛
بَعْدَ يومٍ وَقْتَ الدِّيوانِ واللِّقاء، قالَ سُليمانُ لِعِزرائيل؛
لِمَ نَظَرْتَ إلى ذلِكَ المُسْلِمِ نَظْرَةَ غضَبٍ، حتَّى صارَ شريداً عَنْ أهْلِه؛
قالَ أنا لمْ أنظُرْ إليهِ مِنْ غضَبٍ، بل تَعَجَّبْتُ إذْ رأيتُهُ في الطَّريق؛
فالحَقُّ كانَ أمَرَني بِقَبْضِ روحِهِ، في بِلادِ الهِنْدِ في هذا اليوم؛
مِنْ عَجَبٍ قُلْتُ لو كانَ لهُ مِئةُ جَناحٍ، كانَ بعيداً وصولُهُ إلى الهِنْدِ في الوَقْت؛
خُذْ كُلَّ شُغْلِ العالَمِ على هذا النَّحْوِ، اعملِ القياسَ وافتَحِ العَيْنَ وانظُر؛
فمِمَّ نَهْرَبُ، مِنَ النَّفْسِ، أيُّ مَحال ، ومِمَّنْ نَفِرُّ، مِنَ الحَقِّ، أيُّ وَبال؛

تَرجيحُ الأسَدِ الجُهْدَ على التَّوَكُّلِ مُجَدَّداً، وتِبيانُهُ فوائدَ الجُهْد

نَعَمْ قالَ الأسَدُ، لكِنْ أيضاً، انظروا جُهْدَ الأنبياءِ والمؤمنين؛
فالحَقُّ تعالى جَعَلَ جُهْدَهُمْ صواباً، وكُلَّ ما رأوهُ مِنْ جفاءٍ وحرٍّ وبَرْد؛
حِيَلُهُمْ جُمْلَةً حالٌ لطيف، كُلُّ شَيءٍ مِنَ الظَّريفِ ظَريف؛
شِباكُهُم أمسكَتْ طائرَ الفَلَك، نَقْصُهُمْ استحالَ كُلُّهُ زِيادَةً؛
فجاهِدْ ما استَطَعْتَ أيُّها الوجيهُ، في طريقِ الأنبياءِ والأولياء؛
ليسَ الجِهادُ صِراعاً مَعَ القَدَر، هذا ما رَسَمَ علينا أيضاً القَدَر؛
أكونُ كافِراً لو قُلْتُ خَسِرَ شَخْصٌ، في طريقِ الإيمانِ والطَّاعَةِ نَفَساً واحِداً؛
إذا لمْ يكُنْ بِرأسِكَ أذىً فلا تَرْبِطْها، جاهِدْ يوماً أو يومَينِ واضحَكْ الباقِي؛

إنَّ طالِبَ الدُّنيا طَالِبٌ سوءَ المَحال، وإنَّ طالِبَ العُقْبى طَالِبٌ حُسْنَ الحالْ؛
المَكْرُ في كَسْبِ الدُّنيا بارِدٌ، والمَكْرُ في تَرْكِ الدُّنيا وارِدٌ؛
ذلِكَ المَكْرُ كَحَفْرِ حُفْرَةٍ في السِّجْن، سادُّ الحُفْرَةِ مَكْرُهُ بارِدٌ؛
هذهِ الدُّنيا سِجْنٌ ونحْنُ المساجين، احْفِرِ السِّجْنَ واجْعَلْ نَفْسَكَ طليقاً؛
فإنَّ الدُّنيا هِيَ الغَفْلَةُ عَنِ اللهِ، ليسَتِ الدُّنيا القِماشَ والذَّهَبَ والميزانَ والنِّساء؛
المالُ الَّذي هُوَ مِنْ أجْلِ الدِّينِ نِعْمَ الحَمول، *نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ* دعاهُ الرَّسول؛
الماءُ في السَّفينَةِ هلاكُ السَّفينَة، الماءُ تَحْتَ السَّفينَةِ سَنَدٌ لها؛
لمَّا طَرَدَ المالَ والمُلْكَ مِنَ القَلْب، سُليمانُ لمْ يَرَ نَفْسَهُ غَيْرَ مِسكين؛
الجَرَّةُ المُغلَقَةُ في الماءِ الكثير، مِنْ قلبِها المملوءِ ريحاً، طَفَتْ على الماء؛
مَنْ مَلَكَ ريحَ المَسْكَنَةِ باطِناً، كانَ على قُلَلَ الماءِ ساكِناً؛
ورغْمَ أنَّ هذا العَالَمَ جُمْلَةً مُلْكُهُ، المُلْكُ في عَيْنِ قَلْبِهِ لا شيء؛
أغلِقْ فَمَ القَلْبِ واختِمْهُ، املأهُ مِنْ ريحِ الكِبرِ مِنْ لَدُنْهُ؛
الجُهْدُ حَقٌّ والدَّواءُ حَقٌّ والدَّاء ، المُنْكِرُ في نَفْيِ الجُهْدِ جُهْدُهُ عناء؛

تَقريرُ ترجيحِ الجُهْدِ على التَّوكُّل

كثيرَ بُرهانٍ مِنْ هذا النِّمْطِ ساقَ الأسَدُ، حتَّى عَيَّ عنِ الجوابِ أولئكَ الجَبريُّونَ؛
الثَّعْلَبُ والغَزالُ والأرْنَبُ وابنُ آوى، تَخَلَّوا عَنِ الجَبْرِ والقيلِ والقال؛
عَقَدوا العُهودَ مَعَ الأسَدِ المُفتَرِس، أنْ لا يكونَ في هَذِهِ البَيْعَةِ في خُسْرانْ؛
قَسْمُ كُلِّ يومٍ مِنْ أيَّامِهِ يأتيهِ بلا كَبَدٍ، دونما حاجَةٍ بِهِ بَعْدُ لِطَلَبِهِ؛
كُلُّ مَنْ تَقَعُ عَلَيْهِ القُرْعَةُ يوماً بيومٍ، يجري إلى ذلِكَ الأسَدِ مُسرِعاً كالفَهْد؛
حينَ وَصَلَ هذا الكَأْسُ بالدَّورِ إلى الأرْنَبِ، صَرَخَ الأرنَبُ آخِراً إلامَ الجَور؛

إنكارُ الحيواناتِ على الأرْنَبِ تأخُّرَهُ في الذَّهابِ للأسَد

قالَ لهُ القَومُ كمْ لنا مِنَ الزَّمَنِ، نَجْعَلُ أرواحَنا الفِداءَ في العَهْدِ والوفاء؛
لا تَجْلِبْ لنا سوءَ الإِسْمِ أي عَنودُ، لا تُغْضِبِ الأسَدَ اذْهَبْ سريعاً سريعاً؛

جوابُ الأرْنَبِ للحيوانات

قالَ يا أصْدِقاءُ امنحوني المُهْلَة، كي أُخْرِجَكُمْ بِمَكْري مِنَ البلاء؛
كي تَجِدَ أرواحُكُمُ الأمانَ بِمَكْري، ويبقى هذا الميراثُ مِنْ بَعْدِكُم لأبنائكُم؛
كُلُّ رسولٍ في الأُمَمِ في العَالَمِ، هكذا كانَ حَتَّى دُعُوا مُخَلِّصين؛
كانَ يرى طريقَ الفَلَكِ الخارِجِ بالعَين، في النَّظَرِ كإنسانِ العَيْنِ بالعَين؛
كانَ قومُهُ يرونَهُ صَغيراً كإنسانِ العَين، لا شَخْصَ عَرَفَ عَظَمَةَ إنسانِ العَين؛

اعتِراضُ الحيوانات على كلامِ الأرنَب

قالَ لهُ القَومُ أنْ أيْ أرنَبُ املُكْ نَفْسَكَ، اِجْعَلْ قياسَ أرنَبٍ قِياسَ نَفْسِك؛
ما هذا الاِدِّعاءُ مِنْكَ ومَنْ هُمْ أفضَلُ مِنْكَ، ما فَكّروا بِهِ أو جالَ في خاطِرِهِم؛
مُعْجَبٌ أنتَ أمْ قضاؤنا مِنْ ورائكَ، ومتى كانَ هذا لَحْظَةً لائقاً بمَنْ هُوَ مِثْلك؛

جوابُ الأرْنَبِ للحيوانات

قالَ أي أصدِقاءُ الحَقُّ أَلْهَمَني إلهاماً، جَعَلَني وأنا الضَّعيفُ قويَّ الرَّأي؛
ذاكَ الَّذي عَلَّمَهُ الحَقُّ للنَّحْلِ، ليسَ للأسَدِ ولا لِحِمارِ الوَحْشِ أنْ يعْلَمَهُ؛
بَنَتِ البيوتَ مليئةً بحَلوىً طَرِيَّةٍ، الحَقُّ فَتَحَ لها إلى ذلِكَ العِلْمِ الباب؛
وذاكَ الَّذي عَلَّمَهُ الحَقُّ لِدودَةِ القَزِّ، أَلِفيلٍ عِلْمٌ بِذلِكَ اللَّونِ مِنَ الحِيَل؛
آدَمُ التُّرابِيُّ تَعَلَّمَ مِنَ الحَقِّ عِلْماً، أضاءَ عِلْمُهُ إلى السَّماءِ السَّابِعَة؛

كَسَرَ اِسْمَ وناموسَ الملائكَةِ، الشَّخْصُ الَّذي هُوَ في الحَقّ في شَكٍّ أعمى؛
الزَّاهِدُ كم آلافاً مِنَ السِّنين، يضَعُ الكِمامَةَ على الرَّأسِ، ذلِكَ العِجْل؛
وَضَعَها كي لا يَشْرَبَ لَبَنَ عِلْمِ الدِّين، كي لا يدورَ حولَ ذلِكَ القَصْرِ المَشِيْد؛
علومُ أهْلِ الحِسِّ صارَتْ كِماماً، تَمْنَعُ شُرْبَ لَبَنِ ذلِكَ العِلْمِ العالي؛
في قَطْرَةِ القَلْبِ وَقَعَتْ جَوْهَرَةٌ فريدَةٌ، لمْ يُعْطِها اللهُ للبِحارِ والأفلاك؛
حتَّامَ الصُّورَةُ آخِراً أي عابِدَ الصُّورَة، روحُكَ بلا مَعنى ألَمْ تَنْجُ مِنْ صُورَة؛
لو كانَ الآدَمِيُّ بالصُّورَةِ يصيرُ إنساناً، كانَ أحْمَدُ وأبو جِهْلٍ سواءً سواءً؛
النَّقْشُ على الجِدارِ مِثْلَ الآدَمِيّ، انظُرْ إلى الصُّورَةِ ما الَّذي ينقُصُها؛
تِلْكَ الصُّورَةُ اللّامِعَةُ تنقُصُها الرُّوحُ، فاذْهَبْ وابْحَثْ عَنْ ذلِكَ الجَوهَرِ النَّادِر؛
صارَتْ رؤوسُ أُسودِ العالَمِ جُمْلَةً خاضِعَةً، عِنْدَ مُصافَحَةِ كَلْبِ الأصحاب؛
أيُّ نَقْصٍ ينالُهُ مِنْ ذلِكَ النَّقْشِ النَّفور، ما دامَتْ روحُهُ غارِقَةً في بَحْرِ النُّور؛
وَصْفُ الصُّورَةِ ليسَ في الأقلام، في الكُتُبِ العالِمُ والعادِلُ؛
العالِمُ والعادِلُ كلاهُما مُجَرَّدُ معنىً، ولا تَجِدُهُما في المكانِ والأمامِ والخَلْف؛
يَقَعانِ على البَدَنِ مِنْ جِهَةِ اللّامكان ، شَمْسُ الرُّوحِ لا يَسَعُها الفَلَك؛

ذِكْرُ عِلْمِ الأرنَبِ وبيانُ فضيلَةِ ومنافِعِ المَعْرِفَة

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لهُ فانتَبِهْ، واجْعَلِ الأُذُنَ جِهَةَ قِصَّةِ الأرْنَب؛
فبِعْ أُذُنَ الحِمارِ واشتَرِ أُذُناً أُخرى، فإنَّ هذا الحَديثَ لا تَجِدُهُ أُذُنُ الحِمار؛
وانظُرْ إلى أرْنَبٍ بألاعيبِ ثَعْلَبٍ، انظُرْ إلى مَكْرِ الأرْنَبِ وَصَرْعِهِ الأسَد؛
خاتَمُ مُلْكِ سُليمانَ هُوَ عِلْمٌ، جُمْلَةُ العالَمِ صُورَةٌ وروحُهُ العِلْم؛
مِنْ هذا الفَضْلِ خَضَعَتْ للآدَميّ، خَلائقُ البِحارِ وخَلائقُ الجِبالِ والصَّحاري؛
مِنْهُ النَّمرُ والأسَدُ كالفأرِ خائفان، ومِنْهُ التِّمساحُ والبَحْرُ مغمومانِ مذعوران؛

مِنْهُ الجِنُّ والشَّياطينُ سكنوا السَّواحِل، كُلُّ واحِدٍ اتَّخَذَ مَلْجَأً في مكان؛
للآدَمِيّ أعداءٌ خفيُّونَ كثيرون، الآدَمِيُّ ذو الحَذَرِ شَخْصٌ عاقِلٌ؛
الخَلْقُ الخَفِيُّ حَسَنُهُم وقبيحُهُم، يصيبونَ القَلْبَ كُلَّ لَحْظَةٍ بالمصائب؛
فإذا ما تَوَجَّهْتَ للغُسْلِ إلى ضِفَّةِ جَدْوَلٍ، وسبَّبَتْ لَكَ الأذى شوكَةٌ في الماء؛
الشَّوكَةُ المُختَفِيَةُ في الماءِ وإنْ كانَتْ تافِهَةً، حينَ تنغَرِزُ بِكَ تَعْلَمُ بوجودِها؛
الشَّوكُ شَوكُ الإيحاءِ والوسوَسةِ، مِنْ آلافِ الأشخاصِ لا مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ؛
فابقَ إلى أنْ تتبَدَّلَ أحاسيسُكَ، كي تراها والمُشْكِلُ يُحَلُّ؛
لِتَجْعَلَ ما حَدَثَ مِنْ أحاديثِها مردوداً ، وتَجْعَلَ كيانَكَ مسروراً؛

استِفسارُ الحيواناتِ مِنَ الأرْنَبِ عَنْ سِرّ تَفكيرِهِ مُجَدَّداً

بعدَ ذلِكَ قالوا أنْ أيُّها الأرنَبُ السَّريعُ، ألْقِ علينا ذاكَ الَّذي في إدراكِك؛
أيْ مَنِ اشتَبَكْتَ مَعَ الأسَدِ، أعِدْ قَولَ رأيِكَ الَّذي فَكَّرْتَ بِه؛
المَشْوَرَةُ تهَبُ الإدراكَ والوعيَ، العُقولُ تَهَبُ العَونَ لِلْعُقول؛
شاوِرْ أخا رأيٍ فذاكَ مِنَ السُّنَن قالَ النَّبِيُّ *المُستشارُ مؤتَمَن*؛

منع الأرنب السِّرَّ عَنْهُم

قالَ لا ينبغي البَوْحُ بِكُلِّ سِرٍ، الأمْرُ يُفلِحُ حيناً وحيناً يخيبُ؛
مِنَ الصَّفاءِ لو جَعَلْتَ النَّفَسَ إلى مِرآةٍ، سريعاً تَصيرُ كَدِرَةً مِنَّا المِرآة؛
لا تُحَرّكْ الشَّفَةَ في بيانِ ثلاثٍ، ذهابِكَ وذَهَبِكَ ومذْهَبِك؛
هذي الثَّلاثُ لها الكثيرُ مِنَ خَصومٍ وأعداءٍ، واقِفينَ في الكمينِ لو علِموا بها؛
لو واحِداً واثْنَينِ أخْبَرْتَ، الوَداعْ ، كُلُّ سِرٍّ جاوَزَ الِاثْنَيْنِ شاعْ؛
لو رَبَطْتَ طائرَينِ أو ثلاثَةً معاً، تبقى على الأرضِ محبوسَةً مِنَ الألَم؛

تشاوروا والرَّأسُ مُغَطَّىً جَيّداً، كِنايَةٌ مَشوبَةٌ بما يوقِعُ الغَيرَ بالغَلَط؛
كانَ النَّبيُّ يقومُ بالمَشْوَرَةِ سِرَّاً، وكانَ حديثُهُ لَهُمْ جواباً بلا خَبَر؛
كانَ يُعطي الرَّأيِ في الحديثِ مُغَلَّفاً بالمِثال، فلا يعرِفُ الخَصْمُ رأساً مِنْ قَدَمٍ؛
فينالُ السَّائلُ جوابَ نَفْسِهِ مِنْهُ، ولم يَنَلْ غيرَ شُمَّةٍ مِنْ سؤاله؛

قِصَّةُ مَكْرِ الأرْنَب

بَعْدَ أنْ تأخَرَ ساعَةً في الحُضور، حَضَرَ أمامَ الأسَدِ الضَّارِبِ بالمَخَالِب؛
وبِسَبَبِ ذلِكَ التَّأخُّرِ وَقَفَ بعيداً، كانَ الأسَدُ ينكُثُ التُّرابَ ويُطْلِقُ الزَّئير؛
قالَ أنا قُلْتُ أنَّ عَهْدَ أولئكَ الأخِسَّاء الأخوامِ، خامٌ وواهٍ وغيرُ ناضِجٍ؛
لَقَدْ أوقَعَتني دَمْدَمَتُهُم عَنِ الحِمار، كَمْ وكَمْ عَملَ ليَ الخِداعَ هذا الدَّهْرُ؛
عَاجزٌ شديدُ العَجْزِ أميرٌ أحمَقٌ، لا يرَى مِنْ أمامِهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ مِنْ حُمْقِه؛
الطَّريقُ مُمَهَّدٌ وتَحْتَهُ الشِّباك، قُحطُ المعنى موجودٌ بينَ الأسماء؛
الألفاظُ والأسماءُ مِثلَ الشِّباك، اللَّفظُ العَذْبُ حَجَرُ ماءِ عُمْرنا؛
ذلِكَ الحَجَرُ الَّذي مِنْهُ يفورُ الماءُ، قليلٌ جَدَّاً فامْضِ وابْحَثْ عَنْه؛
فهُوَ مَنْبَعٌ للحِكْمَةِ فاطْلُبِ الحِكْمَةَ، فطالِبُها فارِغٌ مِنَ التَّحصيلِ والسَّبَب؛
اللَّوحُ الحافِظُ يصيرُ لوحاً محفوظاً، عَقْلُهُ يصيرُ بالرُّوحِ محظوظاً؛
كانَ لهُ العَقْلُ مِثْلَ المُعَلِّمِ في الإبتداء، بعْدَ هذا صارَ العَقْلُ تِلْميذاً لَهُ؛
العَقْلُ مِثْلَما قالَ جِبريلُ لأحْمَدَ، لو خَطَوتُ خُطْوَةً واحِدَةً لاحتَرَقْتُ؛
فأعْفِني مِنْ هذا ثُمَّ تَقَدَّمْ، هذا كانَ حَدِّي أي سُلطانَ الرُّوح؛
كُلُّ مَنْ بقِيَ مِنَ العَجْزِ بلا شُكْرٍ وَصَبْر، مُعَرَّفٌ بِأنَّهُ يُمسِكُ بِقَدَمِ الجَبْر؛
كُلُّ مَنْ جاءَ بالجَبْرِ أمرَضَ نَفْسَهُ، إلى أنْ يُنزِلَهُ مَرَضُهُ في القَبْر؛
قالَ النَّبِيُّ مَنْ تَمارَضَ يمرَض، حتَّى يموتَ كالسِّراج؛

الجَبْرُ بما كانَ رَبْطَ المكسور، أو وَصْلَ عِرْقٍ مبتور؛
وأنتَ لمْ تكسِرْ الرِّجْلَ بِهذا الطَّريق، فعلى مَنْ تَضْحَكُ بِرَبِطْكَ القَدَم؛
أمَّا ذلِكَ الَّذي كَسَرَ الرِّجْلَ بالسَّعْي، فقد وَصَلَتُهُ البُراقُ فامتطاها؛
حامِلُ الدِّينِ يجِبُ أنْ يكونَ عامِلاً بالدِّين، قابِلُ الأمْرِ يصيرُ مقبولاً؛
أوَّلاً قَبِلَ أمْرَ المَلِكِ، بَعْدَها صارَ أمْرُهُ سارياً على الجيش؛
أوَّلاً كانَ موضِعَ تأثيرِ النَّجْم، بعْدها صارَ أميراً على النَّجْم؛
إذا كانَ حصَلَ لديكَ الإشكالُ بالنَّظَر، فقد كانَ عِنْدَكَ الشَّكُّ في *انشَقَّ القَمَر*؛
فجَدِّدِ الإيمانَ وما هُوَ بِقَوْلِ لِسان، أيْ مَنْ جَدَّدْتَ في الخَفاءِ الهوى؛
بوجودِ الهوى الجديدِ لا إيمانَ جَديدٌ، الهوى ليسَ غَيْرَ قِفْلٍ على ذلِكَ الباب؛
لقَدْ قُمْتَ بالتَّأويلِ لِحَرْفٍ بِكْر، فقُمْ بتأويلِ النَّفْسِ وَدَعِ الذِّكْر؛
تقومُ بِتأويلِ القُرآنِ على الهوى، فانغلَقَ لكَ ومالَ عَنْكَ سنيُّ المَعْنى؛

زَيْفُ تأويلِ الذُّبابَةِ الرَّكيك

تِلْكَ الذُّبابَةُ على وَرَقَةٍ يابِسَةٍ وبولِ حِمار، رَفَعَتِ الرَّأسَ مِثْلَ رُبَّانِ السَّفينَةِ؛
قالَتْ كم طَلَبْتُ البَحْرَ والسَّفين، وبقِيَ ذلِكَ مَنْذُ مُدَّة في فِكْري؛
هذا هُوَ البَحْرُ وهذي السَّفينَةُ وأنا الملَّاح، وأنا أهْلُ الرَّأيِ والفَنّ؛
وأبحَرَتْ في عُرْضِ البَحْرِ في سَفينَةٍ، بَدَتْ لها خارِجَ الحَدِّ في الكِبَر؛
ذلِكَ البَولُ بالنِّسْبَةِ لها بدا بلا حَدٍّ، أينَ عَقْلٌ يرى ذلِكَ على حَقيقَتِه؛
عالَمُها بدا واسِعاً كثيراً لِنَظَرِها، والعَينُ الواسِعَةُ ترى البَحْرَ الواسِعَ صَغيراً؛
صاحِبُ التَّأويلِ الباطِلِ مَثَلُهُ كالذُّبابَةِ، وَهْمُهُ بَوْلُ حِمارٍ وتأويلُهُ خسيسٌ؛
لو أنَّ الذُّبابَةَ تَرَكَتِ التَّأويلَ بالرَّأي، لَجَعَلَ مِنْها البَخْتُ طائراً ميموناً؛
وتِلْكَ لن تكونَ ذُبابَةً لأنَّ بِها عِبْرَةً ، وروحُها تكونُ غيرَ موافِقَةٍ لِصُورَتِها؛

تَضايُقُ الأسَد مِنْ تأخُّر الأرنَب

نَظِيرُ ذلِكَ الأرْنَبِ الَّذي كادَ الأَسَدَ، متى كانَتْ رُوحُهُ موافِقَةً لِقَدّه؛
قالَ الأسَدُ مُحتَدَّاً غاضِباً، لَقَدْ أغْمَضَ العَدُوُّ عَيني عَنْ طريقِ أُذُني؛
مَكْرُ الجَبريّينَ قَيَّدَني، سَيفُهُم الخَشَبيُّ أوهى جَسَدي؛
مِنَ الآنَ فصاعِداً لنْ أستَمِعَ لِتِلْكَ الدَّمْدَمَة، فكُلُّ ذلِكَ صُراخُ مَجنونٍ وغيلان؛
فمزِّقْهُمْ أي قَلْبُ لا تتردَّدْ، انزَعْ جُلودَهُم فليسَ لهُمْ غيرُ الجلود؛
الجِلْدُ ليسَ غَيْرَ أحاديثَ مُختَلِفَةِ الألوان، كتِرْسٍ على الماءِ لا سُكونَ له؛
هذا الحديثُ كالجِلْدِ والمعنى كاللُّبّ، هذا الحديثُ كالرَّسْمِ والمعنى كالرُّوح؛
الجِلْدُ يكونُ ساتِراً لِعَيْبِ اللُّبّ، والغَيْبُ غَيْرَةً يستُرُ اللُّبَّ الجَميلَ؛
بما أنَّ القَلَمَ كانَ مِنَ الرِّيحِ والدَّفْتَرَ مِنَ الماء، كُلُّ ما كتبتَ فنيَ سريعاً؛
نَقْشٌ على الماءِ إنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مِنْهُ الوفاء، فسوفَ تَعَضُّ اليَدَينِ مُجَدَّداً نَدَماً؛
الرِّيحُ في النَّاسِ هِيَ الهوى والأَمَل، فإنْ تَرَكْتَ الهَوى وَجَدْتَ رِسالَةَ الهُوَ؛
وكمْ هِيَ جميلَةٌ رسائِلُ الفَعَّالِ، إنَّها مُحْكَمَةٌ مِنَ الرَّأسِ إلى القَدَم؛
خُطْبَةُ المُلوكِ تزولُ وذلِكَ المَجْدُ، ليسَ غَيْرَ مَجْدِ الأنبياءِ وخُطَبِهِم؛
ذلِكَ أنَّ جلالَ المُلوكِ مِنْ هواء، وكِتابُ أعمالِ الأنبياءِ مِنْ كِبرياء؛
يُمحى اِسْمُ المُلوكِ عَنِ الدَّراهِمِ، ويُضْرَبُ عليها إلى القيامَةِ اِسْمُ أحْمَد؛
اِسْمُ أحْمَدَ اِسْمُ جُمْلَةِ الأنبياء، إذا جاءَتِ المِئَةُ جاءَتِ التِّسْعونِ ضِمْنَها؛

في بيان مكر الأرنب أيضاً

تأخَّرَ الأرْنَبُ كثيراً في الحُضور، وكانَ قَد بيَّتَ المَكْرَ بينَهُ وبينَ نَفْسِه؛
وسارَ في الطَّريقِ بَعْدَ طولِ تأخيرٍ، ليُسِرَّ للأسَدِ سِرَّاً أو سِرَّينِ في الأُذُن؛

كمْ هُناكَ مِنْ عوالِمَ في سُوَيداءِ العَقْل، وكمْ هُوَ عَميقٌ بَحْرُ العَقْل؛
صورَتُنا في وَسَطِ بَحْرِ العَذابِ هذا، تجري كما الكأساتُ على سَطْحِ الماء؛
ما لَمْ تَمْتلئْ تَظَلُّ على الماءِ كالطَّسْت، فإذا امتَلأَ الطَّسْتُ غَرِقَ بالماء؛
العَقْلُ خفيٌّ والظَّاهِرُ العالَمُ، صُورَتُنا المَوجُ أو قَطْرَةٌ مِنْه؛
كُلُّ مَنْ اتَّخَذَ مِنَ الصُّورَةِ وسيلَةً، يُلقي بِهِ البَحْرُ مِنْ تِلْكَ الوسيلَةِ بعيداً؛
ما لَمْ يَرَ مُعطي القلبِ السِّرَّ، ما لَمْ يرَ السَّهْمَ المُلقى بعيداً؛
حِصانُهُ جموحٌ بِهِ ومِنَ العِناد، يسوقُ حِصانَهُ في الطَّرِيقِ الوَعْر؛
وذاكَ الفارِسُ حِصانُهُ جموحٌ، وحِصانُهُ يجري بِهِ كأنَّهُ الرِّيح؛
وذاكَ العنيدُ الرَّأسِ يبحَثُ عَنْهُ في صُراخ، باحِثاً مُتفحِّصاً مِنْ بابٍ إلى باب؛
أنْ سارِقُ حِصاني مَنْ هُوَ وَمَنْ يكون، ما ذاكَ الَّذي تحْتَ فَخِذِكَ أي سيِّد؛
نَعَمْ هذا جوادٌ لكِنْ هذا الجوادُ أين، ابْحَثْ عنِ الجوادِ عِنْدَ نَفْسِكَ أيُّها الفارِس؛
الرُّوحُ مِنَ الظُّهورِ والقُرْبِ مَفقودَةٌ، كالدَّنِّ بَطْنُهُ مملوءٌ بالماءِ وَشَفَتُهُ يابِسَةٌ؛
مَتى ترى الأحْمَرَ والأخْضَرَ والأَصْفَرَ، إنْ لَمْ تَرَ ما قَبْلَ هذِهِ الأنوارِ الثَّلاثَة؛
لكِنْ بِما أنَّ انتِباهَكَ ضاعَ في اللَّون، صارَتْ لكَ الألوانُ حِجاباً عنِ النُّور؛
بما أنَّ تلكَ الألوانُ تُسْتَرُ إذا حَلَّ اللَّيلُ، فرؤيَةُ اللَّونِ بالعَينِ تكونُ مِنَ النُّور؛
لا رؤيَةَ لِلَّونِ دونَ وجودِ النُّورِ في الخارِج، ومِثْلُ ذلِكَ لونُ خيالِ الدَّاخِل؛
هذا في الخارِجِ مِنَ الشَّمْسِ ومِنَ السُّها، وفي الدَّاخِلِ مِنْ انعِكاسِ أنوارِ عُلى؛
نورُ نورِ العَينِ نَفْسُ نورِ القَلْب، نورُ العَينِ حاصِلٌ مِنْ نورِ القلوب؛
ثُمَّ نورُ نورِ القَلْبِ مِنْ نورِ الإلهِ، مُطَهَّرٌ ومُنْفَصِلٌ عَنْ نورِ العَقْلِ والحِسّ؛
في اللَّيلِ لا نُورَ فلا ترى الألوانَ، فصارَ واضِحاً لكَ أنَّ اللَّونَ ضِدُّ النُّور؛
فرؤيَةُ النُّورِ أوَّلاً ثُمَّ انظُرْ إلى اللَّون، واعْرِفْ هذا بِضِدِّ النُّورِ فَوراً؛
فقدْ عَرِفْتَ النُّورَ بِضِدِّ النُّور، الضِّدُّ يُظْهِرُ الضِّدَّ في الصُّدور؛

خَلَقَ الحَقُّ قُوَّةَ الألَمِ والغَمَّ، ليَظْهَرَ سُرورُ القَلْبِ بِهذا الضِّدّ؛
الأشياءُ الخَفِيَّةُ تَظْهَرُ بالضِّدِّ، واللهُ ليسَ لهُ ضِدٌّ خَفيٌّ؛
لا ضِدَّ لنورِ الحَقِّ بالوجود، حتَّى يكونَ مُمْكِنَ الإظْهارِ بالضِّدّ؛
لا جَرَمَ أبصارُنا لا تُدْرِكُه، وهُوَ يُدرِكُ انظُرْ مِنْ موسى والجَبَل؛
الصُّورَةُ مِنَ المعنى كالأسَدِ مِنَ الدَّغَل، أو كالصَّوتِ والكلامِ مِنَ الفِكْر؛
الكلامُ والصَّوتُ ظَهَرا مِنَ الفِكْر، وأنتَ لا تَعْرِفُ أينَ هُوَ بَحْرُ الفِكْر؛
لكِنْ إذا رأيْتَ موجَ الكلامِ لطيفاً، عَلِمْتَ أنَّ بَحْرَ ذلِكَ الكلامِ كانَ شريفاً؛
حينَ ارتَفَعَ عالياً مِنَ العِلْمِ مَوجُ الفِكْر، صاغَ صورَةً مِنَ الكلامِ والصَّوت؛
وُلِدَتْ صُورَةٌ مِنَ الكلامِ ثُمَّ ماتَت، عادَ المَوجُ مِنْ نَفْسِهِ ثانِيَةً إلى البَحْر؛
تخرُجُ الصُّورَةُ مِمَّا لا صُورَةَ لهُ خارِجاً، ثُمَّ تعودُ بإنَّا إلَيْهِ راجِعون؛
ففي كُلِّ لَحْظَةٍ لَكَ مَوتٌ ورَجْعَةٌ، المُصطَفى قالَ الدُّنيا ساعَةٌ؛
فِكْرُنا سَهْمٌ مِنَ الهَوِيَّةِ في الهواء، إلى كم يثْبُتُ في الهواءِ حتَّى يعودَ إلى الله؛
كُلَّ نَفَسٍ تَتَجَدَّدُ الدُّنيا ونَحْنُ، بلا خَبَرٍ عَنِ التَّجَدُّدِ في البقاء؛
العُمْرُ كالجَدْوَلِ كُلُّ واصِلٍ مِنْهُ جَديدٌ، وهُوَ يظْهَرُ مُستَمِرّاً في الجَسَد؛
مِنَ الحَرَكَةِ المُستَمِرَّةِ يتولَّدُ شَكْلٌ، كما لو حَرَّكْتَ شُعْلَةً بِسُرْعَةٍ باليَد؛
ولو جَعَلْتَ غُصْنَ نارٍ يتحَرَّكُ سريعاً، لظَهَرَتِ النَّارُ للنَّظَرِ طويلَةً كثيراً؛
هذا الطُّولُ مُدَّةً مِنَ السُّرْعَةِ المُصطَنَعَة، وهُوَ يُظْهِرُ سُرْعَةً مُصطَنَعَة؛
طالِبُ هذا السِّرِ، إنْ كانَ لهُ علامَةٌ، فنِعْمَ حُسام الدِّينِ سامي الرِّسالة؛

وصولُ الأرْنَب إلى الأسَد وغَضَب الأسَد عليه

الأسَدُ في النَّارِ والغَضَبِ والاِضطراب، رأى ذلِكَ الأرْنَبَ مُقبِلاً مِنْ بعيد؛
يركُضُ بلا رَهْبَةٍ وفي جَسارَةٍ، وهُوَ غاضِبٌ مُنْدَفِعٌ حادُّ المِزاجِ مُقطِّبٌ؛

فإنَّ الإقبالَ بانكِسارٍ تُهْمَةٌ، وإنَّ الجُرْأةَ رَفْعٌ لِكُلِّ ريبَةٍ؛
حينَ وَصَلَ واقْتَرَبَ أكثَرَ مِنَ الصَّفِّ، صَرَخَ الأسَدُ، ها أيُّها العاقُّ؛
أنا الَّذي مَزَّقْتُ وفَرَّقْتُ الثِّيران، أنا الَّذي فَرَكْتُ أُذُنَ الفيل؛
أيكونُ أرْنَبٌ مِثْلَكَ هكذا، يُلقي بأمري على التُّراب؛
اترُكْ نَومَ الغَفْلَةِ أَي أرْنَبُ، واسمَعْ زئيرَ الأسَدِ أيُّها الحِمار؛

اعتِذارُ الأرنَبْ

قالَ الأرْنَبُ الأمانَ فعِنْدِيَ العُذْرُ، إذا أعانَ عَفْوُكَ المَلَكِيُّ؛
قالَ أيُّ عُذْرٍ، أيُّ قُصورٍ، البُلَهاءُ هذا الزَّمانَ يقِفونَ قُدَّامَ الملوك؛
طائرٌ بلا وَقْتٍ، رأسُكَ يجِبُ أنْ يُقْطَع، عُذْرُ الأحْمَقِ يَجِبُ ألَّا يُسْمَع؛
عُذْرُ الأحْمَقِ أشَدُّ سوءاً مِنْ جُرْمِه، عُذْرُ الجاهِلِ سُمُّ كُلِّ عِلْم؛
عُذْرُكَ أيْ أرْنَبُ خالٍ مِنَ العِلْم، أنا لأيِّ أرنَبٍ أُعطي الأُذُن؛
قالَ أيْ مَلِكُ، عُدَّ هذا الوَضيعَ مخلوقاً، أعْطِ السَّمْعَ لِعُذْرِ هذا المَظلوم؛
زكاةَ الجاهِ مِنْ نَفْسِكَ خاصَّةً، لا تُبْعِدِ الضَّالَّ عَنْ طريقِك؛
البَحْرُ الَّذي يُعطي الماءَ لِكُلِّ ساقِيَةٍ، يحْمِلُ كُلَّ خسيسٍ على الرَّأسِ والوَجْه؛
لنْ يقلَّ البَحْرُ مِنْ هذا الكَرَم، مِنَ الكَرَمِ البَحْرُ لا ينقُصُ ولا يزيد؛
قالَ الكَرَمُ عِنْدِي في مَحَلِّه، أنا أجْعَلُ ثَوبَ كُلِّ شَخْصٍ على قَدِّه؛
قالَ استَمِعْ، لو لمْ أكُنْ مَحَلَّاً للُّطْف، كُنْتُ خَضَعْتُ أمامَ ثعابينِ العُنْف؛
أنا وَقْتَ الضُّحى سِرْتُ في الطَّريق، قادِماً إلى المَلِك مَعَ رفيق؛
كانَ مَعي لَكَ أرنَبٌ آخَرٌ، أرسَلَنا القَومُ إليك كِلَينا مَعاً؛
أسَدٌ في الطَّريقِ هاجَمَ هذا العَبْدَ، هجَمَ على الرَّفيقَينِ القادِمَينِ إليكَ مَعاً؛
قُلْتُ لهُ نَحْنُ مِنْ عبيدِ مَلِكِنا مَلِكِ الملوك، أسَدِ الأُسودِ، ونَحْنُ مِنَ الخَدَمِ ببابه؛

قالَ أيُّ مَلِكٍ ملوكٍ هذا، استَحيِ، لا تأتِ بِذِكْرِ كُلِّ خسيسٍ أمامي؛
سوفَ أُمَزِّقُكَ وأُمَزِّقُ مَلِكَكَ أيضاً، إذا غادَرْتَ أنْتَ ورفيقُكَ بابي؛
قُلْتُ دعني إلى مَرَّةٍ أُخرى، لأرى وَجْهَ مَلِكي وأحْمِلَ عَنْكَ الخَبَر؛
قالَ فاجْعَلْ رفيقَكَ عِنْدي رَهْناً، وإلّا كُنْتَ القُربانَ في شِرْعَتي؛
تَوَسَّلْتُ إليهِ كَثيراً سُدىً، أَخَذَ رفيقي وتَرَكَني؛
كانَ رفيقي أضْخَمَ مَرَّتَين مِنّي، وكانَ ألْطَفَ وكانَ أجْمَلَ وكانَ أجْسَم؛
بَعْدَ هذا أُغْلِقَ الطَّريقُ مِنْ ذلِكَ الأسَد، حَبْلُ إيمانِنا صارَ مَقطوعاً؛
فمِنَ الوَظيفَةِ بَعْدَ الآنَ فاقْطَعِ الأمَلَ، قُلْتُ لكَ الحَقَّ والحَقُّ مُرّ؛
إنْ كُنْتَ تُريدُ الوظيفَةَ طَهِّرِ الطَّريق، هيّا تَعالَ وادْفَعْ ذلِكَ الوَقِح؛

جوابُ الأسَدِ للأرنَب ومَسيرُهُ مَعَه

قالَ بِسْمِ اللهِ، تَعالَ إلى حَيثُ هُوَ، تَقَدَّمْ أمامي إنْ كانَ قولُكَ صحيحاً؛
لأُعطِيَهُ جزاءَهُ وجزاءَ مِئَةٍ مِنْ أمثالِه، وإنْ كُنْتَ كاذِباً فالجزاءُ لَكَ أنْتَ؛
وسارَ كالدَّليلِ مِنْ أمامِهِ، آخِذاً إيَّاهُ جِهَةَ مَصيَدَةِ نَفْسِه؛
جِهَةَ بِئرٍ كانَ قَدْ جَعَلَ العلامَةَ عليها، بِئرٍ عَميقَةٍ نَصَبَ بِها الشِّباكَ لروحِه؛
ذَهَبا كلاهُما مَعاً إلى جِوارِ البئر، هاكَ الأرنَبَ وكانَ الماءُ تَحْتَ القَشّ؛
الماءُ يحمِلُ القَشَّ إلى الأرْضِ المُستويَة، الماءُ كيفَ يحمِلُ الجَبَلَ، عَجَباً؛
شَبَكَةُ فِكْرِهِ كانَتْ حِبالَةَ الأسَد، طُرْفَةُ أرْنَبٍ اختَطَفَتْ أسَداً؛
موسويٌّ سَحَبَ فِرْعَونَ إلى نَهْرِ النّيل، مَعَ جَيشِهِ وَجَمْعِهِ الثَّقيل؛
بَعوضَةٌ بِنِصْفِ جناحٍ، فَتَحَتْ دَرْزَ رأْسِ فِرعَونَ بلا مُحاباة؛
هذِهِ حالُ مِنْ سَمِعَ قَولَ العَدْوّ، انظُرْ جزاءَ مِنْ كانَ رفيقَهُ الحسود؛
حالُ فِرْعَونَ الَّذي استَمَعَ إلى هامان، حالُ نَمْرودَ الَّذي استَمَعَ إلى الشَّيطان؛

العَدُوُّ وإنْ تَحَدَّثَ إليكَ كصديقٍ، هُوَ الفَخُّ ولَوْ حَدَّثَكَ عَنِ الحَبّ؛
إذا أعطاكَ القَنْدَ فاعْلَمْ أنَّهُ السُّمّ، وإنْ عَمِلَ لَكَ اللُّطْفَ فاعْلَمْ أنَّهُ القَهْر؛
إذا جاءَ القَضاءُ لا ترى سِوى القِشْرِ، لا تعودُ تَعْرِفُ العَدوَّ مِنَ الصَّديق؛
فإنْ كانَتْ هذِهِ هِيَ الحالُ فابدأْ بالإبتِهال، قُمْ بالبُكاءِ والتَّسبيحِ والصَّوم؛
وقُلْ في بُكاءٍ أي عَلَّامَ الغُيوب، لا تَرْضَخْنا بِصَخْرِ مَكْرِ السُّوء؛
إنْ عَمِلْنا عَمَلَ الكَلْبِ أي خالِقَ الأسَد، لا تُسَلِّطْ علينا الأسَدَ مِنْ هذا الكمين؛
لا تُعْطِ الماءَ العَذْبَ صورَةَ النَّار، ولا تَجْعَلْ في النَّارِ صورَةَ الماء؛
مِنْ شَرابِ القَهْرِ إذْ تُعطي السُّكْرَ، تُعطي المَعْدوماتِ صورَةَ الوجود؛
إذا رَفَعَ السُّكْرُ غِطاءَ العَينِ عَنِ العَين، يظْهَرُ الحَجَرُ جَوْهَراً والصُّوفُ يَشْماً؛
وإذا ما بَدَّلَ السُّكْرُ الحواسَّ تبديلاً، صارَ خَشَبُ الصَّحْراءِ في النَّظَرِ صَنْدلاً؛

قِصَّةُ الهُدْهُد وَسُلَيمان وبيان أنَّهُ حينَ
يجيءُ القَضاءُ تعمى العُيونُ المُبْصِرَة

حينَ ضُرِبَ الفِسطاطُ لِسُليمانَ، جاءَتِ الطُّيورُ جُمْلَةً لِخِدْمَتِه؛
وجَدوا رفيقَ اللِّسانِ ومَحْرَمَ النَّفْسِ، واحِداً واحِداً أتوا مُسرِعينَ إليهِ بالرُّوح؛
كُلُّ الطُّيورِ تَرَكَتِ الكلامَ غيرَ الفَصيحِ، صارَتْ مَعَ سُليمانَ *أفصَحَ مِنْ أخيك*؛
إنَّ اللِّسانَ قرابَةٌ وَصِلَةُ وَصْلٍ، والمَرْءُ مَعَ غَيرِ أهْلِ لِسانِهِ كالمُقيَّد؛
كم مِنْ هِنديٍّ وتُركيٍّ لهُما نَفْسُ اللِّسان، وكم مِنْ تُركِيَّينِ كَغَريبَين؛
إذَنْ مَحْرَمُ اللِّسانِ شيءٌ آخَرٌ، شريكُ القَلْبِ خَيْرٌ مِنْ شَريكِ اللِّسان؛
غيرَ النُّطْقِ وغيرَ الإيماءِ والكُتُبِ، مئاتُ ألوفِ التَّراجِمِ نَهَضَتْ مِنَ القَلْب؛
الطُّيورُ جُمْلَةً، كُلٌّ جاءَ بِأسرارِ نَفْسِهِ، مِنَ الفَضْلِ ومِنَ العِلْمِ ومِنَ العَمَل؛
يُظْهِرُها لِسُليمانَ واحِداً واحِداً، عارِضاً نَفْسَهُ مُثنياً عليها؛

ما كانَ مِنْ تكبُّرٍ ولا مِنْ أنانِيَّةٍ، كانَ مِنْ أجْلِ أنْ يُعطى لَهُ الطَّريقُ إليه؛
حينَ تَجِبُ لِواحِدٍ حَضْرَةُ سَيِّدِه، يقومُ بِعَرْضِ ديباجَةٍ عنْ فَضْلِه؛
وإذا كانَ عَيبٌ في بِضاعَتِه، بدا مريضاً وعاجِزاً وأعمى وأخرَساً؛
وَصَلَتْ نَوبَةُ الهُدْهُدِ وحِرفَتِهِ، وبيانِ صَنْعَتِهِ تِلْكَ وفِكْرَتِه؛
قالَ أي مَلِكُ عَنْ فَنٍّ لي هو الأصْغَرُ، سأُعيدُ الكلامَ وقليلُ الكلامِ أفضَلُ؛
قالَ قُلْ وما ذلِكَ الفَنُّ، قالَ أنا ذلِكَ الوَقْتَ الَّذي أكونُ فيهِ في الأوجِ؛
أنظُرُ مِنَ الأوجِ بِعَيْنِ اليقين، فأرى الماءَ في قَعْرِ الأرض؛
أينَ يكونُ، ما عُمْقُهُ، ما لونُهُ، ومِنْ أينَ يفورُ، مِنْ صَخْرٍ أمْ مِنْ تُراب؛
أيْ سُلَيمانُ لأجْلِ عَسْكَرِكَ في الحَرْب، اِجْعَلْ مَعَكَ دائماً بالسَّفَرِ هذا الخبير؛
قالَ سُليمانُ كُنْ معي الرَّفيق ، في الصَّحاري الَّتي ما بِها الماء، أي شفيق؛

طَعْنُ الغُرابِ في دَعوى الهُدْهُد

الغُرابُ حينَ سَمِعَ جاءَ عَنْ حَسَدٍ، قالَ لِسُلَيمانَ كلامُهُ أعوَجٌ ورديءٌ؛
أمامَ الشَّاهِ مِنَ الأدَبِ لا يحُقُّ المَقالُ، تباهياً بخاصَّةِ النَّفْسِ بالكِذْبِ والمحال؛
لو كانَ لهُ هذا النَّظَرُ على الدَّوام، كيفَ لمْ يَرَ الفَخَّ تَحْتَ حَفْنَةٍ مِنْ تُراب؛
كيفَ وَقَعَ في الفَخِّ مأسوراً، وكيفَ صارَ ضِمْنَ القَفَصِ مُكْرَهاً؛
قالَ سُليمانُ أي هُدْهُدُ ألائقٌ، أنْ يَظْهَرَ مِنْكَ الكَدَرُ مِنْ أوَّلِ قَدَح؛
كيفَ تُظْهِرُ السُّكْرَ وقد شَرِبْتَ لبَنَاً مَخيضاً ، ثُمَّ تأتي تباهى أمامي بالكَذِب؛

جوابُ الهُدْهُدِ على طَعْنِ الغُراب

قالَ أي شاهُ في شأني أنا العاري الفقير، لا تستَمِعْ إلى قَوْلِ العَدُوِّ لأجْلِ الله؛
إذا كُنْتُ قُمْتُ بِدَعوايَ باطِلاً، دونَكَ الرَّأسَ فاقْطَعْهُ عَنْ عُنُقي؛

الغُرابُ المُنْكِرُ لِحُكْمِ الله، كافِرٌ ولو مَلَكَ أَلْفَ عقلٍ؛
لا كانَ بابُكَ في حاجَةِ الكافِرينَ، أَهْلِ النَّتَنِ والشَّهْوَةِ بَينَ الفَخْذَين؛
أنا كُنْتُ لِأرى الفَخَّ مِنَ الهواء، لو لَمْ يكُنْ غَطَّى عَيْنَ عَقلي القَضاء؛
إذا جاءَ القَضاءُ ذَهَبَ العِلْمُ في النَّوم، ويسوَدُّ القَمَرُ وتنكَسِفُ الشَّمْس؛
ومتى كانَ هذا الصُّنْعُ نادِراً مِنَ القَضاء، اِعلَمْ أَنَّ مُنْكِرَ القَضاءِ مِنَ القَضاء؛

قِصَّةُ آدَمَ عليهِ السّلام وإغلاقُ القَضاءِ نَظَرَهُ عَنْ مُراعاةِ صريحِ النَّهْيِ وتَرْكِ التَّأويل

أبو البَشَرِ المُخاطَبُ بِعَلَّمَ الأسماءَ، عِنْدَهُ مئاتُ ألوفِ العُلومِ في كُلِّ عِرْق؛
اِسْمُ كُلِّ شَيءٍ أيّاً كانَ ذلِكَ الشَّيءُ، أُعطِيَ لهُ إلى نِهايَةِ الحياة؛
كُلُّ لَقَبٍ أُعطيَ لهُ سَوفَ لَنْ يُبَدَّلَ، والَّذي سُمِّيَ عَجولاً لَنْ يصيرَ بَطيئاً؛
كُلَّ مَنْ كانَ آخِراً مؤمِناً رآهُ أوَّلاً، وظَهَرَ لهُ كُلُّ مَنْ كانَ آخِراً كافِراً؛
اِسْمَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ عالِمٍ فلتَسْمَعْ، رَمْزَ سِرِّ عَلَّمَ الأسماءَ فلتَسْمَعْ؛
اِسْمَ كُلِّ شَيءٍ لنا ظاهِرُهُ، اِسْمَ كُلِّ شَيءٍ للخالِقِ باطِنُهُ؛
اِسْمُ عودِ موسى كانَ عِنْدَهُ عَصاً، عِنْدَ الخالِقِ كانَ اِسمُهُ ثُعْباناً؛
كانَ لِعُمَرَ هُنا اِسْمُ عابِدِ صَنَم، وكانَ اسمُهُ في عَهْدِ *أَلَسْتُ* مؤمِناً؛
وذاكَ الَّذي عِنْدَنا اِسْمُهُ المَنِيُّ، عِنْدَ الحَقِّ هوَ الصُّورَةُ الَّتي للمَنِيّ؛
فقد كانَتْ لِهذا المَنِيّ صُورَةٌ في القِدَمِ، موجودَةٌ عِنْدَ الحَقّ لا تنقُصُ ولا تزيد؛
جاءَ الحاصِلُ حَقيقَةَ اِسْمِنا، الَّتي كانَتْ عِنْدَ الحَضْرَةِ نِهايَتَنا؛
فقد وُضِعَ للمَرءِ اِسمٌ وِفْقَ عاقِبَتِهِ، لا وِفْقَ الاِسْمِ الَّذي أُعْطِيَ لهُ عارِيَةً؛
عَينُ آدَمَ إذْ نَظَرَتْ بالنُّورِ الطَّاهِرِ، ظَهَرَ لها الرُّوحُ وسِرُّ الأسماءِ؛
ولمَّا رأى المَلَكُ مِنْهُ أنوارَ الحقِّ، خرَّ ساجِداً وأسْرَعَ للخِدْمَة؛

عَنْ مَدْحِ آدَمَ الَّذي أنا أحْمِلُ اِسْمَهُ، أنا عاجِزٌ ولو قُمْتُ بالعَدِّ إلى القيامة؛
ومَعَ كُلِّ هذا العِلْمِ لمَّا جاءَ القَضاءُ، عَلِمَ نَهْياً واحِداً مِنْ وَجْهِ الخَطَأ؛
أنْ عَجَباً أكانَ النَّهْيُ بِقَصْدِ التَّحريم، أم كانَ فيهِ توهيمٌ وكانَ للتَّأويل؛
حينَ وَجَدَ في قَلْبِهِ التَّرجيحَ للتَّأويل، القَلْبُ في الحَيْرَةِ أسْرَعَ إلى الحِنْطَة؛
وحيثُ أنَّ شوكَةً دَخَلَتْ في قَدَمِ البُستانِيّ، اغتَنَمَ سارِقٌ الفُرْصَةَ وأخَذَ مَتاعَهُ؛
ولمَّا نجا مِنَ الحَيْرَةِ عادَ مُجَدَّداً للطَّريق، فرأى متاعَهُ مسروقاً مِنْ اللِّصّ؛
قال *ربَّنا إنَّا ظَلَمنا* وأطلقَ الآه، يعني جاءتِ الظُّلُماتُ وضاعَ الطَّريق؛
الغَيْمُ في الفَضاءِ إذا غطَّى الشَّمْس، الأسَدُ والثُّعبانُ يصيرانِ كالفأر؛
فإنْ أنا لمْ أرَ الفَخَّ فذا لِمَوْضِعِ حُكْمٍ، ولستُ الوحيدَ الجاهِلَ في طريقِ الحُكْم؛
فهنيئاً لِذلِكَ الَّذي يفعَلُ الخير، ويترُكُ القُوَّةَ ويأخُذُ بالضَّعْف؛
لو غطَّاكَ القضاءُ بالسَوادِ كاللَّيل، القَضاءُ أيضاً يأخُذُ بيدِكَ في العاقِبَة؛
لَو قصَدَ القَضاءُ مِئَةَ مَرَّةٍ روحَكَ، القضاءُ أيضاً يَهَبُكَ الرُّوحَ ويُداويك؛
هذا القَضاءُ لو مِئةَ مَرَّةٍ قَطَعَ دَرْبَك، فقد نَصَبَ على أعلى الفَلَكِ خَيمَتَك؛
اعْرِفِ هذا الَّذي يُخوِّفُكَ بِهِ مِنَ الكَرَمِ، ذلِكَ لِكَي يُجْلِسَكَ في مُلْكِ الأمْن؛
هذا الحديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وقد تأخَّرْنا، استَمِعْ إلى قَصَّةِ الأرنَبِ والأسَد؛

تراجُع الأرنب خلف الأسد عندما وَصَلَ إلى البئر

عندما وَصَلا إلى مَقْرُبَةٍ مِنَ البئرِ، رأى الأسَدُ أنَّ الأرْنَبَ تَوَقَّفَ ثُمَّ تَقَهْقَر؛
قالَ علامَ سَحَبْتَ القَدَمَ إلى الخَلْف، لا تَسْحَبِ القَدَمَ للخَلْفِ وتَقَدَّمْ للأمام؛
قالَ أينَ قَدَمي، إنَّ قَدَمي ويدي ضاعَتا، وروحي تَرْتَجِفُ وقلبي ينخَطِف؛
ألا ترى لونَ وَجْهِي كالذَّهَب، عن داخِلي يُعطيكَ لوني الخَبَر؛
الحَقُّ قالَ يُعْرَفونَ بسيماهُم، عينُ العارِفِ تَظَلُّ تنظُرُ إلى السّيماء؛

اللّونُ والإشارَةُ يأتيانِ كالجَرَس، عنِ الفَرَسِ يُنبئُ صهيلُ الفَرَس؛
صوتُ كُلِّ شيءٍ يوصِلُ عَنْهُ الخَبَر، لِتَعْرِفَ صوتَ الحِمارِ مِنْ صوتِ الباب؛
قالَ النَّبيُّ بتمييزِ الأشخاص، *المرءُ مخفيٌّ لدى طَيِّ اللّسان*؛
لونُهُ عَنْ حالِ قلبِهِ يملكُ إشارَةً، ارحَمْني وازرَع مَحَبَّتي في القَلْب؛
لونُ الوَجْهِ الأحْمَرِ فيهِ صوتُ الشُّكْر، صَوتُ الوَجْهِ المُصْفَرِّ صَبْرٌ ونكْر؛
نَزَلَ بي ما سَلَبَني يدي وَقَدَمي، أَخَذَ قُوَّتي وسيمائي ولَونَ وَجْهِي؛
الَّذي لو نَزَلَ بأيِّ شَيءٍ لَكَسَرَه، ويقتَلِعُ كُلَّ شَجَرَةٍ مِنْ جَذْرِها وأصْلِها؛
نَزَلَ بي ما مَنْ أُصيبَ بِهِ مات، مِنْ آدَمِيٍّ وَحَيٍّ وجامِدٍ ونبات؛
وليسَ اصفِرارُ اللَّونِ والرِّيحُ الفاسِدةُ، غَيْرَ جُزءينِ مِنَ الكُلِّيَّاتِ مِنْهُ؛
هكذا الكَونُ حيناً صابِرٌ وحِيناً شَكورٌ، والبُستانُ حيناً حالٍ وحيناً عارٍ؛
الشَّمْسُ الَّتي تُشرِقُ بلونِ النَّارِ، بعْدَ ساعَةٍ أُخرى لونُها ينقَلِبُ؛
النُّجومُ المُشِعَّةُ في السَّماءِ الرَّابِعَة، لحظَةً بلَحْظَةٍ تُبتلى بالاِحتراق؛
القَمَرُ الَّذي هُوَ زائدُ الجَمالِ عَنِ النَّجْمِ، يُصبِحُ مِنْ مَرَضِ النُّحولِ كالخَيال؛
هذِهِ الأرْضُ ذاتُ السُّكونِ في أدَب، تُرْجِفُها الزَّلْزَلَةُ الرَّجيفَ مِنَ الحُمَّى؛
كم مِنْ جَبَلٍ صارَ مِنْ هذا البلاءِ دَكَّاً، واستحالَ في الدُّنيا تُراباً دقيقاً ورمْلاً؛
هذا الهواءُ جاءَ مُقتَرِناً بالرُّوح، وحينَ جاءَ القَضاءُ صارَ وباءً وَعَفَناً؛
الماءُ العَذْبُ الَّذي هُوَ رَضيعُ الرّوح، في الغَديرِ صارَ أصْفَرَ وأسوَدَ ومُرَّاً؛
النَّارُ الَّتي تملكُ الرِّيحَ في السَّبيل، هُناكَ ريحٌ تَجْعَلُها تموت؛
حالُ البَحْرِ مِنْ اضطرابِهِ وجَيَشانِهِ، افْهَمْ منهُ تبديلاتِ روحِه؛
والفَلَكُ الحَيرانُ الَّذي هُوَ في حَرَكَةٍ وارتِعاشٍ، حالُهُ كحالِ أبنائه؛
حيناً حَضيضٌ وحيناً وَسَطٌ وحيناً أوجٌ، يمُرُّ بِهِ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ فوجٌ ففوجٌ؛
مِنَ النَّفْسِ أيْ جُزءاً مُختَلِطاً مِنْ كُلِّيَّاتٍ، قُمْ بِفَهْمِ حالَةِ كُلِّ مُنبَسِط؛

حينَ تكونُ الكُلّيَّاتُ بِها الألمُ والمَرَضُ، كيفَ لا يكونُ جُزْءُها مُصْفَرَّ الوَجْه؛
خاصَّةً الجُزْءُ الَّذي جُمِعَ مِنْ أضدادٍ، جُمِعَ مِن ماءٍ وتُرابٍ ونارٍ وهواءٍ؛
العَجَبُ ليسَ أنْ تَفِرَّ الشَّاةُ مِنَ الذِّئب، العَجَبُ أنْ تَرْبِطَ الشَّاةُ القَلْبَ بالذِّئب؛
الحياةُ تآلُفُ الأضداد، الموتُ ذاكَ الَّذي يُقيمُ الحَرْبَ بينَها؛
لُطْفُ الحَقّ جَعَلَ حِمارَ الوَحْشِ والأسَدَ، يتآلَفانِ وهُما ضِدَّانِ بَعيدان؛
وحَيْثُ أنَّ الدُّنيا عَذابٌ وَسِجْنٌ، ما العَجَبُ أنْ يكونَ المُعَذَّبُ فانياً؛
قَرَأَ النَّصائحَ مِنْ هذا الوَجْهِ على الأسَد، قالَ أنا تراجَعْتُ مِنْ هذِهِ القيود؛

سؤال الأسد عن سبب تراجع الأرنب

قالَ لهُ الأسَدُ تحدَّثْ مِنْ أسبابِ المَرَض، عن السَّببِ الخاصّ فهو الغَرَض؛
قالَ إنَّ الأسَدَ في هذِهِ البئرِ ساكِنٌ، في هذِهِ القَلْعَةِ مِنَ الآفاتِ آمِنٌ؛
في القَعْرِ الَّذي يختارُهُ كُلُّ مَنْ هُوَ عاقِلٌ، ذلِكَ لأنَّ في الخَلْوَةِ صفاءَ القلوب؛
ظُلْمَةُ البئرِ خَيْرٌ مِنْ ظُلُماتِ الخَلْق، لنْ يرفَعَ الرَّأسَ شَخْصٌ مَسَكَ بِقَدَمَ الخَلْق؛
قالَ تَقَدَّمْ فَعَزمي لهُ قاهِرٌ، أُنْظُرْ أذلِكَ الأسَدُ في البئرِ حاضِرٌ؛
قالَ أنا الَّذي احْتَرَقْتُ مِنْ تِلْكَ النَّار، أرجو أنْ تَجْعَلَني محميَّاً بِكَ في النُّزول؛
لأكونَ أنا مِنْ خَلْفِكَ أيْ مَعْدِنَ الكَرَم، وأفتَحَ العَيْنَ وأنظُرَ في البئر؛

نَظَرُ الأسَدِ في البئرِ ورؤيتُهُ صورَةَ نَفسِهِ وذلِكَ الأرنَب

حينَ جَعَلَهُ الأسَدُ مِنْ خَلْفِهِ، سارَ مُسْرِعاً مُحْتَمِياً بالأسَدِ نَحْوَ البئر؛
ولمّا نَظَرا في الماء في البئرِ، ظَهَرَتْ في الماءِ صورَةٌ للأسَدِ وله؛
رأى الأسَدُ صورَةَ نَفْسِهِ في الماءِ اللَّامِع، شَكْلَ أسَدٍ وبِجِوارِهِ أرنَبٌ سمين؛
لمّا رأى خَصْمَ نَفْسِهِ في الماءِ، تَرَكَهُ وَوَثَبَ إلى البئر؛

سَقَطَ في بئرٍ كانَ قد حَفَرَها، ذلِكَ أنَّ ظُلْمَهُ عادَ إلى رأسِهِ؛

البئرُ ذاتُ الظُّلْمَةِ ظُلْمُ الظَّالِمينْ، هكذا قالَ جميعُ العالِمِينْ

كُلُّ مَنْ كانَ أظْلَمَ كانَتْ بِئرُهُ أهْوَلَ، حُكْمُ العَدْلِ أنَّ الأسوأَ للأسوأ؛

أيْ مَنْ مِنَ الظُّلْمِ تَحْفِرُ بئراً، اِعْلَمْ أنَّكَ لِنَفْسِكَ تَنصِبُ فَخّاً؛

حولَ نَفْسِكَ تنسُجُ الغِلافَ كدودَةِ القزِّ، لأجْلِ نَفْسِكَ تَحْفِرُ البئرَ فأحسِنْ قياسَه؛

لا تَظُنَّ أنَّ الضُّعَفاءَ ليسوا خُصَماء، مِنَ النَّبيِّ *اقرَأ ذا جاءَ نَصْرُ اللّه*؛

إنْ تكُنْ فيلاً يفِرُّ مِنْكَ الخَصْمُ مذعوراً، فقد جاءَكَ الجزاءُ اللَّائقُ طيراً أبابيلا؛

لو ضعيفٌ في الأرْضِ استغاثَ طالِباً الأمان، وَقَعَ في جَيْشِ السَّماء غَلَيان؛

إذا عَضَضْتَهُ بأسنانِكَ وامتلأَ فَمُكَ بالدَّم، فإنَّكَ أسنانَكَ تؤلِمُ إذْ تَفْعَلُ؛

الأسَدُ رأى نَفْسَهُ في البئرِ وَمِنَ الغُلُوّ، ما مَيَّزَ نَفْسَهُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ عَنِ العَدُوّ؛

رأى صُوْرَةَ نَفْسِهِ عدُوّاً لِنَفْسِه، لا جَرَمَ أنَّهُ سَحَبَ السَّيْفَ على نَفْسِه؛

أي كَمْ مِنْ ظُلْمٍ رأيتَ مِنَ النَّاسِ، وذاكَ فِعْلُكَ فيهِمْ ورُدَّ إليكَ أي فُلان؛

فيهِمْ قَدْ تَمَّ نَسْجُ وجودِكَ، مِنَ النِّفاقِ والظُّلْمِ والسُّوءِ سُكْرُك؛

ذاكَ أنتَ ونَفْسَكَ تَطْعَنُ بتلكَ الطَّعْنَة، على نَفْسِكَ آنَذاكَ تَلُفُّ خَيْطَ اللَّعْنَةِ؛

ذلِكَ السُّوءَ في نَفْسِكَ عَياناً لا تَرى، لو رأيْتَ كُنْتَ عدوّاً لِنَفْسِكَ بالرُّوح؛

على نَفْسِكَ تَحْمِلُ أيُّها الرَّجُلُ السَّاذَج، مِثْلَ ذاكَ الأسَدِ الَّذي حَمَلَ على نَفْسِهِ؛

إذا وَصَلْتَ إلى قَعْرِ الطَّبْعِ مِنْ نَفْسِكَ، اِعْلَمْ أنَّ تِلْكَ الخِسَّةَ كانتْ مِنْكَ؛

ذلِكَ أنَّ الَّذي ظَهَرَ للأسَدِ في القَعْرِ، كانَ فِعْلُهُ الَّذي بدا لهُ شَخْصاً آخَرَ؛

كُلُّ مَنْ يقتَلِعُ أسنانَ ضَعيفٍ، عامِلٌ عَمَلَ ذلِكَ الأسَدِ الَّذي كانَ ينظُرُ غَلَطاً؛

أيْ ناظِرَ الصُّورَةِ السَّيِّئةِ في وَجْهِ العَمّ، السَّيِّئُ ليسَ العَمُّ، ذاكَ أنتَ فلا تنفِرْ؛

المؤمنونَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ مرايا، هذا الخَبَرُ أُورَدوهُ عنِ النَّبِيّ؛

أمامَ عَينِكَ جَعَلْتَ زُجاجاً كَدِراً، مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ بدا لكَ العالَمُ كَدِراً؛

إنْ لم تكُنْ أعمى فاعْرِفِ الكَدَرَ مِنْ نَفْسِك، قُلِ السُّوءَ بِنَفْسِكَ لا تَقُلْهُ بالغَيْر؛
المؤمِنُ لو لَمْ يكُنْ ينظُرُ بنورِ اللهِ، كيفَ كانَ يكونُ الغَيْبُ ظاهِراً للمؤمِنْ؛
عِنْدَما تكونُ مِمَّنْ ينظُرُ بِنورِ الله، تكونُ غافِلاً عَنِ السُّوء مِنَ الخَيْرِ؛
صُبَّ الماءَ على النَّارِ قليلاً قليلاً، كي تَصيرَ نارُكَ نوراً أي أبا الحَزَن؛
أمطِرْ علينا يا رَبَّنا ماءً طَهورا، كي تَصيرَ نارُ العالَمِ جُمْلَةً نورا؛
ماءُ البَحْرِ جُمْلَةً تَحْتَ أمْرِكَ، الماءُ والنَّارُ يا ربِّ مُلْكٌ لَكَ؛
إنْ تَشأْ فالنَّارُ تصيرُ ماءً عَذْباً، وإنْ لمْ تَشأ فالماءُ أيضاً يصيرُ ناراً؛
هذا الطَّلَبُ مِنَّا هُوَ أيضاً مِنْ إيجادِك، النَّجاةُ مِنَ الظُّلْمِ يا ربِّ مِنْ عطائك؛
بلا طَلَبٍ أنتَ أعطيتنا طَلَبَنا هذا، فَتَحْتَ كَنْزَ الإحسانِ للجميعِ؛

حَمْلُ الأرنَب البُشرى للوحوش بوقوعِ الأسد في البئر

حينَ صارَ الأرْنَبُ سعيداً بالحُرِّيَّةِ، سارَ مُسرِعاً للوحوشِ إلى السَّفْح؛
بَعْدَ أنْ شاهَدَ الأسَدَ في البئرِ قتيلاً عاجِزاً، أسرَعَ يدورُ طَرَباً إلى المَرْج؛
يُصفِّقُ لِلنَّجاةِ مِنْ يَدِ المَوتِ، فرِحَاً راقِصاً في الهواءِ كالغُصنِ والوَرَقَة؛
الغُصْنُ والوَرَقَةُ تحرَّرا مِنْ حَبْسِ التُّراب، رَفَعا الرَّأسَ وصارا نديمَينِ للرِّيح؛
الأوراقُ عِنْدَما شَقَّتِ الأغصانَ، مُسْرِعَةً إلى أعلى الشَّجَرَة؛
بِلِسانِ شطأُهُ شُكْرُ الله، كُلُّ ثَمَرَةٍ وورَقَةٍ تتغنَّى على حِدَة؛
أنْ اِرعَ أصْلَناَ يا ذا العَطا، لِتَبْلُغَ الشَّجَرَةُ *استَغْلَظَ واستوى*؛
الأرواحُ الحبيسَةُ بالماءِ والطِينِ، يسْعَدُ قَلْبُها بالتَّحَرُّرِ مِنَ الماءِ والطِّينِ؛
في هوى عِشْقِ الحَقِّ تَصيرُ راقِصَةً، مِثْلَ قُرْصِ البَدْرِ تَصيرُ غيرَ ناقِصَة؛
أجسامُها راقِصَةٌ ولا تَسَلْ عَنْ أرواحِها، ولا تَسَلْ عمَّا حَوْلَ أرواحِها؛
الأرنَبُ أجْلَسَ الأسَدَ في السِّجْن، العارُ على أسَدٍ عاجِزٍ أمامَ أرنَب؛

بِمِثْلِ هذا العارِ ويا لهُ عَجَبٌ، يُريدُ أنْ يُعطوهُ لَقَبَ فَخْرِ الدِّين؛
أنتَ أيُّها الأسَدُ المُفْرَدُ في قَعْرِ هذا البئرِ، أرْنَبُ النَّفْسِ سَفَكَ دَمَكَ وَقَتَلَكَ؛
نَفْسُ أرْنَبِكَ في الرَّعيِ في الصَّحْراءِ، وأنتَ في قَعْرِ جُبِّ الْجَدَلِ والمِراء؛
نحْوَ الوحوشِ جَدَّ قاتِلُ الأسَدِ في المسير، أنْ أبشروا يا قَومُ قَدْ جاءَ البشير؛
بُشراكِ بُشراكِ أيَّتُها الجَماعَةُ بِسعادَةِ العَيش، كَلْبُ جَهَنَّمَ ذاكَ عادَ إلى جَهَنَّم؛
بُشراكِ بُشراكِ فَعَدُوُّ الأرواحِ ذاكَ، اقْتَلَعَ أسنانَهُ قَهْرُ خالِقِهِ؛
ذاكَ الَّذي دَقَّ بالقَبْضَةِ كثيراً مِنَ الرّؤوس، كَنَسَتْهُ مِكْنَسَةُ المَوْتِ كالغُبار؛

اجتِماعُ الوحوش حولَ الأرنَب والقَول بالثَّناء عليه

آنَذاكَ اجْتَمَعَتْ جُمْلَةُ الوحوش، مَسْرورَةً ضاحِكَةً مِنَ الطَّرَبِ بِذَوقٍ وَصَخَب؛
تَحَلَّقَتْ حَولَهُ كأنَّهُ الشَّمْعَةُ في الوَسَط، أورَدوا سَجْدَةً وقالوا لهُ هنيئاً؛
أَمَلَكٌ سَماوِيٌّ أنْتَ أمْ جنِّيٌّ، بَلْ أنْتَ عِزرائيلُ الأسودِ الكاسِرَة؛
أيّاً تَكُنْ، روحُنا لَكَ الفِداءُ، سَلِمَتْ يدُكَ وَصَحَّ عَضُدُكَ؛
لَقَدْ أجرى الحَقُّ هذا الماءَ في جَدْوَلِكَ، مَرْحى لِيَدِكَ وعَضُدِكَ؛
أعِدْ علينا الحديثَ كيفَ فكَّرْتَ بِهذا المَكْر، كيفَ مَسَحْتَ ذاكَ الفَتَّاكَ بالمَكْر؛
أعِدِ الحديثَ لِتَكونَ القِصَّةُ دواءً، أعِدِ الحديثَ لِيكونَ للأرواح مَرهَماً؛
أعِدِ الحديثَ فَمِنْ ظُلْمِ ذاكَ الظَّالِمِ جَهاراً، مئاتُ أُلوفِ الجِراحاتِ في روحِنا؛
قالَ: ذلِكَ كانَ مِنْ تأييدِ اللهِ أي أقمارُ، وإلَّا فالأرنَبُ ما يكونُ في العالَم؛
أعطاني القُوَّةَ وأعطى قلبيَ النُّورَ، ونورُ القَلْبِ أعطى يدي وقَدَمي القُوَّة؛
مِنْ قِبَلِ الحَقّ تَصِلُ التَّفضيلات، مِنَ الحَقّ ثانيَةً أيضاً وَصَلَتِ التَّبديلات؛
الحَقُّ، في الدَّوْرِ والنَّوبَةِ، يُظْهِرُ هذا التَّأييدَ لأهْلِ الظَّنِّ والبَصَر؛

نصيحَةُ الأرنب للوحوش أن لا تفرحوا بهذا

ها، بِنَوبَةِ المُلْكِ لا تكُنْ مسروراً، أي أسيرَ النَّوبَةِ ولا تَكُنْ حُرَّاً؛
الَّذينَ حاكُوا مُلْكَهُ أفضَلَ مِنَ النَّوبَةِ، أفْضَلَ مِنْ أنْجُمِهِ السَّبْعِ جعلوا النَّوبَةَ؛
أفْضَلَ مِنْ نوبَةِ الملوكِ يبقون، الأرواحُ في دَوْرٍ دائمٍ مَعَ السَّاقي؛
إذا قُلْتَ بِتَرْكِ هذا الشُّرْبِ يوماً ويومَين، تنتقِلُ بِفَمَكَ إلى شرابِ الخُلْد؛

تفسير رَجَعْنا مِنَ الجِهادِ الأصْغَر إلى الجِهادِ الأكبَر

أي سادَةُ قَتَلْنا الخَصْمَ في الخارِجِ، وبَقِيَ لنا خَصْمٌ أسوأُ مِنْهُ في الدَّاخِل؛
قَتْلُ هذا ليسَ بِفِعْلِ العَقْلِ والوَعْي، أسَدُ الباطِنِ ليسَ مَسْخَرَةً لأرْنَب؛
جَهَنَّمُ هِيَ النَّفْسُ وَجَهَنَّمُ أفعى، ولا تنقُصُ بالبِحارِ ولا تَقِلّ؛
سَبْعَةَ بِحارٍ إلى الآن شَرِبَتْ، وما قَلَّ إحراقُ تِلْكَ الحارِقَةِ للخَلْقِ؛
الحِجارَةُ والكُفَّارُ ذوو قُلوبِ الحِجارَة، يدخُلونَها بخِزْيٍ وخَجَل؛
لا تَسْكُنُ مَهْما أكَلَتْ مِنْ غِذاء، إلى أنْ يَصِلَ إليها مِنَ الحَقِّ النِّداء؛
هَلْ امتَلأْتِ فتقولَ كلَّا، هذِهِ هِيَ النَّارُ، هذا سعيرُها، هذا إحراقُها؛
جَعَلَتِ العالَمَ لُقْمَةً والتَهَمَتْهُ، وَأطْلَقَتْ مَعِدَتُها النَّعْرَةَ هَلْ مِنْ مَزيد؛
وَضَعَ الحَقُّ فيها القَدَمَ مِنَ اللَّامكان، عِنْدَ ذلِكَ سَكَنَتْ، مِنْ كُنْ فكان؛
هذِهِ النَّفْسُ مِنَّا جُزْءُ جَهَنَّمَ، الأجزاءُ دائماً تملكُ طَبْعَ الكُلِّ؛
قَدَمُ الحَقِّ هذِهِ مَنْ قَتَلَها، غَيْرَ الحَقِّ نَفْسِهِ مَنْ يشُدُّ قَوسَ الحَقّ؛
في القَوْسِ لا يوضَعُ سهْمٌ غيرُ مُستقيمٍ، أمَّا قوسُ الغِشِّ فسِهامُها عَوجاءٌ؛
كُنْ مُستقيماً وانطَلِقْ مِنَ القَوس كسهْمٍ، كُلُّ مُستقيمٍ انطَلَقَ مِنَ القَوْسِ بلا شَكّ؛
بما أنِّي رَجَعْتُ مِنَ الحَرْبِ في الخارِجِ، فقد وَجَّهْتُ الوَجْهَ للحَرْبِ في الدَّاخِل؛

قَدْ رَجَعْنا مِنْ جِهادٍ أَصْغَرٍ مَعْ نَبِيٍّ لِجِهادٍ أَكْبَرٍ

أَطْلُبُ مِنَ اللهِ القُوَّةَ والتَّوفيقَ والعَزْمَ، لأَقْتَلِعَ جَبَلَ *قافَ* هذا بإِبْرَة؛

الأَسَدُ الَّذي يشُقُّ الصُّفوفَ سَهْلٌ، الأَسَدُ حَقَّاً هُوَ ذاكَ الَّذي يَصْرَعُ النَّفْس؛

وصول رسول الرّوم إلى عُمَر(رض) ورؤيَتُهُ كراماتِ عُمَر

إلى عُمَرٍ جاءَ مِنْ قَيْصَرَ رسولٌ، إلى المَدِيْنَةِ مِنْ عُمْقِ الصَّحراء؛

قالَ أينَ قَصْرُ الخليفَةِ أيْ حَشَمُ، كي أسوقَ إلى هُناكَ جوادي ومتاعي؛

قالَ لهُ القَومُ ليسَ لَهُ قَصْرٌ، قَصْرُ عُمَرَ هُوَ الرُّوحُ المُضيئة؛

رَغْمَ أنَّهُ ذائعُ الصِّيْتِ مِنَ الإمارَةِ، إنَّهُ كالدَّراويشِ، بيتُهُ كوخ؛

كيفَ ترى قَصْرَهُ أيُّها الأخُ، وأنتَ في عِينِ قلبِكَ شَعْرَةٌ؛

طَهِّرْ عَيْنَ القَلْبِ مِنَ الشَّعْرَةِ والعِلَّةِ، ثُمَّ آنَذاكَ انظُرْ بِها إلى قَصْرِه؛

كُلُّ مَنْ لهُ روحٌ مِنَ الهَوَس طاهِرَة، سريعاً يرى الإيوانَ والحَضْرَةَ الطَّاهِرَة؛

مُحَمَّدٌ مِنَ النَّارِ والدُّخانِ صارَ مُطَهَّرَ الله، حَيثُما وَجَّهَ الوَجْهَ كانَ *وَجْهُ الله*؛

ما دُمْتَ رَفيقاً لوَسْوَسَةِ سوءِ الظَّنِّ، متى سَتَعْرِفُ *ثَمَّ وَجْهُ الله*؛

كُلُّ مَنْ كانَ لهُ مِنَ الصَّدْرِ فَتْحُ باب، مِنْ كُلِّ مَدينَةٍ يرى الشَّمْس؛

الحَقُّ ظاهِرٌ وَسَط الآخَرِينَ، مِثْلَما القَمَرُ وَسَطَ النُّجوم؛

ضَعْ طَرَفَي إصْبَعَيْكَ على عَيْنَيْكَ، أترى مَنْظَراً مِنَ العالَمِ، قُلْ بإنْصاف؛

إنْ لَمْ تَرَ العالَمَ فهُوَ ليسَ مَعْدوماً، العَيْبُ ليسَ إلّا مِنْ إصْبَعِ نَفْسِ الشُّؤم؛

أنْتَ عَنِ العَيْنِ فارْفَعِ الإصْبَعَ، ثُمَّ عِنْدَها انظُرْ إلى كُلِّ ما تُريد؛

لقد قالَتْ لِنوحِ الأُمَّةُ أينَ الثَّواب، قالَ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ *واستَغْشَوا ثياب*؛

لَقَدْ غَمَروا الوجوهَ والرُّؤوسَ بالثِّياب، لا جَرَمَ أنَّهُمْ بِعُيونٍ ولا يُبصِرون؛

الآدَمِيُّ بَصَرٌ والباقِي جِلْدٌ، البَصَرُ هُوَ ذاكَ الَّذي يُبْصِرُ الحبيب؛

فإنْ لَمْ يكُنْ يرى الحبيبَ فالعَمى خَيْرٌ، والحبيبُ الَّذي لا يبقى بُعْدُهُ خَيْرٌ؛
حِيْنَ رَسولُ الرُّومِ أورَدَ في السَّمْعِ، هذِهِ الألفاظِ الطَّرِيَّةَ صارَ أكْثَرَ اشتياقاً؛
انتَخَبَ العَينَ لِلبَحْثِ عَنْ عُمَر، تَرَكَ المَتاعَ والجوادَ يضيعان؛
اتَّجَهَ كُلَّ طَرَفٍ في طَلَبِ ذلِكَ الرَّجُلِ العامِلِ، سائلاً عَنْهُ كأنَّهُ المَجنون؛
أيَكونُ مِثْلُ هذا الرَّجُلِ في الدُّنيا، ويكونُ مَخْفِيَّاً عَنِ الدُّنيا كأنَّهُ الرُّوح؛
بَحَثَ عَنْهُ ليصيرَ لَهُ مِثْلَ عَبْدٍ، لا جَرَمَ أنَّ الباحِثَ سيكونُ واجِداً؛
رأتِ امرْأةٌ أعرابيَّةٌ ذلَكَ الدَّخيل، قالَتْ عُمَرُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مِنَ النَّخيل؛
تَحْتَ جِذْعِ نَخْلَةٍ مُنْفَصِلاً عَنِ الخَلْق، تَحْتَ الظِّلِّ نائماً، فانظُرْ ظِلَّ الله؛

وُجدان رسول الرّوم عُمَر(رض) نائماً تَحْتَ الشَّجَرَة

وَصَلَ إلى هُناكَ وَمِنْ بَعيدٍ وَقَف، لَقَدْ رأى عُمَرَ فارْتَعَش؛
هيبَةٌ مِنْ ذلِكَ النَّائمِ أصابَتِ الرَّسول، حالَةٌ جَميلَةٌ كانَ لها على روحِهِ نزول؛
المَحَبَّةُ والهَيْبَةُ ضِدَّانِ مُتَضادَّان، رأى هذينِ الضِّدَّين في كَبِدِهِ يجْتَمِعَان،
قالَ لِلنَّفْسِ أنا رأيْتُ المُلوكَ، وكُنْتُ مُختارَ السَّلاطينِ والمُقَرَّبَ؛
مِنَ السَّلاطينِ لَمْ أُصَبْ بِرَهْبَةٍ ولا خَوفٍ، هَيْبَةُ هذا الرَّجُلِ خَطَفَتْ شُعوري؛
ذَهَبْتُ في دَغَلِ الأَسَدِ والنَّمِرِ، ما تَغَيَّرَ مِنْهُما لونُ وَجْهي؛
كمْ ذَهَبْتُ في ميادينِ القِتالِ والحَرْب، وكُنْتُ في الحَرْبِ كالأَسَدِ في الوغى؛
وكَمْ جَرَحْتُ وكَمْ جُرِحْتُ مِنْ جِراحٍ، وكانَ قلبي قويَّاً أكثَرَ مِنَ الآخَرين؛
هذا الرَّجُلُ نائمٌ على الأرْضِ بلا سِلاح، وأنا بِسَبْعَةِ أطرافَ أرتجِفُ فما هذا؛
هذِهِ هَيْبَةُ الحَقِّ، ليسَتْ مِنَ الخَلْق، ليسَتْ هَيبَةَ هذا الرَّجُلِ صاحِبِ الدَّلق؛
كُلُّ مَنْ خافَ مِنَ الحَقِّ واختارَ التَّقوى، الإنْسُ والجِنُّ وكُلُّ ما رآهُ خافَ مِنْهُ؛
في هذِهِ الفِكْرَةِ حُرْمَةً عَقَدَ اليَدَ، بَعْدَ ساعَةٍ مِنَ النَّومِ نَهَضَ عُمَرُ؛

سلامُ رسول الرّوم على عُمَر(رض)

قَدَّمَ الخِدْمَةَ لِعُمَرَ والسَّلام، قالَ الرَّسولُ السَّلامُ ثُمَّ الكلام؛
فَرَدّ عَلَيْهِ السَّلامَ ودعاهُ إلَيْهِ، وآمَنَهُ وأجْلَسَهُ لَدَيْه؛
لا تخافوا نَزَلَتْ للخائفين، لائقَةٌ أن تكونَ مِنْ أجْلِ ذاكَ الخائف؛
كُلُّ مَنْ خافَ يجْعَلونهُ آمِناً، القَلْبَ الخائفَ يجْعَلونَهُ ساكِناً؛
لِمَنْ لا خَوف لهُ كَيْفَ تقولُ لا تَخَفْ، أيَّ دَرْسٍ تُعطيهِ وليسَ بِمُحتاجِ دَرْس؛
أسْعَدَ ذلَكَ القَلْبَ الَّذي خَرَجَ مِنَ المكان، جَعَلَ عامِراً خاطِرَهُ الخراب؛
بَعْدَ ذا قالَ لهُ القَوْلَ الدَّقيق، عَنْ صِفاتِ الحَقِّ يا نِعْمَ الرَّفيق؛
ومِنْ لطائفِ الحَقِّ الأبدال، لَكَي يعلَمَ المقامَ والحال؛
الحالُ كَجَلْوَةِ تِلْكَ العَروسِ الحسناء، والمقامُ حُصولُ الخَلْوَةِ مَعَ العَروس؛
الجَلْوَةَ رأى الشَّاهُ وغيرُ الشَّاهِ أيضاً، وَقْتُ الخَلْوَةِ ليسَ لَغَيْرِ الشَّاهِ العزيز؛
لَقَدْ تَجَلَّتْ للخاصِّ وللعامِّ العَروسُ، وللشَّاهِ وحْدَهُ تكونُ خَلْوَةُ العَروس؛
هُناكَ مِنَ الصُّوفيّينَ مِنْ أهْلِ الحالِ كَثيرون، وأهْلُ المقامِ مِنْ بينِهِم نادِرون؛
عَرَّفَ عَنْ مَنازِلِ نَفْسِه، عَرَّفَ عَنْ أسفارِ روحِه؛
وَعَنْ زمانٍ كانَ مِنَ الزَّمانِ خالياً، وَعَنْ مقامِ قُدْسٍ كانَ جلاليَّاً؛
وعن هواءٍ طارَ بِهِ طائرُ الرُّوح، قَبْلَ هذا الَّذي نرى مِنَ الطَّيَرانِ والفُتوح؛
ولِكُلِّ طَيرانُهُ أبْعَدَ مِنَ الآفاق، وهُوَ مِنْ أمَلٍ ونَهْمَةٍ كثيرُ الاِشتياق؛
حينَ وَجَدَ عُمَرُ هذا الإلْفَ مِنَ الأغيار، وَوَجَدَ روحَهُ تِلْكَ طالِبَةً للأسرار؛
كانَ شَيْخاً كامِلاً وطالِبَ مُشْتَهى، وكانَ رَجُلاً حازِماً وأهْلاً لمَرْكَبِ الأعتاب؛
رآهُ ذلِكَ المُرْشِدُ أهلاً للإرشاد، زَرَعَ البِذْرَةَ الطَّاهِرَةَ في الأرْضِ الطَّاهِرَة؛

سؤال رسول الرّوم لِعُمَر(رض)

قالَ لهُ الرَّجُلُ أي أميرَ المؤمنين،الرُّوحُ مِنَ العَلياءِ كيفَ هَبَطَتْ إلى الأرْض؛

طائِرٌ لا يُقاسُ كيفَ حَلَّ في قَفَصٍ، قالَ الحَقُّ خَصَّ الرُّوحَ بدُعاءٍ وقَصَص؛

على المَعْدوماتِ الَّتي ما لها بَصَرٌ ولا سَمْعٌ، قَرَأَ الرُّقْيَةَ فجاءَتْ جميعاً تَفور؛

المَعْدوماتُ مِنْ قِراءَتِهِ سريعاً سريعاً، تَعَلَّقَتْ بالوجودِ التَّعَلُّقَ الجميل؛

ثُمَّ لمَّا قَرَأَ رُقْيَةً على الموجودِ، ساقَهُ سَريعاً على جوادٍ إلى العَدَمِ؛

تَكَلَّمَ في أُذُنِ الوَرْدِ فَجَعَلَهُ ضاحِكاً، تَكَلَّمَ إلى الصَّخْرِ فَجَعَلَهُ عقيقَ المَنْجَم؛

قالَ آيَةً لِلْجِسْمِ فصارَ ذا روح، كلَّمَ الشَّمْسَ فَشَعَّتْ بالضِّياء؛

ثُمَّ دَمْدَمَ في أُذُنِها بِسِرٍّ مَخوف، فَوَقَعَ في جبينِ الشَّمْسِ مِئَةُ كسوف؛

تَكَلَّمَ الكلامَ في أُذُنِ الغَيْمِ، فَسَكَبَ الغَيْمُ مِنْ عَينِهِ الدّمْعَ كالمِسْك؛

وما ذلِكَ الَّذي قَرَأَ في أُذُنِ التُّراب، حتَّى صارَ مُراقِباً وبقِيَ صامِتاً؛

كُلُّ مَنْ هُوَ مُضْطَرِبٌ في التَّرَدُّدِ، الحَقُّ قالَ في أُذُنِهِ مُعَمَّىً؛

ليجْعَلَهُ مَحبوساً بينَ خيالَين، أأفْعَلُ ما كانَ قالَ لي أمْ أفْعَلُ ضِدَّه؛

كذلِكَ مِنَ الحَقّ يجِدُ ترجيحَ طَرَفٍ، فيختارَ أحَدَ الإثنَينِ مِنْ ذلِكَ الكَنَف؛

إذا كُنْتَ لا تُريدُ أنْ تحيا في التَّرَدُّد، أقِلَّ ضَغْطَ هذا القِطْنِ في أُذُنِ الرُّوح؛

لِتَفْهَمَ تِلْكَ المُعَمَّياتِ مِنْهُ، لِتُدْرِكَ الرَّمْزَ والظَّاهِرَ مِنْهُ؛

فَتَصيرَ أُذُنُ الرُّوحِ مَحَلَّاً للوَحْيِ، فالوَحْيُ كلامٌ خَفِيٌّ عَنِ الحِسّ؛

أُذُنُ الرُّوحِ وَعَيْنُها حِسٌّ آخَر، أُذُنُ العَقْلِ وأُذُنُ الظَّنّ مِنْ هذا في إفلاس؛

لَفْظُ الجَبْرِ جَعَلَني للعِشْقِ بلا صَبْر، وجَعَلَ مَنْ ليسَ عاشِقاً بِحَبْسِ الجَبْر؛

هذِهِ مَعِيَّةٌ مَعَ الحَقّ هذِهِ ليسَتْ جَبْراً، هذا تجلٍ للقَمَرِ هذا ليسَ سَحاباً؛

إذا كانَ هذا جَبْراً فليسَ بِجَبْرِ العامَّةِ، ليسَ هُوَ بِجَبْرِ تِلْكَ الأنانيَّة الأمَّارَةِ؛

هُمْ عرِفوا الجَبْرَ يا وَلَدي، لأنَّ اللهَ فَتَح لَهُمْ بَصَراً في القَلْب؛
صار ظاهِراً لهُمْ الغَيْبُ والآتي، صارَ هزيلاً قِبَلَهُم ذِكْرُ الماضي؛
اختيارُهُم والجَبْرُ شيءٌ آخَرٌ، القَطَراتُ ضِمْنَ أصدافِها جَوْهَرٌ؛
في الخارِجِ قَطْرَةٌ صغيرَةٌ وكبيرَة، في الصَّدَفِ دُرَّةٌ صغيرَةٌ وكبيرة؛
أولاءِ قَومٌ بِطَبْعِ سُرَّةِ غَزالِ مِسْك، مِنَ الخارِجِ دَمٌ وفي داخِلِهِم مِسْك؛
أنتَ لا تَقُلْ هذا الَّذي في الخارِجِ، كَيْفَ يصيرُ إذْ يمُرُّ في السُّرَّةِ مِسكاً؛
لا تَقُلْ النُّحاسُ كانَ بالخارِجِ مُحْتَقَراً، كيفَ صارَ في قَلْبِ الإكسيرِ جَوهَراً؛
الاِختيارُ والجَبْرُ فيكَ سوءُ خيال، وبِهِمْ حِينَ راحَ صارَ نورَ جلال؛
الخُبْزُ على السُّفْرَةِ يكونُ ذاكَ الجَماد، وفي بَدَنِ الإنسانِ يصيرُ روحاً سعيدَةً؛
هُوَ في قَلْبِ السُّفْرَةِ لا يستحيل، عَمِلَتِ الرُّوحُ مُستَحِيلَهُ مِنْ سَلْسَبيل؛
هذِهِ قُوَّةُ الرُّوحِ فاقرَأْ صَحيحاً، ما مدى قُوَّةِ الرُّوحِ يا عزيزي؛
الآدَمِيُّ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ وبِالعَقْلِ والرُّوحِ، شَقَّ الجَبَلَ والبَحْرَ والمَنْجَمَ؛
قُوَّةُ الرُّوحِ تحفرُ الجَبَلَ تَشُقُّ الحَجَر، قُوَّةُ الرُّوحِ روحُ *انشَقَّ القَمَر*؛
لو فَتَحَ القَلْبُ خِزانَةَ الأسرار، لاتَّجَهَتِ الرُّوحُ نَحْوَ العَرْشِ كالتُّركيِّ مُسْرِعَةً؛

إضافَةُ آدَمَ تِلْكَ الزَّلَّةَ إلى نَفْسِهِ أنْ *رَبَّنا ظَلَمْنا*، وإضافَةُ إبليسَ ذَنْبَ نَفْسِهِ إلى رَبِّهِ أنْ *بما أغوَيْتَني*

فِعْلَ الحَقِّ وَفِعْلَنا فَانظُرْ كِلا الاِثْنَيْن، ظاهِرٌ أنَّ فِعْلَنا موجودٌ فاعرِفْهُ؛
إذا لَمْ يكُنْ فِعْلُ الخَلْقِ موجوداً، لا تَقُلْ لِشَخْصٍ لِمَ فَعَلْتَ كذا؛
خَلْقُ الحَقِّ مُوجِدٌ لِأفعالِنا، فِعْلُنا آثارُ خَلْقِ الخالِق؛
النَّاطِقُ يرى الحَرْفَ أو يرى الغَرَض، ولا يكونُ لَحْظَةً مُحيطاً بِعَرَضَيْن؛
إنْ ذَهَبَ للمَعْنى غَفِلَ عَنِ الحَرْف، أيُّ طَرْفٍ لا يرى مَعاً الأمامَ والخَلْف؛

ذلِكَ الزَّمانَ الَّذي كُنْتَ ترى فيهِ أمامَكَ، ذاكَ زمانٌ لم تكُنْ ترى فيهِ خَلْفَكَ؛
إذا كانَتِ الرُّوحُ لَمْ تُحِطْ بالحَرْفِ والمَعْنى، كَيْفَ بروحِ خالِقِ كِلا الاِثْنَيْنِ؛
الحَقُّ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ أي وَلَدُ، ولا يشْغَلُهُ عَمَلٌ عَنْ عَمَلٍ آخَر؛
الشَّيْطانُ قالَ أنْ *بِما أغويتَني*، الشَّيطانُ الدَّنيُّ أخفى فِعْلَ نَفْسِه؛
آدَمُ قالَ ظَلَمْنا أنْفُسَنا، ولَمْ يَكُنْ عَنْ فِعْلِ الحَقّ غافِلاً مِثْلَنا؛
في الذَّنْبِ هُوَ مِنَ الأَدَبِ أخْفاه، نَسَبَ ذلِكَ الذَّنْبَ إلى نَفْسِه؛
بَعْدَ التَّوبَةِ قالَ لَهُ أيْ آدَمُ، أَلَسْتُ أنا مَنْ خَلَقَ فيكَ ذلِكَ الجُرْمَ والمِحَن؛
أَلَمْ يَكُنْ ذلِكَ تقديري وقضائي، فكَيْفَ أخْفَيْتَ ذلِكَ بِوَقْتِ العُذْر؛
قالَ لَقَدْ خشيتُ تَرْكَ الأَدَب، قالَ أنا أيضاً حَفِظْتُ ذلِكَ لكَ؛
مَنْ قَدَّمَ الاِحتِرامَ نالَ الاِحتِرام، مَنْ جاءَ بالقَنْدِ طَعِمَ اللَّوزَ المُحَلَّى؛
لِأنَّ الطَّيّباتِ للطَّيّبين، لا تؤلِمِ الحبيبَ أسْعِدْهُ وانظُرْ؛
مِثالاً واحِداً للفَرْقِ أي قَلْبُ فاحْمِلْ، لِتُمَيِّزَ الجَبْرَ عَنِ الاِختيار؛
تِلْكَ يَدٌ كانَ رَجيفُها مِنْ ارتِعاش، وتِلْكَ يَدٌ أنْتَ أرْجَفْتَها مِنَ الجاش؛
تَعْرِفُ كُلّاً مِنَ الرَّجيفَينِ مخلوقَ الحَقّ، وبينَ هذا وذاك لا يُمكِنُكَ القياس؛
مِنْ نَدَمِكَ جَعَلْتَها تَرْتَعِشُ، وهَلْ رأيْتَ مُرْتَعِشاً نادِماً؛
بَحْثُ عَقْلٍ وأيُّ عَقْلٍ هُوَ ذاكَ المُحْتال، ليأخُذَ ضعيفٌ الطَّريقَ إلى هُناك؛
لو كانَ البَحْثُ العَقْليُّ دُرّاً ومرجاناً، لكانَ بَحْثُ الرُّوحِ شَيئاً آخَرَ؛
بَحْثُ الرُّوحِ في مَقامٍ آخَر، خَمْرَةُ الرُّوحِ مِنْ قَوامٍ آخَر؛
ذلِكَ الزَّمانُ الَّذي كانَ فيهِ البَحْثُ العَقْليُّ، كانَ فيهِ عُمَرُ وأبو الحَكَمِ نَديمَين؛
حينَ عُمَرُ أتى مِنَ العَقْلِ إلى الرُّوح، صارَ أبو الحَكَمِ مِنْ حُكْمِ ذاكَ أبا جَهْل؛
مِنْ جِهَةِ الحِسّ ومِنْ جِهَةِ العَقْلِ هُوَ كامِل، رَغْمَ أنَّهُ نِسْبَةً إلى الرُّوحِ جاهِل؛
بَحْثُ العَقْلِ والحِسّ مِثْلُ أَثَرٍ أو سَبَب، بَحْثُ الرُّوحِ أَوْ عَجَبٌ أَوْ أبو العَجَب؛

أَيْ مُستَضيءُ ضَوءُ الرُّوحِ جاءَ فَلَمْ يبقَ، لِلازِمٍ وملزومٍ ونافٍ مُقْتَضى؛
ذلِكَ أنَّ البَصَرَ الَّذي نورُهُ بازِغٌ ، عَنْ دَليلٍ كأنَّهُ العَصا فارِغٌ؛

تَفسير وهوَ مَعَكُمْ أينما كُنْتُم

مَرَّةً أُخرى عُدنا إلى القِصَّة، نَحْنُ متى صِرنا خارِجَ تِلْكَ القِصَّةِ؛
إذا بِجَهْلٍ أتينا فذلِكَ سِجْنٌ، وإنْ بِعِلْمٍ أتينا فذلِكَ قَصْر؛
وإنْ بِنومٍ أتينا فنحنُ سكاراه، وإنْ بِيَقَظَةٍ تُقَلِّبُنا يداه؛
وإنْ بَكَينا فَنَحْنُ غَيْمُ رِزْقِهِ الملآن، وإنْ ضَحِكْنا فَنَحْنُ بَرْقُهُ ذاكَ الزَّمان؛
وفي الغَضَبِ والحَرْبِ صورَةُ قَهْرِه، وفي الصُّلْحِ والعُذْرِ صورَةُ عَفْوِه؛
نَحْنُ في هذا العالَمِ كثيرو الاِعوِجاج، إذْ كانَتْ أَلِفُهُ لا تَمْلِكُ أيَّ اعوِجاج؛

سؤالُ رسولِ الرُّومِ عُمَرَ(رض) عَنْ سَبَبِ ابتلاءِ الأرواحِ بِهذا الماءِ وطينِ الأجساد

قالَ يا عُمَرُ أيَّةَ حِكْمَةٍ كانَتْ وسِرّ، بِحَبْسِ تِلْكَ الصَّافِيَةِ في هذا المكانِ الكَدِر؛
الماءُ الصَّافي صارَ في الطِّينِ خَفِيَّاً، الرُّوحُ الصَّافي صارَ في الأبدانِ حبيساً؛
قالَ أنتَ تَبْحَثُ بَحْثاً عَجيباً، أنتَ تَجْعَلُ المَعنى حبيسَ الحَرْف؛
لَقَدْ حَبَسْتَ مَعنى الحُرّ، جَعَلْتَ حبيسَ الحَرْفِ الذِّكْر؛
فَعَلْتَ هذا مِنْ أجْلِ فائدَة، وأنتَ نَفْسُكَ في حَجابٍ عَنِ الفائدَة؛
ذلِكَ الَّذي مِنْهُ قَدْ وُلِدَتِ الفائدَة، كيفَ لا يرى ذلِكَ الَّذي هُوَ مرئيٌّ لنا؛
مئاتُ آلافِ الفوائدِ عِنْدَ كُلِّ واحِدَةٍ، مِئاتُ آلافِ الفوائدِ شيءٌ قليلٌ؛
عِنْدَما يكونُ نُطْقُكَ وهُوَ جُزْءُ أجزاء، ذا فائدَةٍ كيفَ يكونُ خالياً كُلُّ الكُلِّ؛
إذا كانَ عَمَلُكَ ذا فائدَةٍ وأنْتَ جُزءٌ، لماذا إذنْ تَمُدُّ اليَدَ لِلطَّعْنِ في الكُلّ؛

إذا لَمْ يكُنْ لِقَوْلِكَ فائِدَةٌ لا تَقُلْ، وإنْ كانَ دَعِ الاِعتِراضَ واطلُبِ الشُّكْر؛
شُكْرُ اللهِ طَوْقٌ لِكُلِّ رَقَبَةٍ، ليسَ بالجِدالِ ولا عُبوسِ وَجْه؛
إذا كانَ عُبوسُ الوَجْهِ هُوَ الشُّكْرُ وَحَسْب، فليسَ كالخَلِّ داعِياً شُكْرَ شَخْصٍ؛
إذا كانَ لِلْخَلِّ أنْ يَجِدَ الطَّرِيقَ إلى الكَبِد، قُلْ لهُ يصيرَ خَلَّ التَّينِ مِنَ السُّكَّر؛
المَعْنى في الشِّعْرِ لا يكونُ بلا خَبْطٍ ، كحَجَرِ المقلاعِ لا يكونُ لهُ ضبْط؛

في مَعْنى مَنْ أرادَ أنْ يَجْلِسَ مَعَ اللهِ فليَجْلِسْ مَعَ أهْلِ التَّصَوُّف

ذلِكَ الرَّسول ضيَّعَ النَّفْسَ مِنْ جامٍ وجامَينِ، لمْ يبقَ لَهُ ذِكْرُ رِسالَةٍ ولا بلاغ؛
صارَ والِهاً تَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ، وَصَلَ رسولاً إلى هُنا وصار مَلِكاً؛
السَّيْلُ إذْ وَصَلَ إلى البَحْرِ صارَ بَحْراً، الحَبُّ إذْ طَلَعَ في الزَّرْعِ صارَ زَرْعاً؛
لمَّا وَجَدَ الخُبْزُ التَّعَلُّقَ بِأبي البَشَرْ، الخُبْزُ المَيْتُ صارَ حيَّاً وذا خَبَر؛
الشَّمْعُ والحَطَبُ لَمَّا صارا فِداءً للنَّار، ذاتُهُما الظَّلْمانِيَّةُ صارَتْ أنواراً؛
حَجَرُ الكُحْلِ حِيْنَ صارَ في العُيون، صارَ بَصَراً هُناكَ وحارِساً للعُيون؛
هنيئاً لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذي تَحَرَّرَ مِنَ النَّفْس، وصارَ مُرْتَبِطاً بوجودِ الحَيّ؛
والوَيْلُ لِذلِكَ الحَيِّ الَّذي جَلَسَ مَعَ المَيت، فصارَ مَيْتاً وفارَقَتْهُ الحياة؛
أنتَ حِينَ فَرَرْتَ إلى الحَقِّ بالقُرآن، فأنتَ بِروحِ الأنبياء امتَزَجْتَ؛
فالقُرآنُ أحوالُ الأنبياء، هُمْ أسماكُ البَحْرِ الطَّاهِرِ للكِبرياء؛
وإذا قَرَأتَ ولَمْ تَكُنْ قابِلَ القُرآنِ، فتَعَلَّقْ بِنَظَرِ الأنبياءِ والأولياء؛
وإنْ كُنْتَ قابِلاً حِينَ تَقْرَأُ القَصَص، طائرُ روحِكَ يضيقُ حالاً في القَفَص؛
الطَّائرُ الَّذي هُوَ في قَفَصِ الحياة، مِنَ الجَهْلِ لا يبحَثُ عَنِ النَّجاة؛
الأرواحُ الَّتي نَجَتْ مِنَ الأقفاصِ، لائقةٌ بالقادَةِ الأنبياء؛
نِداؤها يجيءُ مِنَ الخارِجِ مِنَ الدِّين، أنْ هذا طريقُ الخلاصِ لَكَ هذا؛

نَحْنُ بِهِ تَحَرَّرْنا مِنْ ضِيْقِ القَفَص، غَيْرَ هذا الطَّرِيقِ لا حيلَةَ مَعَ هذا القَفَص؛
جَعَلْتَ نَفْسَكَ مُتألِّماً مَرِيضاً عاجِزاً، كي يُخْرِجوكَ خارِجَ الإِشْتِهار؛
فاشتِهارُ الخَلْقِ قَيْدٌ مُحْكَمٌ، ليسَ أَقَلَّ مِنْ قَيْدِ الحَديدِ في الطَّريق؛

قِصَّةُ التَّاجِرِ الَّذي حَمَّلَهُ ببَّغاؤهُ المَحبوسُ لَدَيهِ رِسالَةً إلى ببَّغاواتِ بلادِ الهِنْدِ وَقْتَ سَفَرِهِ في تِجارَة

كانَ هُناكَ تاجِرٌ وكانَ يملكُ بَبَّغاءَ مَحبوساً في قَفَصٍ وجميلاً مِنْ بَبَّغاء؛
لمَّا أعَدَّ التَّاجِرُ العُدَّةَ للسَّفَر، ناوِياً السَّفَرَ إلى بلادِ الهِنْد؛
لِكُلِّ غُلامٍ وكُلِّ جاريَةٍ مِنَ الجودِ، قالَ مِنْ أجْلِكَ ما أحْمِلُ قُلْ سَريعاً؛
كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ طَلَبَ مِنْهُ مُراداً، وذاكَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ وَعَدَ الجَميع؛
قالَ للبَبَّغاءِ ما تَطْلُبُ مِنْ هَدِيَّةٍ، ماذا أجْلِبُ لَكَ مِنْ خِطَّةِ الهِنْد؛
قالَ لهُ البَبَّغاءُ إنَّ هُناكَ ببَّغاواتٍ، إذا ما رأيتَها قُلْ لها شَرْحَ حالي؛
أنَّ فُلانَ البَبَّغاءَ مُشتاقَكُمْ، مِنْ قَضاءِ السَّماءِ وَقَعَ في حَبْسِنا؛
أرسَلَ لكُمْ سلاماً وظُلامَةً، وَطَلَبَ مِنْكُم طريقَ إرشادٍ ووَسيلَةً؛
قالَ رُبَّما أموتُ وأنا في الإِشْتياق، وأُسْلِمُ الرُّوحَ هاهُنا في الفِراق؛
أيَجوزُ أنْ أكونَ في القَيْدِ الشَّديدِ وأنتُمْ، حيناً في الخُضْرَةِ وَحيناً على الشَّجَر؛
أيُّ وفاءٍ هذا يكونُ مِنَ الخِلَّانْ، أنَّني في الحَبْسِ وأنَّكُم في البُستان؛
تَذَكَّروا أي أقْمارُ هذا الطَّائِرَ الضَّعيفَ، بِكأسٍ مِنَ الصَّبوحِ وَسَطَ الرَّوض؛
ذِكْرُ أولئكَ الأخِلَّاءِ للخَليلِ ميمونٌ، خاصَّةً وتِلْكَ ليلى وهذا المَجنون؛
أيْ ندامى الصَّنَمِ الجميلِ الموزون، أنا أشْرَبُ الأقداحَ مملوءَةً بِدَمي؛
قَدَحاً واحِداً فاشرَبْ على ذِكْري، إنْ كُنْتَ تُريدُ أنْ تَعْمَلَ لِيَ الإنصاف؛
أو على ذِكْرِ هذا الواقِعِ على التُّراب، إمَّا شَرِبْتَ أرِقْ جُرْعَةً على التُّراب؛

عَجَباً أيْنَ ذاكَ العَهْدُ وأيْنَ ذاكَ القَسَمُ، أينَ وُعودُ تِلْكَ الشَّفَةِ العَذْبَةِ كالسُّكَّر؛
إذا كانَ فِراقُ العَبْدِ مِنْ سوءِ العُبودِيَّةِ، ما الفَرْقُ إذا جازَيْتَ السُّوءَ بالسُّوءِ؛
السُّوءَ الَّذي فَعَلْتَ في غَضَبٍ وَحَرْبٍ، أطْرَبُ مِنْ غِناءٍ وصَوتِ رَبابةٍ عَذْبٍ؛
أيْ مَنْ خَيْرٌ مِنَ الدَّوْلَةِ جَفاكَ، أيْ مَنْ أحَبُّ مِنَ الرُّوحِ انتِقامُكَ؛
هذِهِ نارُكَ فكَيْفَ هُوَ نورُك، هذا هُوَ المأتَمُ فكَيْفَ هُوَ العُرْس؛
مِنَ الحَلاواتِ كَمْ يِملكُ جَوْرُك، مِنَ اللَّطافَةِ لا يُبْلَغُ غَورُك؛
أبكي وأخافُ أنْ تُصَدِّقَ، ومِنَ الكَرَمِ تُقَلِّلَ الجَور؛
أنا عاشِقُ قَهْرِهِ ولُطْفِهِ بِجِدّ، عَجَباً مِنْ عاشِقِ الضِّدِّ والضِّدّ؛
واللهِ لو أصابني الشَّوكُ في البُستان، لَصِرْتُ مِنْ هذا السَّبَبِ نائحاً كالبُلْبُل؛
عَجَباً مِنْ ذلِكَ البُلْبُلِ الَّذي يَفْتَحُ الفَمَ، ليأكُلَ شوكاً لَدَى حَديقَةِ الوَرْد؛
أيُّ بُلْبُلٍ هذا إنَّهُ تِمْساحٌ نارِيٌّ، جُمْلَةُ العَذاباتِ مِنْ عِشْقِهِ عَذْبَةٌ؛
عاشِقُ الكُلِّ وهوَ نَفْسُهُ كُلّ، عاشِقُ نَفْسِهِ وباحِثٌ عَنْ عِشْقِ نَفْسِه؛

صِفَةُ أجْنِحَةِ طُيورِ العُقولِ الإلـهِيَّة

قِصَّةُ ببَّغاءِ الرُّوحِ كانَتْ مِنْ هذِهِ الشَّاكِلَة، أينَ شَخْصٌ كانَ مَحْرَماً للطُّيور؛
كانَ طَائراً ضَعيفاً بلا ذَنْبٍ، في داخِلِهِ سُلَيمانُ مَعَ الجَيْش؛
إذا بكى مِنَ الضَّعْفِ لا شُكْراً ولا شِكايَةً، وقَعَ الاِضْطِرابُ في سبعَةِ الأَفلاك؛
كُلَّ نَفَسٍ لهُ مِئةُ رِسالَةٍ ومِئةُ رسولٍ مِنَ اللهِ، *يا ربِّ* مِنْهُ وسِتُّونَ *لَبَّيْكَ* مِنَ اللهِ؛
زَلَّتُهُ أفضَلُ مِنَ الطَّاعَةِ عِنْدَ اللهِ، أمامَ كُفْرِهِ كُلُّ إيمانٍ خَلَق؛
كُلَّ لَحْظَةٍ لهُ مِعْراجٌ خاصّ، فوقَ رأسِهِ تاجٌ فوقَهُ مِئةُ تاجٍ خاصّ؛
صورَتُهُ فوقَ التُّرابِ وروحُهُ فوقَ اللّامكان، لامكانٍ فوقَ وَهْمِ السَّالِكين؛
لامكانٍ لا يَقَعُ في الفَهْمِ لَكَ، كُلَّ لَحْظَةٍ فيهِ خيالٌ زائدٌ لَكَ؛

بلِ المكانُ واللَّامكانُ تَحْتَهُ، كأربَعَةِ الأنهارِ تَحْتَ الجَنَّة؛
شَرْحَ هذا أقْصِرْ وعُدْ بِوَجْهِك، لا تَقُلْ شيئاً واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب؛
قد رَجَعْنا مُجَدَّداً أي رِفاق، إلى الطَّائرِ والتَّاجِرِ وبلادِ الهِنْد؛
الرَّجُلُ التَّاجِرُ قَبِلَ الرِّسالَةَ ، بِأنْ يُوصِلَ إلى جِنْسِهِ مِنْهُ السَّلام؛

رؤيَةُ السَّيِّدِ ببَّغاواتِ بلادِ الهِنْدِ في المفازة وإيصالُهُ رِسالَةَ ذلِكَ الببَّغاء

عِنْدَما وَصَلَ إلى أقْصى بلادِ الهِنْد، رأى في الصَّحْراءِ مَجْموعَةَ بَبغاواتٍ؛
أَوقَفَ المَرْكوبَ ثُمَّ رَفَعَ الصَّوتَ، وبَلَّغَ ذلِكَ السَّلامَ وأدَّى تِلْكَ الأمانَة؛
ببَّغاءٌ مِنْ أولئكَ الببَّغاواتِ ارتَعَشَ بِشِدَّةٍ، وَسَقَطَ مَيْتاً وقَطَعَ النَّفَس؛
نَدِمَ السَّيِّدُ على نَقْلِهِ الخَبَرَ، قالَ لقد سَعَيْتُ في هلاكِ ذي روح؛
رُبَّما كانَ ذلِكَ البَبَّغاءُ الصَّغيرُ قريبَهُ، أو رُبَّما كانا جِسْمَيْنِ بروحٍ واحَدَةٍ؛
لِماذا فَعَلْتُ هذا لِماذا نَقَلْتُ الرِّسالَةَ، لِماذا أحرَقْتُ هذا المِسكينَ مِنْ قَولٍ فَجّ؛
هذا اللِّسانُ كالصَّخْرِ وأيضاً كالحَديدِ، وكُلُّ ما انطَلَقَ مِنَ اللِّسانِ يكونُ كالنَّار؛
لا تَضْرُبِ الصَّخْرَ والحَديدَ مَعاً جُزافاً، حيناً مِنْ وَجْهِ نَقْلٍ وحيناً مِنْ ثَرْثَرة؛
لأنَّهُ الظَّلامُ ومِنْ كُلِّ اتِّجاهٍ حَقْلُ قطْنٍ، وفي وَسَطِ القطْنِ كيفَ يكونُ الشَّرار؛
ظالِمونَ أولئكَ القَومُ الَّذينَ خاطوا الجُفون، وأحْرَقوا مِنْ أقوالِهِم تِلْكَ عالَماً؛
إنَّ قولاً واحِداً لَيَجْعَلُ عالَماً خَراباً، ويجْعَلُ مِنَ الثَّعالِبِ المَيْتَةِ أسوداً؛
الأرواحُ في أَصْلِ نَفْسِها لها أنفاسُ عيسى، فَزَماناً جُرحٌ وحيناً مرهَمٌ؛
لو ارتَفَعَ الحِجابُ عَنِ الأرواح، لكانَ قَوْلُ كُلِّ روحٍ مسيحاً آسِياً؛
إنْ أرَدْتَ الحَديثَ بكلامٍ كالسُّكَّر، اصبِرْ عَنِ الحِرْص ولا تأكُلْ هذِهِ الحَلوى؛
الصَّبْرُ مُشْتَهى العُقَلاء، وفي الحَلوى يرغَبُ الصّبيان؛
كُلُّ مَنْ صَبَرَ سارَ فَوقَ الفَلَك، كُلُّ مَنْ أكَلَ الحَلوى سارَ القهقرى؛

تَفسيرُ قَوْلِ فريدِ الدِّينِ العَطَّار قَدَّسَ اللهُ روحَهُ:

أَنْتَ صاحِبُ نَفَسٍ أَيْ غافِلُ وَسَطَ التُّرابِ اِجْرَعِ الدَّمْ

صاحِبُ القَلْبِ لو شَرِبَ السُّمَّ صارَ عَسَلاً ذلِكَ السُّمّْ

صاحِبُ القَلْبِ لا يُصيبُهُ ذلِكَ الأذى، ولَوْ أنَّهُ شَرِبَ السُّمَّ القاتِلَ عياناً؛
ذلِكَ أنَّهُ وَجَدَ الصِّحَّةَ وتَحَرَّرَ مِنَ التَّقوى، والطَّالِبُ المِسْكينُ في وَسَطِ الحُمّى؛
قالَ النَّبِيُّ أنْ أيُّها الرَّجُلُ الجريءُ، ها لا تَكُنْ مَعَ كُلِّ مَطلوبٍ مُماريا؛
إنَّ فيكَ نَمروداً فلا تَذْهَبْ في النَّار، وإنْ أرَدْتَ الذَّهابَ فأوَّلاً كُنْ إبراهيمَ؛
بما أنَّكَ لَسْتَ سَبَّاحاً ولسْتَ رَجُلَ بَحْرٍ، لا تُلْقِ بِنَفْسِكَ في البَحْرِ مِنَ العِناد؛
إنَّهُ جاءَ مِنَ النَّارِ بوَرْدٍ أحْمَرَ، هُوَ مِنْ أَلْسِنَتِها جاءَ بالنَّفْع؛
الكامِلُ لو أمْسَكَ التُّرابَ صارَ ذَهَباً، النَّاقِصُ لو حَمَلَ الذَّهَبَ صارَ تُراباً؛
الرَّجُلُ الصَّادِقُ ذاكَ إذْ صارَ مَقبولَ الحَقّ، يدُهُ في الأعمالِ صارَتْ يَدَ الله؛
اليَدُ النَّاقِصَةُ يَدُ شَيطانٍ وَإبْليس، ذلِكَ أنَّها في شِباكِ المَكْرِ والتَّكليف؛
الجَهْلُ أمامَهُ يصيرُ عِلْماً، العِلْمُ في النَّاقِصِ صارَ جَهْلاً؛
كُلُّ شَيءٍ حَمَلَ عِلَّةً صارَ عِلَّةً، إذا حَمَلَ كامِلٌ الكُفْرَ صارَ مِلَّةً؛
أي صاحِبَ المِراءِ ، الرَّاجِلُ للرَّاكِبِ لَنْ يُسْلِمَ الرَّأسَ، فالآنَ فتوقَّفْ؛

تَعْظيمُ السَّحَرَةِ لموسى عليهِ السَّلام أنْ

ما تأمُرُ تُلقي العَصا أنْتَ أوَّلاً أمْ نَحن

السَاحِرونَ في عَهْدِ فِرْعَونَ اللَّعين، كانوا فَعَلوا المِراءَ مَعَ موسى مِنَ الحِقْد؛
إلَّا أنَّهُمْ قَدَّموا موسى مُقَدَّماً، السَّاحِرونَ جَعَلوا موسى مُكَرَّماً؛
قالوا لهُ القرارُ قرارُكَ، إنْ كُنْتَ تُريدُ ألْقِ العَصا أوَّلاً؛

قالَ لا أيْ سَاحِرون أنتُمْ أوّلاً، ألقوا أدواتِ مَكْرِكُمْ في الوَسَط؛
بِهذا القَدْرِ مِنَ التَّعْظيمِ اشتراهُمُ الدِّين،وذاكَ مِنَ المِراءِ قَطَّعَ أيديَهُمْ وأرْجُلَهُم؛
السَّاحِرونَ عِنْدَما عَرَفوا حَقَّهُ، قامروا بِجُرْمِ ذاك باليَدِ والرِّجْلِ؛
اللُّقْمَةُ والجُمْلَةُ للكامِلِ حلالٌ، أنتَ لَسْتَ كامِلاً، لا تأكُلْ ولا تقُلْ؛
أنتَ أُذُنٌ وهُوَ لِسانٌ مِنْ غَيْرِ جِنْسِك، والحَقُّ قالَ للآذانِ *أنصِتوا*؛
الطِّفْلُ كانَ بعْدَ الوِلادَةِ رَضيعاً، وظَلَّ مُدَّةً صامِتاً وكانَ جُمْلَةً أُذُناً؛
لقد وَجَبَ أنْ يَكونَ إلى مُدَّةٍ مَخيطَ الشَّفَةِ، عَنِ الكلامِ إلى أنْ يتَعَلَّمَ الكلام؛
وإنْ لمْ يكُنْ ذا سَمْعٍ وراحَ يُتأتِئُ، جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ أبْكَمَ في الدُّنيا؛
الأَصَمُّ الأصْليُّ الَّذي لَمْ تكُنْ لَهُ أُذُنٌ بِدايَةً، يكونُ أخْرَسَ، فمتى يقومُ بالنُّطْق؛
ذلِكَ أنَّهُ يلزمُ السَّمْعُ أوّلاً للنُّطْقِ، فادخُلْ إلى جِهَةِ المَنْطِقِ مِنْ طَريقِ السَّمْع؛
أدخلوا الأبياتَ مِنْ أبوابِها   واطلبوا الأغراضَ في أسبابِها
النُّطْقُ الَّذي ليسَ موقوفَ طَريقِ السَّمَع، ليسَ غَيْرَ نُطْقِ خالِقٍ بلا طَمَع؛
إنَّهُ مُبْدِعٌ وليسَ تابِعاً لِأُستاذ، إنَّهُ مَسْنَدُ الجَميعِ وليسَ لَهُ إسناد؛
الباقونَ، أيضاً في الحَرْفِ وأيضاً في المقالْ، تابِعٌ لأُستاذٍ ومُحتاجٌ لِمِثالْ؛
فإنْ لَمْ تكُنْ عَنْ هذا الحَديثِ غَريباً، احمِلْ ثوبَكَ الخَلَقَ والدَّمْعَ للخَرابَة؛
فإنَّ آدَمَ مِنَ الدَّمْعِ نَجا مِنْ ذلِكَ العِتاب، الدَّمْعُ الطَّرِيُّ نَفَسُ تَوبَةِ العابِد؛
فَمَنْ أجْلِ البُكاءِ جاءَ آدَمُ إلى الأرْض، ليكونَ باكياً ونائحاً وحَزيناً؛
آدَمُ مِنَ الفِرْدَوْسِ ومِنْ أعلى السَّابِعَةِ، إلى مَوْطَأِ الأقْدامِ ذَهَبَ مِنْ أجْلِ العُذْر؛
فإذا كُنْتَ مِنْ ظَهْرِ آدَمِيٍّ ومِنْ صُلْبِهِ، كُنْ في الطَّلَبِ وكُنْ أيضاً في طَلَبِه؛
مِنْ نارِ القَلْبِ وماءِ العَيْنِ اعملِ النُّقْل، البُستانُ مِنَ الشَّمْسِ والغمامِ يتفتَّح؛
أنتَ ما تَعْرِفُ عَنْ قَدْرِ ماءِ العُيون، أنتَ عاشِقُ خُبْزٍ كمِثْلِ العُميان؛
إذا جَعَلْتَ هذا المَخْزَنَ خالياً مِنَ الخُبْزِ، جَعَلْتَهُ مليئاً مِنْ جواهِرِ الإجلالِ؛

فاقطَعْ لَبَنَ الشَّيطانِ عَنْ طِفْلِ الرُّوحِ، ومِنْ بَعْدِ ذلِكَ اجْعَلْهُ شَريكاً للمَلَك؛
فاعْلَمْ إذْ أنتَ مُظْلِمٌ وكَدِرٌ ومَلولٌ، أنَّكَ للشَّيطانِ اللَّعينِ رَضيعٌ؛
اللُّقْمَةُ الَّتي تَزيدُ النُّورَ والكَمالْ، هِيَ تِلْكَ المَجْلوبَةُ مِنَ الكَسْبِ الحلالْ؛
والزَّيتُ الَّذي أطْفَأَ سِراجَنا، أُدْعُهُ ماءً لأنَّهُ أطْفَأَ السِّراج؛
العِلْمُ والحِكْمَةُ يُوْلَدَانِ مِنْ لُقْمَةِ الحلالْ، العِشْقُ والرِّقَّةُ يأتيانِ مِنْ لُقْمَةِ الحلالْ؛
إذا ما رأيْتَ مِنْ لُقْمَةٍ حَسَداً ومَكْراً، وزيادَةَ جَهْلٍ وَغَفْلَةٍ فاعلَمْ أنَّها حَرام؛
ما زَرَعَ أحَدٌ قَمْحاً فحَصَدَ شَعيراً، أرأيْتَ فَرَساً وَلَدَتْ حِماراً؛
اللُّقْمَةُ بِذْرَةٌ ثَمَرُها الأفكار، اللُّقْمَةُ بَحْرٌ جوهَرُهُ الأفكار؛
يتولَّدُ مِنْ لُقْمَةِ الحلالِ في الفَمّ ، مَيْلُ الخِدْمَةِ وَعَزْمُ الذَّهابِ إلى ذلِكَ العالَم؛

قَولُ التَّاجِرِ لِذلِكَ البَبَّغاء ذلِكَ الَّذي رأى مِنْ ببَّغاواتِ الهِنْد

أتَمَّ التَّاجِرُ تِجارَتَهُ إلى تَمامِها، وعادَ إلى المَنْزِلِ بحاجاتٍ مَقضيَّةٍ؛
وقدْ جَلَبَ لِكُلِّ غُلامٍ هَدِيَّةً، وأعطى لِكُلِّ جارِيَةٍ أثَراً؛
فقالَ الببَّغاءُ أينَ هَدِيَّةُ هذا العَبْد، قُلْ لي كُلَّ ما رأيْتَ وما قُلْتَ؛
قالَ لا فأنا نادِمٌ مِنْ ذلِكَ، أعَضُّ على يَدي وأعَضُّ أنامِلي؛
أنا لِماذا حَمَلْتُ رِسالَةً فَجَّةً، جُزافاً مِنَ الغَباءِ والجَهْل؛
قالَ أي سيِّدُ أنْتَ نادِمٌ على ماذا، ما الأمْرُ الَّذي أزْعَجَكَ وأغَمَّكَ؛
قالَ لَقَدْ قُلْتُ شكاواكَ تِلْكَ، لِفَريقٍ مِنَ الببَّغاواتِ مِنْ أمثالِك؛
واحِدٌ مِنَ الببَّغاواتِ أحَسَّ بِألَمِكَ، فانفَجَرَتْ مرارَتُهُ وارتَجَفَ وماتَ؛
فأصابَني النَّدَمُ مِنْ هذا القَولِ كيفَ قُلْتُهُ، ولكِنَّني كُنْتُ قَدْ قُلْتُهُ ولا ينفَعُ النَّدَم؛
الجُمْلَةُ الَّتي انطَلَقَتْ فَجْأةً مِنَ اللِّسان، اِعرِفْها كالسَّهْمِ الَّذي انطَلَقَ مِنَ القَوس؛
ذلِكَ السَّهْمُ لنْ يرجِعَ إلى الوراءِ أي وَلَد، يجِبُ سَدُّ طَريقِ السَّيلِ عِنْدَ رأسِه؛

فإذا كانَ انْطَلَقَ فقد تَحَكَّمَ بالعالَم، وإذا ما جَعَلَ العالَم خَراباً فلا مَحَلَّ للعَجَب؛
الفِعْلُ لهُ في الغَيْبِ آثارُ وَضْعٍ، وتِلْكَ المواليدُ مِنْهُ ليسَتْ بِحُكْمِ الخَلْق؛
هِيَ جُمْلَةً مَخْلوقَةٌ للهِ بلا شريك، رَغْمَ أنَّ نِسْبَةَ تِلْكَ المواليدِ مَنْسوبَةٌ لنا؛
زيدُ أرْسَلَ السَّهْمَ طائراً نَحْوَ عَمْرْ وأصابَ السَّهْمُ عَمْراً كأنَّهُ النَّمْرْ
سَنَةً مُدَّةً مِنَ السَّهْمِ ظَلَّ الألَمْ يُولَدُ والحَقُّ لا المَرْءُ يَخْلُقُ الألَمْ
فإذا ماتَ زَيْدُ الرَّامي مِنَ الوَجَلْ واسْتَمَرَّتْ أوجاعُ عَمْرٍو لِحينِ الأجَلْ
ثُمَّ مات عَمْرُ مِنْ مواليدِ ذاكَ الوَجَعْ سَبَبُ المَوْتِ مِنْهُ أوَّلاً لِزيدٍ رَجَعْ
ولِزَيْدٍ مَنْسوبَةٌ أوجاعُهُ تِلْكَ كُلُّها رَغْمَ أنَّها مِنْ صُنْعِ الفَعَّالِ كُلَّها
والزَّرْعُ والنَّفَسُ والصَّيْدُ والجِماعْ كُلٌّ ذلِكَ مولودٌ للحَقِّ مُستَطاعْ
الأولياءُ لَهُمْ قُدْرَةٌ مِنَ الله، السَّهْمُ الَّذي انطَلَقَ يُرْجِعونَهُ عائداً مِنَ الطَّريق؛
أغلقوا أبوابَ المواليدِ مِنَ السَّبَب، فكيفَ يَنْدَمُ الوليُّ على فِعْلِ يَدِ الرَّبّ؛
يجْعلونَ المَقولَ غَيْرَ مَقولٍ بِفَتْحِ باب، فلا يحتَرِقُ مِنْهُ لا سيْخٌ ولا كباب؛
مِنْ كُلِّ القلوبِ الَّتي سَمِعَ مِنْها ذلِكَ السِّرَّ، محا ذلِكَ الكلامَ وجَعَلَهُ غَيْرَ ظاهِر؛
إنْ كانَ يلزمُكَ بُرهانٌ وحُجَّةٌ أي ذا الجاه، أعِدْ قِراءَةَ *مِنْ آيَةٍ أو نُنْسِها*؛
آيَةَ *أنْسَوكُمْ ذِكري* اِقْرَأْ، إشارَةَ قُدْرَةِ النِّسيانِ اِعْرِفْ؛
فهُمْ بالتَّذكيرِ وبالنِّسيانِ قادِرون، وهُمْ لِجَميعِ قلوبِ الخَلْقِ قاهِرون؛
حينَ بالنِّسيانِ أغْلَقَ طريقَ النَّظَر، ما أمْكَنَ القيامُ بالعَمَلِ والعامِلُ ذا فَضْل؛
خِلْتُمْ سُخْرِيَّةً أهْلَ السُّمُوّ *مِنْ نَبِيٍّ* فاقرَؤوا *أنْسَوكُمُ*
صاحَبُ القَرْيَةِ مَلِكٌ على أجسامِكُم، صاحِبُ القَلْبِ مَلِكٌ على قُلوبِكُم؛
جاءَ العَمَلُ فَرْعَ النَّظَرِ بلا أيِّ شَكّ، إذَنْ لا إنسانَ إلَّا إنسانُ العَيْن؛
مانِعي مِنْ إيرادِ هذا الحَديثِ إلى تَمامِه، مَنْعٌ يجيءُ مِنْ أصحابِ المراكِز؛
فإنَّ نِسيانَ الخَلْقِ وتذكيرَهُم، مِنْهُ، وإليهِ تَصِلُ صَرْخاتُهُم؛

وإنَّ ذلِكَ البَهِيَّ يَجْعَلُ قُلوبَهُم كُلَّ لَيْلَةٍ، مِنْ مِئَةِ ألفِ خَيْرٍ وَشَرٍّ فارِغَةً؛
النَّهارَ يَجْعَلُ القُلوبَ مليئةً مِنْها، يجْعَلُ تِلْكَ الأصْدافَ مليئةً بالدُّرّ؛
تِلْكَ الأفكارُ الأزلِيَّةُ جميعاً، تَعْرِفُها مِنَ الهِدايَةِ الأرواح؛
فحِرْفَتُكَ وعِلْمُكَ يأتيانِ إلَيك، لِيَفْتَحا لكَ أبوابَ الأسباب؛
حِرْفَةُ الصَّائغِ لا تكونُ للحَدَّاد، طَبْعُ حَسَنِ الطَّبْعِ لا يصيرُ لِذلِكَ المُنْكِر؛
الحِرَفُ والأخلاقُ كأنَّها الجِهاز، تَصِلُ إلى خصومِها يومَ القيامَة؛
الحِرَفُ والأخلاقُ منْ بَعْدِ النَّوم، تَرْجِعُ أيضاً إلى خُصومِها سريعاً؛
الحِرَفُ والأفكارُ في وَقْتِ الصُّبْح، تَرْجِعُ حَيْثُ كانَتْ أيضاً بالحُسْنِ والقُبْح؛
كأنَّهُنَّ حَمائمُ قاصِدَاتٌ مِنَ البُلْدان ، عائداتٌ بالمنافِعِ إلى بُلدانِها؛

سَماعُ ذلِكَ البَبَّغاءِ حَرَكَةَ أولئكَ البَبَّغاوات وموتُ ذلِكَ البَبَّغاء في القَفَص وَنَوْحُ السَّيِّدِ عَلَيْه

حينَ سَمِعَ ذلِكَ الطَّائرُ بِما فَعَلَ ذلِكَ البَبَّغاء، ارْتَعَشَ وَوَقَعَ بارِدَ الجِسْم؛
السَّيِّدُ حينَ رآهُ واقِعاً هكذا، ارتَعَدَ وألقى العَمامَةَ على الأرْض؛
وحينَ رأى ذلِكَ اللَّونَ وتِلْكَ الحال، نَهَضَ وشقَّ الثَّوب؛
قالَ أي ببَّغائي الطَّيِّبَ عَذْبَ الحنين، ماذا جَرى لَكَ، كيفَ صِرْتَ هكذا؛
أيْ أسَفي على طائري عَذْبِ الغِناء، أي أسَفي على نَديمي ومؤتَمَني؛
أيْ أسَفي على طائري بِعَذْبِ ألحانِ راحِ روحي وروضَتي وريحاني
لو كنَ عِنْدَ سُليمانَ طائرٌ كهذا، ما راحَ مَشغولاً بأولئكَ الطُّيور؛
أيْ أسفي على طَائرٍ وَجَدْتُهُ رخيصاً، وأعْرَضْتُ عَنْهُ بِوَجْهي سريعاً؛
أيْ لِسانُ، كَمْ كانَ مِنْكَ مِنَ الأذى للورى، حينَ تكونُ قائلاً ما أقولُ عَنْك؛
أيْ لِسانُ، أنتَ نارٌ وأنتَ حَقْلٌ أيضاً، كَمْ تَظَلُّ تُشعِلُ بِهذا الحَقْلِ هذِهِ النَّار؛

الرُّوحُ، بالسِّرِّ مِنْكَ تَصْرُخُ، رَغْمَ أَنَّها تَفْعَلُ كُلَّ ذاكَ الَّذي لها تقولُ؛
أي لِسانُ أنتَ أيضاً كَنْزٌ بلا نِهايةٍ، أي لِسانُ أنْتَ أيضاً أَلَمٌ بلا عِلاج؛
مِنْكَ صَفيرٌ وخِدْعَةُ طيورٍ أيضاً، وأنتَ أنيسُ وَحْشَةِ الهِجران أيضاً؛
كمْ أماناً تُعطي وليسَ لَكَ أمانٌ، أي مَنْ شَدَدْتَ عَلَيَّ وَتَرَ قَوسِ الحِقْد؛
لقد طَيَّرْتَ لي طائري طَيراناً، كفاكَ ارتِعاءً في مَرْعى الظُّلْم؛
أو قُلْ لي الجوابَ أو أعْطِني الإنْصافَ، أو ذَكِّرْني بأسبابِ السَّعادَة؛
أيْ أسفاً نورَ ظُلْمَةِ احتِراقي، أيْ أسَفاً صُبْحَ يومِ ضيائي؛
أيْ أسَفاً طائري حَسَنَ الطَّيَران، طائراً مِنْ الانتِهاءِ إلى بِدايَتي؛
الجاهِلُ عاشِقُ الألَمِ حتّى الأبَدْ، اِنْهَضْ واقْرَأْ *لا أُقسِمُ حتَّى كَبَدْ*؛
مَعَ وَجْهِكَ كُنْتُ فارِغاً مِنَ الكَبَد، في جَدْوَلِكَ كُنْتُ صافياً مِنَ الزَّبَدْ؛
هذِهِ الحَسَراتُ خيالُ الرُّؤيَة، قاطِعَةٌ عَنْ وجودِ نَقْدِ النَّفْس؛
غيرَةُ الحَقِّ ولا حيلَةَ مَعَ الحَقّ، أينَ قَلْبٌ لا يصيرُ مِئةَ قِطْعَةٍ مِنْ حُكْمِ الحَقِّ؛
تِلْكَ الغَيْرَةُ كانَتْ مِنْ أنَّهُ غَيْرُ الجَميع، بِما يَزيدُ عنِ البيانِ والدَّمْدَمَة؛
أي أسَفاً دَمْعي ليْتَكَ كُنْتَ بَحْراً، لكي تكونَ للحبيبِ الجَميلِ نِثاراً؛
أي ببَّغائي أي طائري الذَّكِيّ، أي ترجمانَ فِكْري وأسراري؛
كُلُّ ما كانَ لي مِنْ عطاءٍ ومِنْ مَنْعٍ، هُوَ قالَهُ لي مِنَ الأوَّلِ لأتَذَكَّر؛
ببَّغاءٌ يجيئهُ مِنَ الوَحْيِ الغِناء، ابتِداءُ وجودِه كانَ قَبْلَ الإبتِداء؛
ذلِكَ البَبَّغاءُ في داخِلِكَ مُختَفٍ، رَأَيْتَ صورَتَهُ على هذا وذاكَ؛
يَحْمِلُ لَكَ السُّرورَ تأخُذُ السُّرورَ مِنْهُ، وتَقْبَلُ الظُّلْمَ مِنْهُ كأنَّهُ العَطاءُ؛
أيْ مَنْ تُحْرِقُ الرُّوحَ مِنْ أجْلِ البَدَن، قَدْ أحْرَقْتَ الرُّوحَ وأضأتَ البَدَن؛
احْتَرَقْتُ فَهَلْ يُريدُ أحَدٌ هذا المُحْتَرَقَ، لِيُشْعِلَ مِنّي النّارَ في الحَطَب؛
المُحْتَرِقُ كانَ قابِلاً للنَّار، خُذِ المُحْتَرِقَ فإنَّهُ يُشْعِلُ النَّارَ؛

وا أسَفا وا أسَفا وا أسَفا   أنَّ ذاكَ البَذْرَ بالغَيْمِ اختَفى
تَكَلَّمْتُ فاشْتَعَلَتِ النَّارُ سريعاً في القَلْبِ، أسَدُ الهَجْرِ هاجَ وسفَكَ دَمي؛
ذلِكَ الحادُّ المِزاجِ والسَّكرانُ وهو يقظانٌ، كيفَ يكونَ إذا ما أخَذَ القَدحَ باليَد؛
أسَدُ السُّكْرِ الَّذي هُوَ خارِجَ الصِّفَةِ، أكْبَرُ مِنَ الأَجَمَةِ البسيطة؛
كُنْتُ أُفَكِّرُ بالقافِيَةِ ومحبوبي، قالَ لي لا تُفَكِّرْ إلَّا بِرؤيتي؛
أيْ فِكْرَ القافِيَةِ مِنِّي اجْلِسْ جميلاً، قافِيَةُ دولَتِكَ أمامي؛
ما هُوَ الحَرْفُ حتّى يكونَ فِكْرُكَ فيه، الحَرْفُ أشواكٌ على دوالي العِنَب؛
الحَرْفَ والصَّوتَ والقَوْلَ حَطِّمْ، لِأُكَلِّمَكَ دونَ أيِّ واحِدٍ مِنْ هذِهِ الثَّلاثة؛
ذاكَ الكلامَ الَّذي أخْفَيتُهُ عنِ الآدَمِيّ، لَكَ أقولُ أيْ أنتَ أسرارُ العالَم؛
ذاكَ الكلامَ الَّذي ما تَكَلَّمْتُهُ مَعَ الخَليل، وذاكَ الغَمَّ الَّذي ما عَلِمَهُ جبرئيل؛
ذاكَ الكلامَ الَّذي ما تَكَلَّمَ بِهِ المسيح، ولا كَلَّمَنا بِهِ الحَقُّ مِنَ الغَيْرَةِ كذلِكَ؛
ما في اللُّغَةِ إثباتٌ ونَفْيٌ، أنا لَستُ إثباتاً أنا بلا ذاتٍ ونفْي؛
أنا وَجَدْتُ ذاتي في انعِدامِ الذَّات، ثُمَّ نَسَجْتُ ذاتاً مِنْ انعِدامِ الذَّات؛
جُمْلَةُ المُلوكِ لِعَبيدِه عبيدٌ، جُمْلَةُ الخَلْقِ أمامَ مَوتاه موتى؛
جُمْلَةُ الملوكِ للخاضِعينَ لهُ خاضِعونَ، جُمْلَةُ الخَلْقِ لِسُكاراه سُكارى؛
يصيرُ الصَّيَّادُ صيداً للطّيورِ، حتَّى يجْعَلَها فَجْأةً لهُ صَيْداً؛
الوالِهونَ يطلبون الحِسان بالرُّوح، المَعْشوقونَ جُمْلَةً صَيْدُ العاشِقين؛
كُلَّ مَنْ رأيتَ عاشِقاً اِعْرِفْهُ مَعشوقاً، فهوَ مِنْ نِسْبَةٍ أيضاً هذا وأيضاً ذاكَ؛
الظَّامِئونَ إنْ طَلَبوا الماءَ مِنَ الدُّنيا، الماءُ في العالَمِ أيضاً يطْلُبُ الظَّامِئين؛
إنْ كُنْتَ لهُ عاشِقاً فكُنْ صامِتاً، ولَو شَدَّ أُذُنَكَ كُنْ لَهُ أُذُناً؛
أقِمِ السَّدَّ حينَ يبدأُ السَّيْلُ بالسَّيَلان، وإلَّا أحْدَثَ الفَضيحَةَ والخراب؛
أيُّ غَمٍّ يكونُ عِنْدي مِنَ الخراب، إنَّ الكَنْزَ السُّلطانيَّ تَحْتَ الخراب؛

غريقُ الحَقّ يطلُبُ أنْ يزدادَ غَرَقاً، مثلَ موجِ البَحْرِ الحياةُ أسْفَلُهُ وأعلاه؛
أسْفَلُ البَحْرِ يكونُ أجمَلَ أمْ أعلاهُ، سهْمُهُ يا تُرى أحَبُّ للقَلْبِ أمْ دِرْعُهُ؛
أنتَ مُقَطَّعٌ مِنَ الوسوَسَةِ قِطَعاً يا قَلْبُ، إذا كُنْتَ تُمَيِّزُ الطَّرَبَ مِنَ البلاء؛
إذا كانَ المُرادُ مِنْكَ مَذاقَ السُّكَّر، أليسَ مُرادُ الحبيبِ قَطْعَ المُراد؛
كُلُّ نَجْمَةٍ مِنْ نجومِهِ تُفْدى بمِئةِ هِلال، إراقَةُ دَمِ العالَمِ لهُ حَلال؛
نحنُ وَجَدْنا الأجْرَ وَثَمَنَ الدَّم، فأسْرَعْنا إلى المُقامَرَةِ بالرُّوح؛
فحياةُ العاشِقينَ تكونُ بالمَوت، لَنْ تَجِدَ القَلْبَ إلّا بِسَلْبِ القَلْب؛
أَطْلُبُ الوُدَّ مِنْهُ وبِمائةِ غُنْجٍ دلال، يَروحُ مُتَعَلِّلاً مِنّي مِنَ الملال؛
قُلْتُ آخِراً سيغْرَقُ بِكَ العَقْلُ والرُّوح، قالَ اذْهَبِ ولا تَقْرأ لي هذا الخِداع؛
أنا لا أعْترِفُ كُلَّ ما فَكَّرْتَ فيه، أي عينَيَّ كيفَ رأيْتُما الحبيب؛
أي ثقيلَ الرُّوحِ لَقَدْ رأيْتَهُ وَضيعاً، لأنَّكَ اشتَرَيْتَهُ رخيصاً جِدّاً؛
كُلُّ مَنِ اشتراهُ رخيصاً باعَهُ رَخيصاً، باعَ طِفْلٌ جَوْهَرَةً بِرَغيفِ خُبْز؛
غَرِقْتُ بِعِشْقٍ غَرِقَ فيهِ كُلُّ عِشْقٍ، مِنْ عِشْقِ الأوَّلينَ والآخِرين؛
قُلْتُ قَولاً مُجْمَلاً ولم أقُمْ بالبيان، لو فَعَلْتُ احتَرَقَتِ الأفهامُ واحتَرَقَ اللّسان؛
أنا حينَ قُلْتُ شَفَةً أرَدْتُ شَفَةَ البَحْرِ، وحينَ قُلْتُ لا كانَ المُرادُ إلّا؛
أنا مِنَ اللَّذةِ جَلَسْتُ عابِسَ الوَجْهِ، أنا مِنْ كَثْرَةِ المقالِ عِنْديَ صامِت؛
لِكي تكونَ لَذَّتُنا عَنِ العالَمينِ خَفاءً، جَعَلْتُها في حِجابٍ مِنَ العُبُوس؛
كي لا يَدْخُلَ هذا الحَديثُ كُلَّ أُذُنٍ ، مِنْ مِئةِ سِرٍّ لَدُنيٍّ أقولُ واحِداً؛

تفسير قول حكيم:

بِكُلِّ ما أخَّرَكَ في الطَّريق، ما كُفْرُ ذلِكَ الحَرْفِ وما الإيمان

بِكُلِّ ما أبْعَدَكَ عَنِ الحبيب، ما قُبْحُ ذلِكَ النَّقْشِ وما الجمال

في مَعْنى قَوْلِهِ عليهِ السَّلام: *إنَّ سَعْداً لَغَيورٌ وأنا أغيَرُ مِنْ سَعْدٍ واللهُ أغْيَرُ مِنِّـي وَمِنْ غَيْرَتِهِ حَرَّمَ الفَواحِشَ* ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَن

جُمْلَةُ العالَمِ مِنْ ذاكَ غَيورٌ فالحَقّ، لَهُ على العالَمِ في الغَيْرَةِ السَّبْق؛
هُوَ كالرُّوحِ والعالَمُ مِثْلَ البَدَن، البَدَنُ قَبِلَ مِنَ الرُّوحِ السَّيِّئَ والحَسَن؛
كُلُّ مَنْ صارَ مِحرابُ صلاتِهِ عَيناً، اِعْرِفْ ذهابَهُ جِهَةَ الإيمانِ شَيناً؛
كُلُّ مَنْ كانَ صاحِبَ لِباسِ المَلِك، خَسارَةٌ لهُ الاِتِّجارُ لِكُلِّ مَلِك؛
كُلُّ مَنْ كانَ للسُّلطانِ جليساً، وقوفُهُ على بابِهِ حَيْفٌ وغُبْن؛
وبِما أنَّهُ وَصَلَ إلى تَقبيلِ يَدِ المَلِك، إذا اختارَ تَقبيلَ القَدَمِ يكونُ مُذنِباً؛
فرَغْمَ أنَّ وَضْعَ الرَّأسِ على القَدَمِ خِدْمَةٌ، فهِيَ أمامَ تِلكَ الخِدْمَةِ خَطَأٌ وزَلَّةٌ؛
إنَّ للشاهِ غَيْرَةً على كُلِّ مَنْ كانَ شاهَدَ الوَجْهَ أنْ يختارَ شَمَّ الرَّائحَةِ؛
غَيْرَةُ الحَقِّ مِثْلَ حَبِّ القَمْحِ، غَيْرَةُ الخَلْقِ مِثْلَ تِبْنِ البيدَر؛
اِعْرِفوا أصْلَ كُلِّ غَيْرَةٍ مِنَ الله، أولئكَ الخَلْقُ فَرْعُ الحَقِّ بلا اِشتِباه؛
فلأتْرُكْ شَرْحَ هذا وآخُذَ بالشَّكوى، مِنْ جَفَا ذاكَ الحبيبِ ذي القلوبِ العَشْرة؛
النَّحيبُ لهُ يطيبُ فلأقُمْ بالنَّحيب، إنَّهُ مِنَ العالَمَيْنِ يطْلُبُ الغَمَّ والنَّحيب؛
كيفَ لا أنوحُ في مرارَةٍ مِنْ قِصَّتِهِ، كيفَ لا أكونُ بينَ السّكارى في حَلْقَتِهِ؛
كيفَ لا أكونُ كاللَّيلِ بلا نَهارِهِ، بلا وِصالِ وَجْهِهِ المُضيءِ للنَّهار؛
ما ليسَ بالحَسَنِ مِنْهُ حَسَنٌ في روحي، روحي فِداءُ الحبيبِ الَّذي يُعَذِّبُ قلبي؛
أنا عاشِقُ وَجَعِ نَفْسي وأَلَمِ نَفْسي، لِأجْلِ رِضا ذلِكَ المَلِكِ الفَرْدِ على نَفْسي؛
جَعَلْتُ مِنْ تُرابِ الغَمِّ كُحْلاً لِلْعَيْن، ليمتَلِئَ البَحْرانِ مِنْ عَينَيَّ بالجَوْهَر؛
الدَّمْعَ الَّذي أمْطَرَ الخَلْقُ في سبيلِهِ، كانَ جوهَراً وظَنَّهُ الخَلْقُ دَمْعاً؛
أمِنْ روحِ روحي أقومُ بالشِّكايَة، لَسْتُ شاكياً أنا أقومُ بالرِّواية؛

القَلْبُ كانَ يقولُ تألَّمْتُ مِنْهُ، وكُنْتُ أضْحَكُ مِنْ النِّفاقِ الواهي؛
كُنْ صادَقاً أيْ أنْتَ فَخْرُ الصَّادِقين، أي أنْتَ الصَّدْرُ وأنا العَتَبَةُ لبابِك؛
أينَ العَتَبَةُ والصَّدْرُ في المَعْنى، أينَ *نحْنُ وأنا* مِنْ طَرَفِ محبوبِنا؛
أيْ مَنْ روحُكَ مُنَزَّهَةٌ عن *نحنُ وأنا*، أي لَطيفَةَ الرُّوحِ في كُلِّ رَجُلٍ وامرأةٍ؛
إذا صار الرِّجالُ والنِّساءُ واحِداً فذاكَ أنْت، إذا كانَ مَحْوُ الواحِدِ فذاكَ أنت؛
أنا ونحْنُ، أنتَ مِنْ أجْلِ غايَةٍ صَنَعْتَ، ذاك لِتلْعَبَ نَرْدَ الخِدْمَة مَعَ النَّفْس؛
لِتَصيرَ *أنا وأنْتَ* روحاً واحِدَةً، ليصيرا مُستَغْرِقَينِ في الحبيبِ في العاقِبَة؛
هذا كُلُّهُ وُجودٌ تعالَ أيْ أمْرَ *كُنْ*، أيْ مُنَزَّهاً عَنِ البيانِ وعَنِ الكلام؛
أيستطيعُ الجِسْمُ الجِسْمانيُّ أنْ يراكَ، وأنْ يُورِدَ للخيالِ مِنْكَ الغَمَّ والضَّحِك؛
القَلْبُ المُتَعَلِّقُ بالغَمِّ والضَّحِك، لا تَقُلْ أنَّهُ لائقٌ بتِلْكَ الرُّؤيَة؛
ذلِكَ المُتَعَلِّقُ بِالغَمِّ والضُّحْكَةِ، هُوَ بِتَينِكَ العارِيَتَين حَيٌّ؛
روضُ العِشْقِ الأخْضَرُ الَّذي بلا مُنتَهى، غيرَ الغَمِّ والفَرَحِ فيهِ كثيرٌ مِنَ الثِّمار؛
العِشْقُ أعلى مِنْ كِلْتا هاتَيْنِ الحالَتَين، بلا ربيعٍ ولا خريفٍ أخضَرٌ ونَضيرٌ؛
اِدْفَعْ زكاةَ المُحَيَّا الجَمِيلِ أي جَمِيلَ المُحَيَّا، أعِدْ الشَّرْحَ للرُّوحِ المُقطَّعَةِ قِطَعاً؛
فأنتَ مِنْ سِحْرِ غَمْزَةٍ غَمَّازَةٍ مِنْكَ، جَعَلْتَ على قلبي حرارَةً طازَجَةً؛
أنا جَعَلْتُ لَهُ دَمي حلالاً لو أراقَ، كُنْتُ أقولُ هُوَ حلالٌ وكانَ يهرُب؛
عِنْدَما هَرَبْتَ مِنْ أنينِ المُتْرِبين، أيَّ غَمٍّ سَكَبْتَ على قلوبِ المَغْمومين؛
أي مَنْ كُلُّ صُبْحٍ اشتَعَلَ مِنَ المَشْرِق، وَجَدَكَ تشتَعِلُ مِثْلَ عَيْنِ المَشْرِق؛
كيفَ أعطَيْتَ الخِداعَ والِهَكَ هذا، يا للخِداعِ مِنْ شفَتَيكَ المملوءتَينِ سُكَّراً؛
أيْ مَنْ أنْتَ للعالَمِ القَديمِ روحٌ جديد، اِسْمَعْ صُراخَ بَدَنٍ بلا قَلْبٍ ولا روح؛
فدَعْ شَرْحَ الوَرْدِ لأجْلِ الله، وَقُلْ شَرْحَ البُلْبُلِ الَّذي فُصِلَ عَنِ الوَرْد؛
مِنَ الغَمِّ والسُّرورِ لا يكونُ وَصْلُنا، مَعَ الخيالِ والوَهْمِ لا يَكونُ وَعْيُنا؛

لقد كانَ حالَةً أُخرى وذلِكَ نادِرٌ، فلا تَكُنْ مُنْكِراً فالحَقُّ قادِرٌ؛
لا تقُمْ بالقياسِ مِنْ حالَةِ الإنسان، لا تَجْعَلِ المَنْزِلَ في الجَوْرِ وفي الإحسان؛
جَوْرُ وإحسانُ الألَمِ والسُّرورِ حوادِث، الحوادِثُ تموتُ والحَقُّ لَها الوارِث؛
طَلَعَ الصُّبْحُ أي ملجَأَ الصُّبْحِ والمُعين، فلتكُنْ عاذِرَ السَّيِّدِ حُسامِ الدِّين؛
أنتَ عاذِرُ العَقْلِ الكُلِّيِّ والرُّوح، أنتَ ضياءُ المَرْجانِ وروحُ الرُّوح؛
لألأَ نورُ الصُّبْحِ ونَحْنُ مِنْ نورِك، في صَبوحٍ مَعَ خَمْرِ مَنصورِك؛
عطيَّتُكَ ما دامَتْ تَجْعَلُني على هذا الحال، ما هِيَ الخَمْرُ لِتَجْلِبَ ليَ الطَّرَب؛
فالخَمْرُ في جَيَشانِها تستجدي جَيَشانَنا، والفَلَكُ في دَوَرانِهِ يستَجْدي إدراكَنا؛
الخَمْرُ سَكِرَ مِنَّا ولَمْ نَسْكَرْ مِنْه، القالَبُ وُجِدَ مِنَّا ولَمْ نُوْجَدْ مِنْه؛
نَحْنُ كالنَّحْلِ والقوالِبُ كالشَّمْع، بيتاً بيتاً صُنِعَتِ القوالِبُ كالشَّمْع؛

رُجوعٌ إلى حِكايَةِ السَّيِّدِ التَّاجِر

قَدْ أطَلْنا فعُدْ إلى حديثِ السَّيِّد، كيفَ صارَتْ أحوالُ ذاكَ الرَّجُلِ الطَّيِّب؛
السَّيِّدُ في النَّارِ والوَجَعِ والحنين، مُبَلْبَلاً ظَلَّ يتَحَدَّثُ على هذِهِ الشَّاكِلَة؛
حيناً تناقُضٌ حيناً تَكَبُّرٌ حيناً افتِقار، حيناً يتعامَلُ مَعَ الحقيقَةِ حيناً مَعَ المجاز؛
الرَّجُلُ الغريقُ الَّذي صارَ مُشرفاً على الموت، يمُدُّ اليَدَ إلى كُلِّ عُشْبَةٍ للنَّجاة؛
باحِثاً عَمَّنْ يأخُذُ بيدِهِ في الخَطَر، ضارِباً باليَدِ والرِّجْلِ خوفاً على الرَّأس؛
الحبيبُ قَدْ أحَبَّ هذا الوَلَهَ، السَّعْيُ بلا طائلٍ خَيْرٌ مِنَ النَّوم؛
وذاكَ الَّذي هُوَ الشَّاهُ ليسَ بلا عَمَلٍ، الأنينُ مِنْهُ نادِرٌ فهُوَ ليسَ مَريضاً؛
لأجْلِ هذا أمَرَ الرَّحْمانُ أي وَلَد، كُلَّ يومٍ هُوَ في شأنٍ أي وَلَد؛
في هذا الطَّريقِ عانِ الجِراحَ واسْعَ، لا تَكُنْ فارِغاً نَفَساً إلى آخِرِ نَفَس؛

إلى النَّفَسِ الأخيرِ كانَ نَفَسٌ آخَرٌ، وكانَ يقومُ بالعنايَةِ بِك صاحِبُ السِّرّ؛
في كُلُّ سَعْيٍ يكونُ مِنْ رَجُلٍ وامْرَأَة، أُذُنُ وَعَيْنُ شاهِ الرُّوحِ على النَّافِذَة؛

إلقاءُ التَّاجِرِ البَبَّغاءَ مِنَ القَفَصِ وطَيَرانُ البَبَّغاءِ المَيّت

بعْدَ ذاكَ رماهُ خارِجَ القَفَص، فطارَ البَبَّغاءُ الصَّغيرُ إلى غُصْنٍ عالٍ؛
كيفَ قامَ البَبَّغاءُ المَيِّتُ بالطَّيَرانِ هكذا، كشمْسٍ مِنَ الفَلَكِ قامَتْ بِغارَةَ تُركيّ؛
السَّيِّدُ صارَ حيرانَ في أمْرِ الطَّائر، كانَ جاهِلاً وعايَنَ فَجْأَةً أسرارَ الطَّائر؛
رَفَعَ الوَجْهَ عالياً وقالَ أيْ عَنْدَليب، عَنْ بيانِ الحالِ قُمْ بإعطائنا النَّصيب؛
هُوَ ماذا فَعَلَ هُناكَ حتّى عَلَّمَك، فَصَنَعْتَ مَكْراً وَأَحْرَقْتَنا؛
قالَ البَبَّغاءُ أعطاني النَّصيحَةَ لفِعْلي، أنْ تَحَرَّرْ مِنْ لُطْفِ الصَّوتِ والوِداد؛
لأنَّ صَوتَكَ هُوَ الَّذي أوقَعَكَ في الحَبْس، مِنْ أجْلِ هذا نَصَحَني بموتِ النَّفْس؛
يَعْني أيْ مَنْ صِرْتَ مُطْرِبَ عامٍّ وخاصّ، كُنْ مَيْتاً مِثْلي لِتَجِدَ الخلاص؛
إذا صِرْتَ حَبَّةً تَلْتَقِطُكَ الأطيار، وإذا صِرْتَ بُرْعُماً يقتَطِفُكَ الأطْفال؛
أخْفِ الحَبَّةَ وكُنْ بكُلِّكَ شِباكاً، أخْفِ البُرعُمَ وكُنْ بِكُلِّكَ نباتاً؛
كُلُّ مَنْ عَرَضَ الحُسْنَ مِنْ نَفْسِهِ في المَزاد، وجَّهَ لهُ الوَجْهَ مِئَةُ قضاءِ سوء؛
العيونُ والضَّغائنُ والحَسَدُ، تنهالُ على رأسِهِ كالمياهِ مِنَ القُرَب؛
الأعْداءُ يُمَزِّقُونَهُ مِنْ غَيْرَةٍ تَمزيقاً، الأصدِقاءُ أيضاً يأخُذونَ أوقاتَه؛
ذاكَ الَّذي كانَ غافِلاً عَنْ زَرْعِ الرَّبيع، كيفَ لهُ أنْ يعْرِفَ قيمَةَ هذِهِ الأيّام؛
يجِبُ الفِرارُ إلى مَلْجَأِ لُطْفِ الحَقّ، الَّذي صَبَّ على الأرواح آلافَ الألطاف؛
لِتَجِدَ الملجَأَ آنَذاكَ يا لهُ مَلْجَأً، والماءُ والنَّارُ يصيرانِ لَكَ جَيْشاً؛
أَلَمْ يكُنِ البَحْرُ لِنوحٍ وموسى مُعيناً، أَلَمْ يَكُنْ على أعدائهِم غاضِباً وقَهَّاراً؛
أَلَمْ تَكُنِ النَّارُ لإبراهيم قَلْعَةً، حتَّى أخْرَجَتِ الدُّخانَ مِنْ قَلْبِ نَمرود؛

أَلَمْ يَدْعُ الجَبَلُ إليه يحيى، ورمى وجَرَحَ بالحِجارَةِ قاصِديه؛
قالَ أي يحيى تعالَ والتَجِئْ إليَّ، كي أكونَ لَكَ مَلْجَأً مِنْ السَّيفِ الحادّ؛

تَوديعُ البَبَّغاء للسَّيِّد وطيرانُه

نَصيحَةً نَصيحَتَينِ قالَ البَبَّغاءُ بلا نِفاق، بَعْدها قالَ سلامٌ عليكَ سلامَ الفِراق؛
قالَ لَهُ السَّيِّدُ في أمانِ اللهِ فاذهَبْ، فإنَّكَ الآنَ أظْهَرْتَ لي طريقاً جديداً؛
وقالَ السَّيِّدُ لِنَفْسِهِ هذِهِ لي نَصيحَةٌ، سأسلُكُ طريقَهُ فهِيَ طريقٌ مُضيئَةٌ؛
ليستْ روحي أقَلَّ مِنْ بَبَّغاء، ينبغي على الرُّوحِ أنْ تكونَ حَسَنَةَ السَّيْر؛

مَضَرَّةُ تَعْظيمِ الخَلْقِ وكَونِ المَرْءِ مُشاراً إليهِ بالبنان

للبَدَنِ شَكْلُ القَفَصِ البَدَنُ شَوكُ الرُّوح، في المَكْرِ بالدَّاخَلينَ والخارِجين؛
هذا قالَ لَهُ أنا رَفيقُكَ، وذاكَ قالَ لهُ لا، أنا شريكُك؛
هذا قالَ لَهُ ليسَ مِثْلَكَ في الوجود، في جَمالٍ وفَضْلٍ وفي إحسانٍ وجود؛
ذاكَ قالَ لهُ العالَمانِ كلاهُما لَك، جُمْلَةُ أرواحِنا طُفَيْلُ روحِك؛
هُوَ إذْ رأى الخَلْقَ سكارى النَّفْس، مِنَ التَّكَبُّرِ راحَتْ تَضيعُ مِنْ يَدِهِ النَّفْس؛
لا يعْلَمُ أنَّ الآلافَ مِنْ أمثالِهِ، قَدْ رماهُمْ الشَّيطانُ في ماءِ ساقِيَةٍ؛
لُطْفُ الدُّنيا وخِداعُها لُقْمَةٌ شهِيَّةٌ، أقِلَّ الأكْلَ مِنها فهيَ لُقْمَةٌ مَملوءَةٌ بالنَّار؛
نارُها خَفِيَّةٌ وذَوقُها عِيانٌ، نِهايَةَ الأمْرِ يصيرُ ظاهِراً مِنْها الدُّخانُ؛
لا تَقُلْ لن أشتريَ ذاكَ المَدْحَ، لا تَقُلْ هُوَ يقولُ مِنَ الطَّمَعِ وأنا أنقُلُ الخُطى؛
لو أنَّ مادِحَكَ هجاكَ على الملأِ، لاحتَرَقَ قلبُكَ أيَّاماً احتِراقاً لذلِك؛
مَعَ عِلْمِكَ أنَّهُ قالَ ذاكَ مِنَ الحِرمان، إذْ كانَ نَصيبُهُ مِنْ طَمَعِهِ فيكَ الخُسران؛
ذاكَ الأثَرُ سيبقى فيكَ في داخِلِك، في المديحِ تكونُ حالَتُكَ هذِهِ بنَفْسِ المِقْدار؛

ذاكَ الأثَرُ يظَلُّ أيَّاماً أيضاً، ذخيرَةً للكِبْرِ وخِداعِ الرُّوح؛
لكِنْ لا يكونُ ظاهِراً لِجَمالِ المَدْحِ، ويظْهَرُ السُّوءُ مِنْ مرارَةِ القَدْحِ؛
مِثْلَ المَطبوخِ وذاكَ الحَبَّ الَّذي أكَلْتَ، تَظَلُّ طويلاً تُعاني ألَمَهُ وبَلْبالَهُ؛
ولو أكَلْتَ الحَلوى كانَ ذَوقُها في الحالِ، وهذا الأثَرُ لا يبقى مِثْلَ ذاكَ طويلاً؛
وحيثُ لا يثبُتُ ظاهِراً فإنَّهُ يثبُتُ مَخْفيَّاً، فلتَكُنْ عارِفاً كُلَّ ضِدٍّ بِضِدِّه؛
بما أنَّ السُّكَّرَ ظَلَّ تأثيرُهُ خَفِيَّاً، بَعْدَ حينٍ صارَ دُمَّلاً واستَدْعى المِبْضَعَ؛
صارَتِ النَّفْسُ مِنْ كَثْرَةِ المَدْحِ فِرعَوناً، *كُنْ ذليلَ النَّفْسِ هَوناً لا تَسُدْ*؛
كُنِ العَبْدَ ما قَدَرْتَ لا تَكُنْ السُّلطان، احْمِلِ الجُرْحَ كُنْ كالكُرَةِ لا كالصَّولَجان؛
وإلَّا فحينَ لا يبْقَى لُطْفُكَ وهذا الجَمال، يصِلُ أولئكَ الحريفينَ مِنْكَ المَلال؛
تِلْكَ الجَماعَةُ الَّتي كانَتْ تُعطيكَ الخِداع، حينَ تراكَ تقولُ عَنْكَ أنَّكَ الشَّيطان؛
ويقولونَ لَكَ جُمْلَةً إذا رأوكَ بالباب، مَيّتٌ قَدْ رَفَعَ الرَّأسَ مِنَ القَبْرِ؛
مِثْلَ الأمْرَدِ الَّذي سَمَّوهُ سيّداً، كي يوقِعوهُ بِهذا الخِداعِ في الفَخِّ؛
حتَّى إذا لِحْيَتَهُ نَبَتَتْ في السُّمْعَةِ السَّيّئةِ، الشَّيطانُ يشعُرُ بالعارِ مِنْ تَفْتيشِه؛
الشَّيطانُ الَّذي أتى للآدَمِيّ بِكُلِّ شَرّ، لا يأتي إلَيْكَ لأنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ أشَرّ؛
ما دُمْتَ آدَمِيَّاً يكونُ الشَّيطانُ في أثَرِكَ، يَجْري وراءَكَ ويُذيقُكَ الخَمْرَ؛
فإذا صِرْتَ مُحْكَماً بطَبْعِ الشَّيطان، يهْرَبُ مِنْكَ الشَّيطانُ اللَّعين؛
ذاكَ الَّذي كانَ مُتَعَلِّقاً بِثيابِكَ، حينَ صِرْتَ هكذا هَرَبَ مِنْك؛

تفسير ما شاءَ اللهُ كان

كُلَّ هذا قُلْنا ولكِنْ في السَّعْيِ، بلا عِناياتِ اللهِ ليسَ لنا شَيءٌ، أيُّ شَيء؛
بلا عِناياتِ الحَقّ وخاصَّةِ الحَقّ، حتّى الَّذي هُوَ مَلِكٌ أسوَدُ الوَرَق؛
أي ربّ أي مَنْ فَضْلُكَ حاجَةٌ مُتاحَةٌ، ذِكْرى أيّ شَخْصٍ مَعَكَ غَيْرُ مُباحَة؛

هذا القَدْرَ مِنَ الإرشادِ أنتَ الَّذي وَهَبْتَنا، كي تَسْتُرَ هذا العَيْبَ الكَثيرَ مِنَّا؛
قَطْرَةَ العِلْمِ الَّتي أعْطَيْتَ مِنْ قَبْلُ، اجْعَلْها مَتَّصِلَةً بالبِحارِ مِنْك؛
قَطْرَةُ عِلْمٍ في داخِلِ الرُّوحِ مِنِّي، حرِّرْها مِنَ هَواءِ ومِنْ تُرابِ البَدَن؛
مِنْ قَبْلِ أنْ تَجْعَلَها هذِهِ الأتْرِبَةُ خَسْفاً، مِنْ قَبْلِ أنْ تَجْعَلَها هذِهِ الرِّياحُ نَشْفاً؛
رَغْمَ أنَّكَ حَتَّى ولَو نَشَّفَتْها الرِّياحُ، قادِرٌ على أنْ تستَرِدَّها منها وتُعيدَها؛
القَطْرَةُ الَّتي هِيَ في الهواءِ أو هَطَلَت، مَتى مِنْ خزينَةِ قُدْرَتِكَ هَرَبَتْ؛
لو ذَهَبَتْ في عَدَمٍ وفي مِئةِ عَدَمٍ، حينَ تَطْلُبُها تَجيءُ سَيراً على الرَّأس؛
مئاتُ آلافِ الأضدادِ تَقْتُلُ أضدادَها، ويُعيدُها حُكْمُكَ إلى الوجودِ مِنْ جديد؛
مِنَ العَدَمِ نَحْوَ الوُجودِ كُلَّ زمانٍ، قافِلَةٌ تُقْبِلُ يا ربِّ في إثْرِ قافِلَة؛
خاصَّةً وكُلَّ لَيْلَةٍ جُمْلَةُ الأفكارِ والعُقول، تَصيرُ غَريقَةَ العَدَمِ في بَحْرٍ عميق؛
ومُجَدَّداً وَقْتَ الصُّبْحِ أولئكَ الإلهيّات، تُطِلُّ بالرَّأسِ مِنَ البَحْرِ كالأسماك؛
مئاتُ آلافِ الأغصانِ والأوراقِ الخريفَ، ذَهَبَتْ مَهزومَةً جِهَةَ بَحْرِ المَوت؛
فلَبِسَ الغُرابُ السَّوادَ وراحَ نادِباً، في الرَّوضِ ينوحُ نَوْحَهُ على الخُضَر؛
وجاءَ الأمْرُ مُجَدَّداً مِنْ حاكِمِ المَمْلَكَة، إلى العَدَمِ أعِدْ مُجَدَّداً كُلَّ ما التَهَمْت؛
أعِدْ ذاكَ الَّذي أكَلْتَ أيُّها المَوتُ الأسوَدُ، مِنْ نباتٍ وَشَجَرٍ وَوَرَقٍ وعُشْب؛
أي أخي احْمِلِ العَقْلَ مَعَكَ لَحْظَةً واحِدَةً، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ فيكَ الخريفُ والرَّبيع؛
اُنظُرْ إلى رَوْضِ القَلْبِ أخْضرَ نضيراً، ملؤهُ براعِمُ الوَرْدِ والسَّرْوُ والياسَمين؛
الأفنانُ خفِيَتْ مِنْ زَحْمَةِ الأوراق، القَصْرُ والصَّحْراءُ خَفيا مِنْ زَحْمَةِ الوَرْد؛
هذِهِ الأحاديثُ مِنَ العَقْلِ الكُلّيّ، عبيرُ رَوضِ الوَرْدِ ذاكَ والسَّرْوُ والسُّنْبُل؛
أوَجَدْتَ ريحَ وَرْدٍ وَلَمْ يكُ هُناكَ وَرْد، أرَأيتَ جَيَشَانَ خَمْرٍ ولَمْ يكُ هُناكَ خَمْر؛
الرَّائِحَةُ لَكَ الدَّليلُ والمُرْشِدُ، تمضي بِكَ إلى الخُلْدِ والكَوثَر؛
الرَّائِحَةُ دواءٌ للعَيْنِ تُشْعِلُ بِها النُّور، مِنَ الرَّائِحَةِ فُتِحَتْ مُجَدَّداً عَيْنُ يَعقوب؛

ريحُ السُّوءِ تَجلِبُ السَّوادَ للعَينِ، ريحُ يوسُفَ كانَتْ مُعينَةَ العَيْن؛
أنتَ لَسْتَ يوسُفَ فلتَكُنْ يعقوب، لِتَكُنْ مِثلَهُ في البُكاءِ والاضطِراب؛
واسْتَمِعْ هذِهِ النَّصيحَةَ مِنَ الحكيمِ الغَزنويّ، كي تَجِدَ الجِدَّةَ في البَدَنِ القَديم؛
((الدَّلالُ يجِبُ لهُ وَجْهٌ كأنَّهُ الوَرْدُ، إنْ لَمْ يكُنْ لَكَ بالفِعْلِ لا تَقُمْ بِسوءِ الفِعْل؛
الوَجْهُ بلا جمالٍ الدَّلالُ مِنْهُ قبيحٌ، عسيرٌ أنْ تكونَ العَينُ عَمياءَ وبِها وَجَعٌ))؛
أمامَ يوسُفَ لا تُظْهِرِ الدَّلال والحُسْنَ، لا تُظْهِرْ غيرَ افتِقارِ وآهِ يَعْقوب؛
مَعْنى المَوتِ مِنَ البَبَّغاءِ كانَ الإفتِقار، أمِتِ النَّفْس في الفَقْرِ والإفتِقار؛
ليَجْعَلَكَ نَفَسُ عيسى حَيَّاً، لِيَجْعَلَكَ مِثْلَ نَفْسِهِ طَيِّباً ومُبارَكاً؛
الصَّخْرُ متى يصيرُ أخْضَرَ مِنَ الرَّبيع، كُنْ تُراباً ليَنْبُتَ مِنْكَ الوَرْدُ بِكُلِّ لون؛
لِسِنينَ كُنْتَ صَخْراً جارِحَ القَلْب، مَرَّةً واحِدَةً قُمْ بالتَّجْرِبَةِ، كُنْ تُراباً؛

قِصَّةُ الشَّيْخِ عازِفِ القَيثارَةِ الَّذي في عَهْدِ عُمَرَ(رض)
لأجْلِ اللهِ مِنَ العَجْزِ عَزَفَ يوماً على القَيثارَةِ وَسَطَ المَقْبَرَة

مِنَ المسموعِ أنَّهُ كانَ في عَهْدِ عُمَر، مُطْرِبُ قَيثارَةٍ كانَ لهُ كَرٌّ وَفَرّ؛
البُلْبُلُ مِنْ غِنائهِ كانَ يغيبُ عَنِ النَّفْس، الطَّرَبُ الواحِدُ مِنْ غِنائهِ الجَميلِ بِمِئَة؛
المَجْلِسُ والمَجْمَعُ مِنْ نَفَسِهِ يزدانانِ، مِنْ غِنائهِ تقومُ القيامَةُ؛
كانَ غِناؤهُ بِفَنٍّ مِثْلَ إسرافيلَ، يُعيدُ للموتى الرُّوحَ إلى البَدَن؛
أو أنَّهُ كانَ رسولاً لإسرافيل، مِنْ سَماعِهِ نَبَتَ الجَناحُ للفيل؛
إسرافيلُ عَزَفَ يوماً نَغْمَةَ حنين، فَأعطى الرُّوحَ لِمَيْتٍ في بِلى مئاتِ السِّنين؛
الأنبياءُ أيضاً لَهُمْ في داخِلِهِمْ نَغَماتٌ، يستَمِدُّ الطَّالِبونَ مِنْها حَياةً بلا ثَمَنٍ؛
تِلْكَ النَّغَمَاتُ لا تَسْمَعُها أُذُنُ الحِسِّ، مِنَ الظُّلْمِ يصيبُ النَّجَسُ أُذُنَ الحِسّ؛
لا يسْمَعُ نَغْمَةَ الملائكَةِ الآدَمِيّ، إنَّهُ عَنْ أسرارِ الملائكَةِ أعْجَمِيّ؛

رَغْمَ أنَّ نَغْمَةَ الجِنّ مِنْ هذا العالَمِ أيضاً، نَغْمَةُ القَلْبِ أعلى مِنْ كِلْتا النَّغْمَتَين؛
الجِنّيُّ والآدَمِيُّ كلاهُما سَجينان، في سِجْنِ هذا الجَهْلِ سجينان؛
اِقْرأْ *مَعْشَرَ الجِنِّ* في سورَةِ الرَّحْمان، *تستطيعوا تَنْفَذوا* أعِدْ قُرْآن؛
النَّغَماتُ في داخِلِ الأولياء، أوَّلاً قالَتْ أيا أجْزاءَ **لا**؛
مِنْ *لا* النَّفْيِ الرَّأسَ ارفَعوا، الخَيالَ والوَهْمَ هذَيْنِ جُمْلَةً دَعُوا؛
أنتُمْ أيُّها البالونَ في الكَونِ والفِسادِ جْميعاً، أرواحُكُمُ الباقِيَةُ لَمْ تَزْكُ وَلَمْ تَلِدْ؛
لو أنّ ّني أقولُ شُمَّةً مِنْ تِلْكُمُ النَّغَماتِ، لَرَفَعَتِ الأرواحُ الرُّؤوسَ مِنَ القُبور؛
قَرّبِ الأُذُنَ فإنَّ ذاكَ ليسَ بعيداً، لكِنْ لِنَقْلِ ذاكَ إليك ليسَ هُناكَ دَستور؛
انتَبِهْ فالأولياءُ إسرافيلُ الوَقْت، مِنْهُم يجِدُ المَيّتُ الحياةَ والخِصْب؛
روحُ كُلِّ مَيّتٍ مِنْ قَبْرِ البَدَنِ، مِنْ أنغامِهِمُ اضطَرَبَتْ داخِلَ الكَفَن؛
قالَتْ إنَّ هذا النَّغَمَ مُفارِقٌ للأنغام، إنَّ الإحياءَ فِعْلُ صَوتِ الله؛
لَقَدْ مِتنا وكُلِّيّاً بَلينا، وجاءَ صَوتُ الحَقّ فَنَهَضْنا جَميعاً؛
صَوتُ الحَقّ في حِجابٍ ودونَ حِجابٍ، يُعطي ما أعطى لِمَرْيَمَ مِنَ الجَيْب؛
أيْ مَنْ أفناكُمُ العَدَمُ البِسوا الجلودَ، ارجِعوا مِنَ العَدَمِ على صَوتِ الحبيب؛
إنَّ مُطْلَقَ ذلِكَ الصَّوتِ هُوَ مِنَ الشَّاه، رَغْمَ أنَّهُ كانَ مِنْ حَلقومِ عَبدِ الله؛
مَقالُهُ كانَ أنا لِسانُكَ وَعَيْنُك، أنا حواسُّكَ ورِضاكَ وَغَضَبُك؛
وَجْهُ *بي يسمَعُ وبي يُبْصِرُ* أنت، سِرُّكَ أيْ صاحِبَ السِّرّ أنت؛
حِينَ صِرْتَ *مَنْ كانَ للهِ مِنْ وَلَه،* أنا أكونُ أنْتَ مِنْ *كانَ اللهُ لَه*؛
حيناً أقولُ أنتَ وحيناً أكونُ أنت، في كُلِّ ما أقولُ أنا الشَّمْسُ المُضيئة؛
حيثُما أضاءَتْ لَحْظَةً مِنْ مِشكاة، كانَ للعالَمِ مِنْ هُنالِكَ حَلُّ مُشكِلات؛
الظُّلْمَةُ الَّتي لا تَرْفَعُها الشَّمْسُ، مِنْ أنفاسِنا صارَتْ كأنَّها الغَداة؛
أظْهَرَ لآدَمَ في نَفْسِه الأسماء، وللآخَرينَ مِنْ آدَمَ تُفْتَحُ الأسماء؛

أُطْلُبْ نورَهُ مِنْ آدَمَ واطْلُبْهُ مِنه، أُطْلُبِ الخَمْرَ مِنَ الدَّنِّ واطلُبْهُ مِنَ القَرْعِ؛
فإنَّ القَرْعَ مُتَصِلٌ بالدَّنِّ بإحكامٍ، وليسَ مِثْلَكَ، أسْعِدْ بالقَرْعِ مِنْ مُبارَكٍ؛
قالَ *طوبى مَنْ رآنـي مُصطَفا، والَّذي يُبصِرْ لمَنْ وَجْهي رأى*؛
((قالَ *طوبى مَنْ رآنـي المُصطَفى، والَّذي* أبْصَرَ *مَنْ وَجْهي رأى*))؛
كسِراجٍ اشتَعَلِ مِنْ نورِ الشَّمْعِ، فكُلُّ مَنْ رأى ذاكَ يقيناً رأى ذلِكَ الشَّمْعَ؛
هكذا ولو كانَ نَقْلٌ إلى مِئَةِ سِراج، رؤيَةُ الآخِرِ لِقاءُ الأصْل؛
فاطْلُبْ مِنْ نورِ الآخِرِ وخُذْ ذاك، فَلا فَرْقَ عَنِ الطَّلَبِ مِنَ الشَّمْعَدانِ هُناك،
أُطْلُبْ رؤيَةَ النُّورِ مِنْ آخِرِ سِراج، أُطْلُبْ رؤيَةَ نورِهِ مِنْ شَمْعِ الغابرين؛

في بيانِ حديث *إنَّ لِرَبِّكُمْ في أيّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ ألا فَتَعَرَّضوا لها*

قالَ النَّبيُّ أنَّ نَفَحاتِ الحَقِّ، في هذِهِ الأيَّامِ تتسابَق؛
فاجْعَلوا السَّمْعَ والفِطْنَةَ لِهذِهِ الأوقات، وتَخَطَّفوا مِثْلَ هذِهِ اللَّحَظات؛
النَّفْحَةُ أتَتْ، رأتْكُمْ ومَضَت، كُلُّ مَنْ سألَها وَهَبَتْهُ الرُّوحَ ومَضَتْ؛
نَفْحَةٌ أُخرى تَصِلُ كُنْ يَقِظاً، لِئلَّا تتأخَّرَ عَنها أيُّها السَّيِّدُ أيضاً؛
الرُّوحُ النَّارِيَّةُ تَجِدُ مِنْها الإنْطِفاء، المَيْتُ يَلْبَسُ مِنْها القَباءَ مِنَ البقاءِ؛
هِيَ مِنْ نَضْرَةٍ واهتِزازِ طوبى، هِيَ ليسَتْ مِثْلَ حَرَكاتِ الأحياء؛
لَوْ وَقَعَتْ في الأرْضِ وفي السَّماء، تَسْتَحيلُ سُمومُهُما حالاً إلى ماء؛
عَنْ خَوْفِ هذا النَّفَسِ بلا مُنتَهى، أعِدْ قِراءَةَ *فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها*؛
وإلَّا فكيفَ كانَتْ *أشْفَقْنَ مِنْها*، لو لَمْ يكُنْ قَلْبُ الجَبَلِ دَمِيَ مِنْ خَشْيَتِها؛
ليلَةَ الأمْسِ مُجَدَّداً أمَدَّ لونُها، بِضْعُ لُقيماتٍ جِئنَ وَسَدَدْنَ الطَّريق؛
بِكُلِّ لُقْمَةٍ صارَ لُقْمانُ مُرْتَهَناً، والوَقْتُ وَقْتُ لُقمانَ، أي لُقْمَةُ اذْهَبي؛
مِنْ هوى هذِهِ اللُّقْمَةِ الشَّوكُ والشَّوك، أمِنْ كَفِّ لُقمانَ تَطْلُبونَ الشَّوك؛

ليسَ في كَفِّهِ الشَّوكُ ولا ظِلُّهُ، لكِنَّكُم مِنَ الحِرْصِ دونَ تمييز؛
ما رأيْتَ رُطَباً اعْرِفْهُ شَوكاً، فَأَنْتَ مُعْدِمٌ كثيراً وأعمى كثيراً؛
كيفَ وروحُ لُقمانَ هِيَ بُستانُ الله، قَدَمُ روحِهِ تكونُ مُتأذِّيَةً بالشَّوك؛
وُجودُ الشَّوكِ جاءَ ذليلاً كالبَعير، وابْنُ المُصْطَفى رَكِبَ هذا البَعير؛
أيْ بعيرُ في ضَيْقٍ مِنَ الوَرْدِ فوقَ ظَهْرِك، مِنْ نَسيمِهِ فيكَ مِئَةُ روضَةِ وَرْد؛
بِكَ مَيْلٌ لِأشواكِ أُمِّ غَيلانَ والرِّمالِ   أيَّ وَرْدٍ تجني مِنْ مَيْتِ شَوكِ الرِّمالِ
أي مُتَرَدِداً في طَلَبِ هذا مِنْ حَيٍّ لحَيّ، كم تقولُ هذا البُستان أينَ وأين؛
قَبْلَ ذلِكَ انْزَعِ الشَّوكَ خارِجَ القَدَم، كيفَ تَقْدِرُ على الجَوَلانِ والعَينُ مُظْلِمَةٌ؛
الآدَمِيُّ الَّذي لا يَسَعُهُ ظَرْفُ العالَمِ، كيفَ صارَ في رأسِ شَوكَةٍ مَخْفيًّا؛
المُصطفى جاءَ طالِباً مِرْفَقاً، *كلِّميني يا حُمَيرا كَلِّمي*؛
أي حُمَيْراءُ ضَعي النَّعْلَ في النَّار، ليصيرَ هذا الجَبَلُ مِنْ نَعْلِكِ ياقوتاً؛
هذِهِ الحُمَيراءُ لَفْظُ تأنيث، العَرَبُ تَجعَلُ الرُّوحَ اِسْمَ تأنيث؛
لكِنْ مِنْ تأنيثِ الرُّوحِ لا خَوف، فلا إشراكَ بالرُّوحِ مَعَ رَجُلٍ وامرَأة؛
هُوَ مِنَ المُذَكَّرِ ومِنَ المؤنَّثِ أعلى، هوَ ليسَ تِلْكَ الرُّوحَ مِنْ رَطْبٍ ويابِسٍ؛
هُوَ ليسَ تِلْكَ الرُّوحَ الَّتي تزيدُ مِنَ الخُبْز، أو تكونُ حيناً بِحالٍ وحيناً بِحال؛
واهِبَةُ حُسْنٍ وحَسَنَةٌ وَعَيْنُ حُسْنٍ، لا حُسْنَ مِنْ غَيرِ ذي الحُسْنِ أي مُرتَشي؛
إذا كُنتَ صِرْتَ حُلْواً مِنَ السُّكَّر، ذاكَ السُّكَّرُ حيناً يكونُ غائباً عَنْك؛
وإذا صِرْتَ سُكَّراً مِنْ تأثيرِ الوفاء، متى يصيرُ السُّكَّرُ مَفصولاً عَنِ السُّكَّر؛
العاشِقُ مِنَ النَّفْسِ يجِدُ الغِذاءَ الرَّحيق، العَقْلُ يضيعُ هُناكَ. يضيعُ أي رَفيق؛
العَقْلُ الجُزئيُّ كانَ مُنْكِراً للعِشْق، رَغْمَ أنَّهُ أظْهَرَ أنَّهُ كانَ صاحِبَ سِرٍّ؛
هُوَ ذكِيٌّ وعالِمٌ ولكِنَّهُ لَيْسَ عَدَماً، ما لَمْ يَصِرِ المَلَكُ **لا** فهوَ شيطانٌ؛
هُوَ بالقَولِ والفِعْلِ كانَ مُساعِداً لنا، وإذا جِئتَ بِحُكْمِ الحالِ كانَ **لا**؛

كانَ لا لأنَّهُ لَمْ يَصِرْ فاقِدَ الوجود، لَمْ يَصِرْ طَوعاً لا وصارَ كَرْهاً كثيراً؛
الرُّوحُ كمالٌ ونِداؤها كمالٌ، المُصْطَفى هُوَ القائلُ أرِحْنا يا بِلال؛
أي بِلالُ ارْفَعْ عالياً صوتَكَ السَّلْسَلَ، مِنَ النَّفَسِ الَّذي نَفَخْتُهُ فيكَ في القَلْب؛
ذلِكَ النَّفَسِ الَّذي مِنْهُ آدَمُ صارَ مَدْهوشاً، عَقْلُ أهْلِ السَّماءِ صارَ مِنْهُ مَدْهوشاً؛
المُصْطَفى دُهِشَ مِنْ ذلِكَ الصَّوتِ الجَميل، وفاتَتْهُ الصَّلاةُ في ليلَةِ التَّعريس؛
لم يَرْفَعِ الرَّأسَ مِنْ ذلِكَ النَّومِ المُبارَك، حتَّى أتى بِصَلاةِ الصُّبْحِ في الغَداة؛
في لَيْلَةِ التَّعْريسِ أمامَ تِلْكَ العَروس، وَصَلَتْ رُوحُهُ المُبارَكَةُ لِتَقبيلِ اليَد؛
العِشْقُ والرُّوحُ كِلاهُما طاهِرٌ وخَفِيٌّ، لا تُعِبْني إذا دَعَوتُ كُلّاً مِنْهُما عروساً؛
مِنَ الملالِ جَعَلَني الحبيبُ في صَمْتٍ، لو أنَّهُ أعطاني المُهْلَةَ نَفَساً واحِداً؛
لكِنَّهُ يقولُ قُلْ هَيَّا فلا عَيْب، لا إرادَةَ غَيْرُ إرادَةِ قضاءِ الغَيْب؛
يكونُ عَيْباً أنْ لا ينظُرَ سِوى العَيب، مَتى نَظَرَ رُوحُ الغَيبِ الطَّاهِرُ لِلعَيْب؛
كانَ عيباً نِسْبَةً لِلمَخلوقِ الجَهول، وليسَ نِسْبَةً إلى إلهِ القَبول؛
الكُفْرُ أيضاً نِسْبَةً لِلخالِقِ حِكْمَةٌ، فإذا نَسَبْتَهُ لنا فالكُفْرُ آفَةٌ؛
وإذا كانَ عيبٌ واحِدٌ بِمِئَةِ حياة، فذاكَ على مِثالِ الخَشَبِ في النَّبات؛
فإنَّهُما كِلَيهِما واحِدٌ في الميزان، لأنَّهُما كالرُّوحِ والجِسْمِ مُؤتلِفان؛
إذنِ العُظَماءُ ما قالوا هذا مِنْ جُزاف، جِسْمُ الطَّاهِرينَ كعَيْنِ الرُّوحِ صاف؛
قَولُهُمْ نَفَسُهُم صُورَتُهُم جُمْلَةً، جاءَت روحاً مُطْلَقَةً بلا إشارَةٍ؛
روحُ مَنْ يُكِنُّ العَداوَةَ لهُمْ جِسْمٌ صِرْفٌ، كَمِثْلِ الزَّائدِ مِنَ النَّرْدِ، اِسْمُ صَرْف؛
ذاكَ صارَ في التُّرابِ وصارَ كُلُّهُ تُراباً، وهذا في المِلْحِ وصارَ كُلُّهُ طاهِراً؛
ذاكَ المِلْحُ الَّذي مُحَمَّدٌ مِنْهُ أمْلَحُ، مِنْ ذلِكَ الحَديثِ مَعَ المِلْحِ هُوَ أفْصَح؛
هذا المِلْحُ باقٍ مِنْ ميراثِه، فكُنْ طالِباً ذاكَ عِنْدَ وُرَّاثِه؛
أمامَكَ الشِّباك أينَ الأمامُ مِنْك، أمامَكَ الوجودُ أينَ الرُّوحُ الحازِمَة؛

إذا كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ بالأمامِ والخَلْف، أنتَ حبيسُ الجِسْمِ ومحرومٌ مِنَ الرُّوح؛
الأعلى والأسفَلُ والأمامُ والخَلْفُ وَصْفُ بَدَنٍ، ذاتُ الرُّوحِ المُنيرَةُ لا جِهَةَ لها؛
اِفْتَحِ النَّظَرَ بالنُّورِ الطَّاهِرِ لِلْمَلِك، حتَّى لا تُفَكِّرَ كما يُفَكِّرُ قصيرُ النَّظَر؛
أنتَ هكذا في غَمٍّ وسرورٍ وحَسْبُ، أي عَدَمُ متى كانَ للعَدَمِ أمامٌ وَخَلْفٌ؛
اليومُ مُمْطِرٌ فاذْهَبْ إلى اللَّيل، ليسَ مِنْ هذا المَطَرِ بل مِنْ مَطَرِ الرَّبّ؛

قِصَّةُ سؤالِ عائشة(رض) المُصْطفى عليهِ السَّلام أنِ اليَومَ أمْطَرَتْ حينَ ذَهَبْتَ إلى المَقْبَرَةِ فما بالُ ثيابِكَ لمْ تتبلَّل

المُصطفى ذَهَبَ يوماً إلى المَقْبَرَة، في جنازَةِ رَجُلٍ مِنْ صحابَتِه؛
جَعَلَ التُّرابَ في القَبْرِ حتّى امتلأ، جَعَلَ تِلْكَ الحَبَّةَ حَيَّةً تَحْتَ التُّراب؛
هذِهِ الأشجارُ رَفَعَتِ الأيديَ مِنَ التُّراب، مِثْلَ البَشَرِ المَخلوقينَ مِنَ التُّراب؛
تُرسِلُ للخَلْقِ مِئةَ إشارَة، ولِمَنْ لَهُ أُذُنٌ تقولُ العِبارَة؛
بِلِسانٍ أخْضَرٍ ويَدٍ طويلَةٍ، مِنْ ضَميرِ التُّرابِ تَنْطِقُ بالسِّرّ؛
غَمَرَتِ الرُّؤوسَ بالماء مِثْلَ البِطاطِ، فصارَتْ كالطَّواويسِ وكانَتْ كالغِرْبان؛
إنْ كانَ اللهُ حَبَسَ الأشجارَ في الشِّتاءِ، فإنَّهُ جَعَلَ مِنْ تِلْكَ الغِربانِ طواويس؛
إنْ كانَ أعطاها المَوتَ في الشِّتاءِ، فإنَّهُ أحياها مِنَ الرَّبيعِ وأعطاها الوَرَق؛
قالَ المُنْكِرونَ هذا أمْرٌ قَديم، لِماذا نَسَبْنا هذا إلى الرَّبِّ الكَريم؛
يُنْبِتُ الحَقُّ في عَمىً مِنَ المُنْكِرين، داخِلَ الأولياءِ الرَّوضَ والبساتين؛
وكُلُّ وَرْدَةٍ كانَ لها داخِلَهُمْ عبيرٌ، كانَتْ وَرْدَةً تَنْطِقُ بِأسرارِ الكُلّ؛
عَبيرُها على رَغْمِ أنْفِ المُنكرين، يطوفُ حَوْلَ العالَمِ مُمَزِّقاً الحُجُب؛
المُنْكِرونَ كالجُعَلِ مِنْ عبيرِ ذلِكَ الوَرْد، أو كضعيفِ القَلْبِ مِنْ هَزيمِ الرَّعْد؛
مَشغولونَ بِالنَّفْسِ والغَرْق، يسرُقُون النَّظَرَ مِنْ لَمَعانِ هذا البَرْق؛

يسرُقونَ النَّظَرَ ولا نَظَرَ هُناكَ، النَّظَرُ يكونُ إذا رأى مأمَناً؛
حينَ مِنَ المَقْبَرَةِ عادَ النَّبِيُّ، مضى إلى الصِّدِّيقَةِ يُسارُّها؛
عَيْنُ الصِّدِّيقَةِ إذْ وَقَعَتْ على وَجْهِهِ، تَقَدَّمَتْ للأمامِ مادَّةً يَدَها؛
على عَمامَتِهِ ووجْهِهِ وَشَعْرِهِ، على ثَوبِهِ وَصَدْرِهِ وَعَضُدِهِ؛
قالَ النَّبِيُّ عَمَّ تَبحثينَ في عَجَلٍ، قالَتِ المَطَرُ اليَومَ هَطَلَ مِنَ السَّحاب؛
وأنا أبْحَثُ في ثيابِكَ في طَلَب، فلا أراها مُبْتَلَّةً مِنَ المَطَرِ أيْ عَجَب؛
قالَ ما وَضَعْتِ على رأسِكِ إزاراً، قالَتْ جَعَلْتُ مِنْ رِدائكَ ذاكَ خِماراً؛
قالَ لِذلِكَ أظْهَرَ اللهُ أي طاهِرَةَ الجَيْب، لِعَيْنِكِ الطَّاهِرَةِ مَطَرَ الغَيْب؛
فليسَ ذاكَ المَطَرُ مِنْ غمامِكُمْ هذا، إنَّـهُ مِنْ غَمامٍ آخَرَ ومِنْ سماءٍ أُخرى؛

تَفسيرُ بيتِ حكيم:

في وَلايَةِ الرُّوحِ سماواتٌ لِشؤونِ السَّماءِ الدُّنيا مُدَبِّراتٌ
في طَريقِ الرُّوحِ مُنْخَفَضاتٌ ومُرْتَفَعاتٌ وبِحارٌ وجِبالٌ عالياتٌ

لِلْغَيْبِ غَيْمٌ وماءٌ آخَران، وَسَماءٌ وَشَمْسٌ أُخْرَيان؛
تِلْكُما لا تَظْهَران إلَّا للخواصِّ، والباقونَ في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جديد؛
هُناكَ مَطَرٌ يكونُ مِنْهُ نُمُوٌّ، وهُناكَ مَطَرٌ يكونُ مِنْهُ ذُبولٌ؛
نَفْعُ مَطَرِ الرَّبيعِ عَجَبٌ، مَطَرُ الخَريفِ للرَّوضِ تَبَبٌ؛
ذاكَ الرَّبيعُ يُرَبِّيهِ على الدَّلال، هذا الخَريفُ يأتيهِ بالاِصْفِرارِ والوَبال؛
وكذا البَرْدُ والرِّيحُ والشَّمْسُ، اعْرِفْها مُتفاوِتَةً وَجِدْ طَرَفَ الخَيْط؛
فهِيَ كَذلِكَ في الغَيْبِ أنواعٌ، في الضُّرِّ والنَّفْعِ والرِّبْحِ والخُسْر؛
نَفَسُ الأبدالِ هذا مِنْ ذاكَ الرَّبيع، نما مِنْهُ في القَلْبِ والرُّوحِ مَرْجٌ أخْضَرٌ؛

فِعْلُ أمْطارِ الرَّبيعِ مَعَ الشَّجَر، يجيءُ مِنْ أنفاسِهِمْ في المُقْبِلِ السَّعيدِ؛
إذا كانَتْ شجَرَةٌ يابِسَةٌ في مكانٍ، لا تَنْسِبْ ذلِكَ العَيْبَ إلى ريحٍ تَهَبُ الحياة؛
الرِّيحُ تَعْمَلُ عَمَلَ نَفْسِها وتَهُبُّ، كُلُّ مَنْ كانَ ذا روحٍ اختارَها لِروحِه؛

في مَعْنى هذا الحَديثِ أنْ اغْتَنِموا بَرْدَ الرَّبيعِ إلى آخِرِه

قالَ النَّبِيُّ مِنْ بُرودَةِ الرَّبيعِ، لا تُغَطُّوا البَدَنَ يا أصدِقاءُ حَذارِ؛
لأنَّهُ بِأرواحِكُمْ يفْعَلُ ذاتَ الفِعْلِ، الَّذي يَفْعَلُهُ الرَّبيعُ بالأشجار؛
لكِنْ فِرُّوا مِنْ بَرْدِ الخَريفِ فإنَّهُ، يَفْعَلُ بِكُمْ ما يَفْعَلُ بالرَّوضِ والكَرْم؛
رُواةُ هذا حَمَلوهُ على الظَّاهِرِ، هُمْ بِتِلْكَ الصُّورَةِ مِنْهُ قَنِعوا؛
تِلْكَ طائفَةٌ لا خَبَرَ لها عَنِ الرُّوحِ، رأتْ الجَبَلَ ولَمْ تَرَ المَنْجَمَ في الجَبَل؛
ذاكَ الخريفُ عِنْدَ اللهِ هُوَ النَّفْسُ والهوى، العَقْلُ والرُّوحُ عَينُ الرَّبيعِ والبقاء؛
لَكَ عَقْلٌ جُزئيٌّ مُخْتَفٍ، اِبحَثْ عَنْ كامِلِ العَقْلِ في العالَمِ؛
يصيرُ جُزءُكَ مِنْ كُلِّهِ كُلّاً، يَصيرُ العَقْلُ الكُلِّيُّ على النَّفْسِ كالغُلّ؛
ثُمَّ كانَ مِنْ تَأويلِ هذا أنَّ الأنفاسَ الطَّاهِرَةَ، مِثْلَ الرَّبيعِ حياةُ الورقِ والعِنَب؛
مِنْ حَديثِ الأولياءِ السَّهْلِ والصَّعْبِ، لا تَسْتُرِ البَدَنَ فذاكَ لِدينِكَ ظَهيرٌ صادِقٌ؛
خُذِ الحارَّ والبارِدَ مِنْ قَولِهِ بِقَبولٍ حَسَنٍ، لِتَنْجُوَ مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ وَمِنَ السَّعير؛
حَرُّهُ وَبَرْدُهُ رَبيعُ حياةٍ جَديدٌ، ثَرْوَةُ صِدْقٍ ويقينٍ وعُبوديَّةٍ؛
ذلِكَ أنَّ بُستانَ الأرواحِ مِنْهُ حَيٌّ، هذِهِ جواهِرُ مَدفونَةٌ في بَحْرِ القَلْبِ؛
على قَلْبِ العاقِلِ تصيرُ آلافُ الغُموم، إذا ما ضاعَ مِنْ حَدِيقَةِ القَلْبِ خِلال؛

سؤالُ الصِّدِّيقَةِ(رض) النَّبِيَّ (ص) أنْ سِرُّ مَطَرِ اليومِ ما كان

قالَتِ الصِّدِّيقَةُ أنْ يا زُبْدَةَ الوجود، ما هِيَ الحِكْمَةُ مِنَ المَطَرِ هذا اليومَ؛
أكانَ هذا مِنْ أمطارِ الرَّحْمَةِ، أمْ كانَ لأجْلِ التَّهْديدِ وَعَدْلِ الكبرياء؛
أكانَ هذا مِنْ ذلِكَ اللُّطْفِ مِنَ الرَّبيعيَّات، أمْ مِنَ الخَريفِيَّاتِ المليئةِ بالآفات؛
قالَ هذا يكونُ مِنْ أجْلِ تَسكينِ الغَمّ، الَّذي يكونُ مِنَ المُصيبَةِ على اِبْنِ آدَم؛
فَلَو بَقِيَ الآدَميُّ على تِلْكَ النَّار، لأصابَهُ مِنَ الخَرابِ الكَثيرُ والقَليل؛
ولَصارَ العالَمُ خراباً في اللَّحْظَةِ، ولَخَرَجَ الحِرْصُ خارِجاً مِنَ النَّاس؛
عِمادُ هذا العالَمِ أي حبيبي الغَفْلَة، الوَعْيُ في هذا العالَمِ هوَ الآفَة؛
الوَعْيُ هُوَ وَعْيُ ذاكَ العالَمِ، إذا صارَ ذاكَ غالِباً صارَ هذا العالَمُ مُحْتَقَراً؛
الوَعْيُ شَمْسٌ والحِرْصُ ثَلْجٌ، الوَعْيُ ماءٌ وهذا العالَمُ وَسَخٌ؛
مِنْ ذلِكَ العالَمِ يترَشَّحُ مِنْهُ القليل، فلا يعلُوَ في العالَمِ صوتُ الحِرْصِ والحَسَد؛
فَلَو كانَ التَّرَشُّحُ أكْثَرَ مِنَ الغَيْب، ما بَقِيَ فَضْلٌ في هذا العالَمِ ولا عَيْب؛
هذا ليسَ لَهُ حَدٌّ فَعُدْ إلى البِدايَة، اِرْجِعْ إلى قِصَّةِ الرَّجُلِ المُطْرِب؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ شَيخِ القَيثارَة وبيانُ خلاصِ ذاك

مُطْرِبٌ امتَلأَتِ الدُّنيا مِنْهُ طَرَباً، وانطَلَقَتِ الخيالاتُ مِنْ غِنائِهِ عَجَباً؛
طائرُ القَلْبِ مِنْ ألحانِهِ طارَ مُحَلِّقاً، الرُّوحُ الواعي مِنْ صَوتِهِ صارَ حَيْراناً؛
تَقَدَّمَ بِهِ العُمُرُ وصارَ شيخاً، وصارَ بازُ روحِهِ مِن العَجْزِ يصيدُ البعوض؛
ظَهْرُهُ انْحَنى كأنَّهُ ظَهْرُ دَنٍّ، والحاجِبانِ على العَيْنِ صارا كالحِبالِ المُقَطَّعة؛
صَوتُهُ اللَّطيفُ واهِبُ الرُّوحِ صارَ قبيحاً، لَمْ يعُدْ عِنْدَ أحَدٍ أكْثَرَ مِنْ جُثَّة؛
ذلِكَ الصَّوتُ الَّذي كانَ يُثيرُ غَيْرَةَ الزُّهْرَة، صارَ مِثْلَ صَوتِ حِمارٍ عَجوز؛

أينَ هُوَ الجَميلُ الَّذي لَمْ يَصِرْ بَشِعاً أخيراً، أينَ سَقْفٌ لَمْ يَصِرْ أخيراً مَفْرَشاً؛
غَيرَ صَوتِ العَزيزِينَ في الصُّدور، كانَ مِنْ عَكْسِ أنفاسِهِمْ نَفْخُ الصُّور؛
باطِنٌ البواطِنُ سكرى مِنْهُ، عَدَمٌ وجوداتُنا هذِهِ مِنْه؛
كهْرباءُ الفِكْرِ وكُلِّ صَوتٍ هُوَ، لَذَّةُ الإلهامِ والوَحْيِ والسِّرِّ هُوَ؛
المُطْرِبُ الشَّيخُ طاعِنُ السِّنِّ والضَّعيف، صارَ مِنْ عَدَمِ الكَسْبِ رَهينَ رَغيف؛
قالَ رَبِّ أعطَيتَني كثيراً مِنَ العُمْرِ والمُهْلَة، ألطافاً كثيرَةً لِكُلِّ خسيسٍ وَهَبْت؛
سَبْعينَ عاماً وأنا أعْمَلُ المَعاصِي، ولم تَقْطَعْ نَوالَكَ يوماً واحَداً عَنِّي؛
هذا اليَومَ أنا بلا كَسْبٍ وأنا ضَيْفُكَ، سأعْزِفُ على القَيثارَةِ مِنْ أجْلِكَ فأنا لَك؛
حَمَلَ القَيثارَةَ سائلاً الله، مُتَّجِهاً إلى مَقْبَرَةِ يَثْرِبَ مُطْلِقاً الآه؛
قالَ أطْلُبُ مِنَ الحَقِّ أجْراً حَسَناً، فهُوَ مِنَ الإحسانِ قَبِلَ القُلوب؛
عَزَفَ كثيراً وطأطَأَ الرَّأسَ وبكى، وجَعَلَ القَيثارَةَ وِسادَةً واستَلقى على القَبْر؛
أخَذَهُ النَّومُ، طائرُ روحِهِ تَحَرَّرَ مِنَ الحَبْس، تَرَكَ القَيثارَةَ وصاحِبَها وانطَلَق؛
صارَ حُرّاً مِنَ البَدَنِ وعَناءِ الدُّنيا، في العالَمِ البَسيطِ وصحراءِ الرُّوح؛
روحُهُ راحَتْ هُناكَ تَشْدو بِشَرْحِ الحال، تَقولُ ليتَ أنَّهُم يُبقونَني هاهُنا؛
روحي اسْعَدي بهذا الرَّوضِ والرَّبيع، سكرى بِهذِهِ الصَّحْراءِ ومرجِ الغيب؛
تُسافِرينَ بلا جَناحٍ ولا قَدَمٍ، تَأْكُلينَ السُّكَّرَ بلا شَفَةٍ ولا أسنان؛
بِذِكْرٍ وَفِكْرٍ بلا ألَمِ دِماغ، تَلْعَبينَ اللَّعِبَ مَعَ ساكني الفَلَك؛
تَرَينَ عالَماً وأنتِ مُغْمَضَةُ العَيْنِ، تَقْطُفينَ الوَرْدَ والرَّيحانَ بلا كَفٍّ؛
طائرٌ مائيٌّ غارِقٌ بِبَحْرِ عَسَل، عَينٍ أيُّوبِيَّةٍ لِشرابٍ ومُغْتَسَل؛
بِها صارَ أيُّوبُ مِنَ القَدَمِ إلى المَفْرِق، طاهِراً مِنَ العِلَلِ مِثْلَ نورِ المَشْرِق؛
المَثْنَوي لو كانَ مِنَ الحَجْمِ بِحَجْمِ الفَلَك، ما حَوى فيهِ مِنْها غَيرَ نِصْفِ سَهْم؛
تِلكُما الأرْضُ والسَّماءُ الوسيعَتان جِدَّاً، مِنَ الضِّيْقِ جَعَلَتا قلبي مِزَقاً؛

وهذا العالَمُ الَّذي ظَهَرَ لي بِهذا النَّوم، مِنَ السَّعَةِ فَتَحَ مِنِّي الرِّيشَ والجَناح؛
هذا العالَمُ وطريقُهُ لو كانا ظاهِرَيْن، كَمْ مِنْ شَخْصٍ بِلَحْظَةٍ يصيرُ هُناك؛
الأمْرُ يجيءُ أنْ لا، لا تَطْمَعْ، حِيْنَ يَخْرُجُ الشَّوكُ خارِجَ قَدَمِكَ، اِمْضِ؛
روحُهُ تُبطِئُ الخُطى هُناكَ ، في فَضاءِ رَحْمَتِهِ وإحسانِه؛

قَوْلُ هاتِفٍ في النَّومِ لِعُمَرَ أنْ أعْطِ مِقْداراً مِنَ الذَّهَبِ مِنْ بَيْتِ المالِ لِذلِكَ الرَّجُلِ النَّائِمِ في المَقْبَرَة

آنَذاكَ سَلَّطَ الحَقُّ نَوماً على عُمَر، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَمْلِكَ النَّفْسَ عَنِ النَّوم؛
وَقَعَ في العَجَبِ ذا ليسَ مِنَ المَعهودِ، الَّذي وَقَعَ مِنَ الغَيْبِ ليسَ بلا مَقصود؛
وَضَعَ الرَّأسَ أخَذَهُ النَّومُ رأى رؤيا، أتاهُ نِداءٌ مِنَ الحَقِّ سَمِعَتْهُ روحُهُ؛
ذاكَ النِّداءُ الَّذي هُوَ أصْلُ كُلِّ صَوتٍ وَنَغَمٍ، هُوَ نَفْسُهُ النِّداءُ والباقي صَدى؛
التُّرْكُ والكُرْدُ والفُرْسُ والعَرَبُ، فَهِموا ذلِكَ النِّداءَ بلا أُذُنٍ ولا شَفَةٍ؛
ما مَحَلُّ التُّرْكِ والطَّاجيكِ والزَّنْج، لَقَدْ فَهِمَ ذلِكَ النِّداءَ الخَشَبُ والصَّخْر؛
كُلَّ لَحْظَةٍ يجيءُ مِنْهُ *ألَسْتُ*، الجَواهِرُ والأعْراضُ تَصيرُ مِنْهُ وجوداً؛
إنْ كانَتْ *بلى* لا تَجيءُ مِنْهُم، مَجيئُهُم مِنَ العَدَمِ هُوَ *بلى*؛
مِنْ ذلِكَ الَّذي أنا قُلْتُ عَنْ فَهْمِ الخَشَبِ والصَّخْر، انتَبِهْ في بيانِهِ لِقِصَّةٍ حَسَنَة؛

أنينُ الجِذْعِ الحَنَّان عِندَما صَنَعوا للنَّبِيِّ عليهِ السَّلامُ مَنْبَراً، حيثُ اجتَمَعَتْ جَماعَةٌ وقالوا إنَّنا لا نرى وَجْهَكَ المُبارَكَ في أثناءِ الوَعْظ، وسماع الرَّسول والصَّحابَة ذلِكَ الأنين وسؤال المُصطفى (ص) والجواب الصَّريح مَن الجِذْع

الجِذْعُ الحَنَّانُ مِنْ هَجْرِ الرَّسول، راحَ يُطْلِقُ الأنينَ كأربابِ العُقول؛
قالَ النَّبِيُّ ماذا تُريدُ أيْ جِذْعُ، قالَ روحي صارَتْ مِنْ فِراقِكَ دَماً؛

لقد كُنْتُ مَسْنَداً لَكَ فَتَحوَّلْتَ عَنِّي، إلى فَوقِ مَنْبَرٍ جَعَلْتَهُ لَكَ مَسْنَداً؛
قالَ هَلْ تُريدُ أنْ تَصيرَ نَخْلَةً، يَقْطِفُ مِنْكَ الشَّرْقِيُّ والغَرْبِيُّ الثِّمار؛
أو أنْ يَجْعَلَكَ الحَقُّ في ذلِكَ العالَمِ سَروَةً، كَي تَظَلَّ نَضيراً طَرِيّاً إلى الأبَد؛
قالَ أُريدُ ذاكَ الَّذي يدومُ بقاؤه، اِسْتَمِعْ أي غافِلُ لا تَكُنْ أقَلَّ مِنْ خَشَبَة؛
قامَ بِدَفْنِ ذاكَ الجِذْعِ تَحْتَ الأرْض، ليكونَ لهُ حَشْرٌ كالبَشَرِ يومَ العَرْض؛
لِتَعْلَمَ أنَّ كُلَّ مَنْ دعاهُ اللهُ، بَقِيَ فارِغاً مِنْ كُلِّ أشْغالِ العالَم؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ مِنَ اللهِ شُغْلٌ وَمَرْتَبَةٌ، وَجَدَ المَرْتَبَةَ هُناكَ وخَرَجَ مِنَ الشُّغْل؛
ذلِكَ الَّذي لَمْ يكُنْ لهُ عطاءٌ مِنَ الأسرار، متى يكونُ مِنْهُ تَصْديقٌ بأنينِ الجَماد؛
قالَ نَعَمْ لم يَقُلْ مِنَ القَلْبِ بِقَصْدِ الوِفاق، بل قالَ لِكَي لا يُقالَ عَنْهُ أهْلُ نفاق؛
إذا لَمْ يَصِلْ أمْرُ كُنْ إلى الواقِفين، كانوا لِهذا الحديث في الدُّنيا رادِّين؛
مئاتُ ألوفِ أهْلِ التَّقليدِ والاستِدلال، رمى بِهِمْ نِصْفُ وَهْمٍ في الظَّنّ؛
على الظَّنِّ قامَ تَقليدُهُم والاستِدلالُ، وجُملَةُ ما عِنْدَهُم مِنْ الرِّيشِ والجناح؛
لَقَدْ أثارَ شُبْهَةً ذلِكَ الشَّيطانُ الدَّنيء، فأوقَعَ جُمْلَةَ هؤلاءِ العُمْيانِ منكوسين،
قَدَمُ الإستِدلاليّينَ كانَتْ مِنَ الخَشَب، قَدَمُ الخَشَبِ عسيرَةٌ وغيرُ ذاتِ تمكين؛
غَيْرَ قُطْبِ الزَّمانِ ذاكَ البَصير، الَّذي مِنْ ثباتِهِ صارَ الجَبَلُ مُحتاراً؛
قَدَمُ الأعْمى العَصا ولولا العَصا، راحَ واقَعاً مَقلوباً على الحَصى؛
ذاكَ الفارِسُ الَّذي صارَ لَهُ على الجَيْشِ ظَفَر، أهْلُ دِينٍ وعِنْدَهُ سُلطانُ بَصَر؛
العُميانُ بالعصا إذا ما رأوا الطَّريق، فبِفَضْلِ الخَلْقِ ذوي الضِّياءِ في البَصَر؛
لو لم يكُنْ هُناكَ مُبْصِرونَ وسلاطين، في العالَمِ كانَ جُمْلَةُ العُميانِ مَوتى؛
مِنَ العميانِ لا يجيءُ حَصادٌ ولا زَرْعٌ، ولا عِمارَةٌ ولا تِجارَةٌ ولا نَفْعٌ؛
لو لَمْ يكُنْ مِنْهُ رَحْمَةٌ عليكُمْ وإفْضال، كانَ كَسَرَ لكُمْ عصا خَشَبِ الإستِدلال؛
هذِهِ العَصا هِيَ القياساتُ والدَّليل، تِلْكَ العصا متى يُعطيهِم البَصيرُ الجليل؛

إذا صارَتِ العصا آلَةَ الحَرْبِ والنَّفير، اِكْسِرْ تِلْكَ العَصا كِسَراً أي ضرير؛
هُوَ أعطاكُمُ العَصا لِكي تُقبِلوا إلَيْه، فَرَمَيْتُمْ تِلْكَ العصا مِنَ العِنادِ عليه؛
أي حَلْقَةَ العُميانِ أيَّ عَمَلٍ تَعْمَلون، اِجلبوا حارِساً بينكُم مِنَ المُبصِرين؛
أمسِكْ بِثَوبِهِ فهُوَ أعطاكَ عصا، وانظُرْ ما الَّذي حَلَّ بآدَمَ إذْ عصى؛
أُنظُرْ إلى مُعْجِزَةِ موسى وأحْمَد، كيفَ صارَتِ العصا حَيَّةً والجِذعُ خبيراً؛
حَيَّةٌ مِنَ العصا وحَنينٌ مِنَ الجِذْعِ، خَمْسَ مرَّاتٍ يرفعونَ النِّداءَ لأجْلِ الدِّين؛
لو لَمْ تكُنْ هذِهِ المَزَّةُ غَيْرَ مَعقولَةٍ، لَمْ تَكُنْ هُناكَ حاجَةٌ للكثيرِ مِنَ المُعْجِزَات؛
العَقْلُ يقبَلُ كُلَّ ما هُوَ مِنَ المَعقولِ، بلا بيانِ مُعْجِزَةٍ بلا جَرٍّ ولا مَدّ؛
هذا الطَّريقَ البِكْرَ فلتَرَهُ غَيْرَ مَعقول، اِعلَمْ أنَّهُ في قَلْبِ كُلِّ مُقْبِلٍ مَقبول؛
هكذا الشَّيطانُ والوحْشُ هَرَبوا خوفاً مِنْ آدَمَ ، جَفِلوا مِنَ الحَسَدِ إلى الجَزائر؛
كما مِنَ الخَوْفِ مِنْ مُعْجِزاتِ الأنبياء، طأطأ المُنكِرونَ الرَّأسَ تَحْتَ العُشْب؛
لكَي يعيشوا بناموسِ المُسلِمين، في نفاقٍ فلا يكونون مَعْروفين؛
مِثْلَ المُزَيِّفينَ لِذاكَ النَّقْدِ الزَّائفِ، يُطلونَهُ بالذَّهَبِ ويضربونَ عليهِ اِسمَ الملك؛
ظاهِرُ ألفاظِهِمْ التَّوحيدُ والشَّرْع، باطِنُها مِثْلَما في الخُبْزِ بَذْرُ الصَّرْع؛
ليسَ للمُتَفَلْسِفِ جُرْأَةُ الحديثِ لِيتَحَدَّثَ، إذَنْ ينْقُضُ ما يقولُ دِينُ الحَقّ؛
يَدُهُ وَقَدَمُهُ جَمادُهُ وروحُهُ، مهما قالَ أنَّ هذينِ الاِثنَينِ كِلَيْهِما في طاعَتِه؛
رَغْمَ أنَّ المُنْكِرين أنكروا التُّهْمَةَ باللِّسان، أيديهِمْ تقومُ بالشَّهادَة وأرْجُلُهُم؛

إظهارُ مُعْجِزَةِ النَّبِيِّ عليهِ السَّلام بِتَكَلُّمِ الحصى في يَدِ أبي جَهْلٍ وَشهادَةُ الحَصى على حَقيقَةِ مُحَمَّدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام

كانَتِ الحَصى في يَدِ أبي جَهْلٍ، قالَ أيْ أحْمَدُ قُلْ سريعاً ما هذا؛
إنْ كُنْتَ رَسولاً ما المَخْفِيُّ في قَبْضَتي، بِما أنَّ عِنْدَكَ الخَبَرَ بِسِرِّ السَّماء؛

قالَ ما تَطْلُبُ أأقولُ لَكَ ما ذاكَ، أمْ ينطِقُ ذاكَ ويقولُ أنّي على حَقٍّ وَصِدْقٍ؛
قالَ أبو جَهْل إنَّ هذا الثّاني لأنْدَر، قالَ نَعَمْ وإنَّ الحَقَّ على ذلِكَ لأقْدَر؛
مِنْ وَسَطِ قَبْضَتِهِ كُلُّ قِطْعَةٍ مِنَ الصَّخْرِ، بدَرَتْ إلى النُّطْقِ شاهِدَةً دونَ إبطاء؛
لا إلٰهَ قالَتْ وقالَتْ إلَّا اللهُ، وَنَظَمَتْ جَوْهَرَةَ أحْمَدُ رَسولُ اللهِ؛
لَمَّا سَمِعَ هذا مِنَ الحِجارَةِ أبو جَهْل، رمى مِنَ الغَضَبِ الحِجارَةَ على الأرْض؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ المُطْرِب وإبلاغ عُمَر (رض)

الرِّسالَةَ لهُ بما هَتَفَ بِهِ ذلِكَ الهاتِف

اِرْجِعْ وأصْغِ لِحالِ ذاكَ المُطْرِب، ذاكَ المُطْرِبُ صارَ عاجِزاً عَنِ الاِنتِظار؛
جاءَتْ صَيْحَةٌ إلى عُمَرَ أنْ أيْ عُمَر، خَلِّصْ مِنَ الحاجَةِ عَبْدَنا؛
لنا عَبْدٌ مُحْتَرَمٌ وخاصٌّ، آلِمِ القَدَمَ بالسَّيْرِ إلى جِهَةِ المَقْبَرَة؛
أيْ عُمَرُ قُمْ وخُذْ مِنْ بيتِ المال، سَبْعَ مائةِ دينارٍ تَماماً بالكَفّ؛
احْمِلْها إلَيْهِ وَقُلْ أيْ مَنْ جَعَلْتَنا الاِخْتيار، خُذْ الآنَ هذا القَدْرَ واقْبَلِ الاِعْتِذار؛
هذا القَدْرُ لأجْلِ الأجْرِ الحَسَنِ للعزْف، أنْفِقْهُ فإذا نَفَدَ فارْجِعْ إلى هُنا؛
فَنَهَضَ عُمَرُ مِنْ هَيبَةِ ذلِكَ الصَّوت، وَتَحَزَّمَ مِنْ أجْلِ أداءِ هذِهِ الخِدْمَة،
وَجَّهَ عُمَرُ الوَجْهَ إلى جِهَةِ المَقْبَرَة، راحَ يجري وكيسُ الدَّنانير تَحْتَ إبْطِه؛
دارَ في المَقْبَرَةِ كثيراً مُسْرِعاً، غَيْرَ ذلِكَ الشَّيخِ لَمْ يَجِدْ هُنالِكَ مِنْ شَخْص؛
قالَ ليسَ بِهذا، وعادَ ثانيَةً يَجري، صارَ مُتْعَباً ولَمْ يَرَ غَيْرَ ذلِكَ الشَّيْخ؛
قالَ الحَقُّ قالَ لي عَنْهُ أنَّهُ، عَبْدٌ صافٍ ولائقٌ ومُبارَكٌ؛
مَتى كانَ الشَّيْخُ عازِفُ القَيثارَةِ خاصَّةَ الله، حَبَّذا أيُّها السِّرُّ الخَفِيُّ حَبَّذا؛
مَرَّةً أُخْرى دارَ دَوْرَةً في المَقْبَرَةِ، مِثْلَ أسَدٍ يُطارِدُ في الصَّحْراءِ صَيْداً؛
حينَ أيْقَنَ أنَّهُ لَيْسَ غَيْرَ ذلِكَ الشَّيْخ قالَ، كفى القَلْبَ المُنيرَ مُكوثاً في الظُّلْمَة؛

تَقَدَّمَ بِمِئَةِ أدبٍ وَجَلَسَ هُناك، وَعَرَضَتْ لِعُمَرَ عَطْسَةٌ فانْتَبَهَ الشَّيْخ؛
رأى عُمَرَ وبَقِيَ في حَيْرَةٍ، عَقَدَ العَزْمَ على الذَّهابِ وَتَمَلَّكَتْهُ رَعْدَةٌ؛
قالَ في الباطِنِ إلٰهي إلَيكَ أشتَكي، لَقَدْ وَقَعَ شَيخُ القَيثارَةِ في يَدِ المُحْتَسِب؛
حينَ قامَ بالنَّظَرِ في وَجْهِ ذلِكَ الشَّيْخ، رآهُ خَجِلاً وشاحِبَ الوَجْه؛
فقالَ لهُ عُمَرُ لا تَخَفْ مِنّي ولا تَجْفَلْ، جِئتُكَ حامِلاً لَكَ البِشاراتِ مِنَ الحَقِّ؛
لَقَدْ مَدَحَ اللهُ طَبْعَكَ كثيراً، حتَّى جَعَلَ عُمَرَ لِوَجْهِكَ عاشِقاً؛
اِجْلِسْ أمامي ولا تَعْزِفْ لَحْنَ الهَجْر، حَتَّى أُلقيَ في سَمْعِكَ مِنَ الإقبالِ بِسِرّ؛
الحَقُّ يُرسِلُ لَكَ السَّلامَ ويقولُ لَكَ، كَيْفَ حالُكَ مِنَ ألَمٍ وغُمومٍ بلا حَدّ؛
هاكَ قُراضَةً قليلَةً مِنَ المالِ أجْراً، اصْرِفْها ثُمَّ عُدْ مُجَدَّداً إلى هُنا؛
صارَ الشَّيْخُ حينَ سَمِعَ هذا يرتَعِشُ، يَعَضُّ على يَديهِ وَهُوَ يرتَجِفُ؛
صَرَخَ أي إلٰهاً بلا نَظيرٍ كفى، صارَ الشَّيخُ المِسكينُ ماءً مِنَ الخَجَلِ مِنْكَ؛
وبعْدَ أنْ بكى كثيراً وجاوزَ ألَمُهُ الحَدّ، ألقى بالقيثارَةِ على الأرْضِ وَحَطَّمَها؛
قالَ أنا كُنْتُ في حَجابٍ عَنِ الإلٰه، أنتِ كُنْتِ قاطِعَةَ الطَّريقِ لي إلى الشّاه؛
سَبْعينَ سَنَةً وأنْتِ تَشربينَ دمي، أيْ أنْتِ الَّتي اسوَدَّ وَجْهي مِنْكِ أمامَ الكَمال؛
أي إلٰهاً مِنْهُ العَطاءُ مِنْهُ الوفاءُ، اِرْحَمْ مَنْ ذَهَبَ عُمْرُهُ في الجَفاء؛
كُلُّ يومٍ مِنَ العُمُرِ الَّذي أعْطى الحَقُّ، لا شَخْصَ في العالَمِ يَعْرِفُ قيمَتَه؛
أنْفَقْتُ عُمْري كُلَّهُ لَحْظَةً لَحْظَةً، هباءً عَزْفاً على البَمِّ والزِّير؛
آهِ فمِنْ ذِكْرِ نَغَمِ ومقامِ العِراق، ذَهَبَ مِنْ فِكْري ذِكْرُ مرارَةِ الفِراق؛
واهاً فَمِنْ لِينِ وطراوَةِ فِراشي، يبِسَ الزَّرْعُ في قلبي وماتَ قلبي؛
واهِ فَمِنْ صَوتِ الأرْبَعِ وعِشرين، مَرَّتِ القافِلَةُ ولَمْ يبقَ وَقْتٌ مِنَ النَّهار؛
يا إلٰهي أغِثْ هذا المُستَغيث، أنا أتَظَلَّمُ لا مِنْ شَخْصٍ بل مِنْ هذا المُتَظَلِّم؛
عَطاءَ نَفسي سَوْفَ لَنْ أجِدَ مِنْ شَخْصٍ، إلّا مِنْ ذاكَ الَّذي هُوَ أقْرَبُ إلَيَّ مِنّي؛

مِنْ هذِهِ الأنانِيَّةِ أَلَمَّ بي ما أَلَمَّ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، حتى إذا قَلَّتْ بي رأيتُهُ؛
مِثْلَ ذاكَ الَّذي يكونُ في عَدِّ الذَّهَبِ لَكَ، فأنتَ تُوَجِّهُ إليهِ لا إلى نَفْسِكَ النَّظَر؛

نَقْلُ عُمَرَ (رض) نَظَرَهُ مِنْ مقامِ البُكاءِ الَّذي

هُوَ وجودٌ إلى مقامِ الاِستِغراقِ الَّذي هُوَ عَدَمٌ

ثُمَّ قالَ لَهُ عُمَرُ تَضرُّعُكَ هذا، هُوَ أيضاً آثارُ يَقظَتِك؛
طَريقُ مَنْ صارَ فانياً طريقٌ آخَرٌ، اليَقَظَةُ في ذلِكَ الطَّريقِ ذَنْبٌ آخَرٌ؛
إنَّ اليَقَظَةَ تكونُ مِنْ ذِكْرِ ما مضى، ماضيكَ وَمُستَقْبَلُكَ حِجابُ الله؛
فأشْعِلِ النَّارَ فيهِما كِلَيْهِما إلى مَتَى، تَظَلُّ مملوءاً بالعُقَدِ مِنْ كِلَيْهِما كالنَّاي؛
النَّايُ ذاتُ العُقَدِ ليسَتْ مَحْرَماً للأسرار، ولا تَصلُحُ جليسَةَ الشَّفَةِ والصَّوت؛
كُنْتَ بالطَّوافِ تَطوفُ مَعَ النَّفْس، وحينَ جِئتَ البَيْتَ جِئتَ أيضاً مَعَ النَّفْسِ؛
أي مَنْ أَخْبارُكَ مِنْ مُخْبِرٍ جاهِلٍ، تَوبَتُكَ أسْوَأُ مِنْ ذَنْبِك؛
أي باحِثاً عَنِ التَّوبَةِ عَنْ حالِ الماضي، متى تقومُ بالتَّوبَةِ عَنْ هذِهِ التَّوبَةِ قُلْ؛
حيناً تَجْعَلُ صَوْتَ الزِّيرِ قِبْلَةً، وحيناً تُقَبِّلُ مَوْضِعَ البُكاءِ في عَجْز؛
حينَ صارَ الفاروقُ مِرآةَ الأسرار، روحُ الشَّيْخِ في داخِلِهِ استَيْقَظَتْ؛
مِثْلَ روحٍ بلا بُكاءٍ ولا ضَحِكٍ، راحَتْ روحُهُ وَروحٌ أُخرى حَيَتْ؛
حَيْرَةٌ جاءَتْ إلى داخِلِهِ ذاكَ الزَّمان، حتَّى صارَ خارِجَ الأرْضِ والسَّماء؛
بَحْثٌ وَفَحْصٌ وراءَ البَحْثِ والفَحْص، أنا لا أعْرِفُ إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قُلْ؛
حالٌ وقالٌ وراءَ الحالِ والقال، غارِقٌ كامِلاً في جَمالِ ذي الجلال؛
غَرَقٌ ليسَ بالَّذي يكونُ مِنْهُ خلاصٌ، غَيْرَ أنْ يكونَ البَحْرُ لا شَخْصَ يعْرِفُهُ؛
أنتَ عَقْلٌ جُزئيٌّ لَسْتَ ناطِقاً عَنِ الكُلّ، إلَّا بالرَّجاءِ مِنْ بَعْدِ الرَّجاء؛
فإذا وَصَلَ الرَّجاءُ في إثْرِهِ الرَّجاء، فإنَّ مَوْجَ هذا البَحْرِ يَصِلُ هُنا؛

عِنْدَما وَصَلَتْ قِصَّةُ حالِ الشَّيْخِ إلى هُنا، حالُ الشَّيْخِ ووجْهُهُ غابا في حِجاب؛
نَفَضَ الشَّيْخُ ثَوبَهُ مِنَ القالِ والقيل، نِصْفُ الحَديثِ بَقِيَ في فَمِنا؛
في السَّعْيِ في طَلَبِ هذا العَيْشِ والسُّرورِ، ينبَغي اللَّعِبُ بِمِئاتِ آلافِ الأرواح؛
في صَيْدِ أجمَةِ الرُّوحِ كُنْ مِنْ جَديدٍ، كُنْ مِثْلَ شَمْسِ العالَمِ فِدائيَّاً؛
الشَّمْسُ العالِيَةُ جاءَتْ مُضَحِّيَةً بالرُّوح، في كُلِّ لَحْظَةٍ تَفْرَغُ وَتُملأُ؛
أَيَّتُها الشَّمْسُ المَعْنَوِيَّةُ كوني مُضَحِّيَةً بالرُّوح، أظْهِري لنا العالَمَ القَديمَ جديداً؛
النَّفْسُ والرُّوحُ في وجودِ الآدَمِيّ، يصِلانِ مِنَ الغَيْبِ مِثْلَ الماءِ الجاري؛

تَفسير دُعاء ذَينِكَ المَلَكَيْن اللَّذَيْنِ يقومانِ بالنِّداءِ كُلَّ يَومٍ على رأسِ كُلِّ بازارٍ أنْ *اللَّهُمَّ أعْطِ كُلَّ مُنْفِقٍ خَلَفاً اللَّهُمَّ أعْطِ كُلَّ مُمْسِكٍ تَلَفاً* وبيان أنَّ ذلِكَ المُنْفِقَ مُجاهِدُ طَريقِ الحَقِّ وليسَ مُسْرِفَ طَريقِ الهوى

قالَ النَّبِيُّ أنَّهُ دائماً لأجْلِ النَّصيحَةِ، مَلَكانِ يُنادِيانِ بِعَذْبِ صَوت؛
أنْ أي إلٰهَنا أشْبِعِ المُنْفِقين، أعْطِهِمْ بِكُلِّ دِرْهَمٍ مِئَةَ أَلْفِ عِوَضاً؛
أيْ إلٰهَنا ولا تُعْطِ المُمْسِكين، في الدُّنيا إلَّا الخُسْرانَ بالخُسْران؛
أيْ وكَمْ مِنَ إمساكٍ خَيْرٌ مِنَ الإنفاق، مالَ الحَقِّ لا تُعْطِ إلَّا بِأَمْرِ الحَقّ؛
كيْ تَجِدَ العِوَضَ كَنْزاً بلا حُدود، كيْ لا تكونَ في عِدادِ الكُفَّار؛
فَقَدْ كانوا يُقَرِّبونَ العِيْرَ قرابين، كَيْ تَظْفَرَ سُيوفُهُمْ بالمُصْطَفى؛
أمْرَ الحَقِّ اطْلُبْهُ مِنْ واصِلٍ، أمْرَ الحَقِّ لا يَجِدُ كُلُّ شَخْص؛
مِثْلَ غُلامٍ عاصٍ عَدَلَ بِأنْ، بَذَلَ مالَ الشَّاهِ للباغين؛
مِنَ النَّبِيِّ إنْذارٌ لِأَهْلِ الغَفْلَة، إنفاقُهُمْ ذاكَ كُلُّهُ عَلَيْهِمْ حَسْرَة؛
عَدْلُ هذا العاصي وعَطاؤهُ عِنْدَ الشَّاه، يزيدُهُ سوادَ وَجْهٍ وَبُعْداً عَنِ الشَّاه؛
ساداتُ مَكَّةَ في حَرْبِ الرَّسول، قَدَّموا القُرْبانَ على أمَلِ القَبول؛

لِأَجْلِ هذا يقولُ المؤمِنُ مِنَ الخَوفِ، في الصَّلاةِ اهْدِنا الصِّراطَ المُستقيم؛
ذاكَ الدِّرْهَمُ عَطاءً مِنَ السَّخِيِّ لائق، تَسليمُ الرُّوحِ هُوَ السَّخاءُ مِنَ العاشِق؛
أَعْطِ خُبْزاً مِنْ أَجْلِ الحَقِّ تُعْطَ خُبْزاً، أَعْطِ رُوحاً مِنْ أَجْلِ الحَقِّ تُعْطَ رُوحاً؛
هذِهِ الشَّجَرةُ إذا تساقَطَتْ أوراقُها، اللهُ الخَبيرُ يُعطيها حياةً بلا وَرَق؛
إذا لَمْ يبقَ في يَدِكَ مِنَ الجودِ مال، فإنَّ فَضْلَ إلٰهِكَ لَنْ يَجْعَلَكَ ذليلاً مُهاناً؛
كُلُّ زارِعٍ جَعَلَ مَخْزَنَهُ بالعَمَلِ خليَّاً، صارَ أسفَلُ مَزْرَعَتِهِ بَهِيَّاً؛
وما بَقِيَ في المَخْزَنِ لمْ يُصْرَف، السُّوسُ والفأرُ والحوادِثُ تأكُلُهُ وتُطَهِّرُه؛
العالَمُ نَفْيٌ اِجْعَلِ البَحْثَ في الإثبات، صُورَتُكَ صِفْرٌ اِجْعَلْ البَحْثَ في مَعناك؛
اقطَعْ جُذورَ الرُّوحِ المُرَّةِ المالِحَةِ بالسَّيْف، اشْتَرِ الرُّوحَ العَذْبَةَ كأنَّها البَحْرُ؛
وإنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ الرَّحيلَ عَنْ هذِهِ العَتَبَة، اِستَمِعْ مَرَّةً مِنِّي لِهذِهِ القِصَّة؛

قِصَّةُ الخليفَةِ الَّذي كانَ في الكَرَمِ في زمانِهِ أسبَقَ مِنْ حاتِمَ الطَّائيّ ولمْ يكُنْ لهُ نَظير

خليفَةٌ كانَ في الأيَّامِ الغابِرَة، يجْعَلُ مِنْ حاتِمَ في الجودِ غُلاماً لِنَفْسِه؛
رايَةَ الإكرامِ والعَطاءِ رَفَعَ، الفَقْرَ والحاجَةَ مِنَ العالَمِ رَفَع؛
البَحْرُ والمَنْجَمُ كلاهُما مِنْهُ عطاءٌ صاف، نوالُهُ وَصَلَ مِنَ القافِ إلى القاف؛
كانَ في عالَمِ التُّرابِ الغَيْمَ والماء، كانَ مَظْهَرَ اللهِ الوهَّابِ في العَطاء؛
مِنْ عطائهِ البَحْرُ والمَنْجَمُ في زَلْزَلَه، إلى جُودِهِ تجيءُ القافِلَةُ في إثْرِ القافِلَه؛
كانَ لِقِبْلَةِ الحاجَةِ البابَ والبوَّابَةَ، صيتُهُ في الجودِ طَوَّفَ في العالَمِ؛
العَجَمُ والرُّومُ والتُّرْكُ والعَرَب، مِنْ جودِهِ وسخائهِ كُلُّهُمْ في عَجَب؛
كانَ ماءَ الحَياةِ وكانَ بَحْرَ الكَرَم، حَيِيَ مِنْهُ العَرَبُ وَحَيِيَ مِنْهُ العَجَم؛

قِصَّةُ الأعرابِيِّ الدَّرويش وما جرى لِزَوْجَتِهِ مَعَهُ بِسَبَبِ القِلَّةِ والفَقْر

اِمْرَأَةٌ أعرابيَّةٌ ليلَةً خاطَبَتْ زَوْجَها، وجاوَزَتِ الحَدَّ في القَوْلِ والخِطاب؛
أنَّنا نَحْمِلُ كُلَّ هذا الفَقْرَ وهذا الجَفاء، النَّاسُ كُلُّهُمْ سُعَداءٌ وَنَحْنُ غَيْرُ سُعَداء؛
خُبْزُنا ليسَ خُبْزاً وَمَرَقُنا الألَمُ والدَّمْعُ، ليسَ لنا مِنْ إناءٍ وماؤنا مِنَ الدَّمْع؛
رِداؤنا في النَّهارِ حَرارَةُ الشَّمْس، فراشُنا ولِحافُنا في اللَّيْلِ ضَوءُ القَمَر؛
قُرْصَ القَمَرِ ظَنَنَّاهُ قُرْصَ خُبْز، فَرَفَعْنا اليَدَ جِهَةَ السَّماء؛
عارٌ على المساكينِ مِنْ مَسْكَنتِنا، في يومِنا وليلِنا فِكْرُنا بِقوتِنا؛
القَريبُ والغَريبُ صارا يَنْفِرانِ مِنَّا، مِثْلَما ينفِرُ النَّاسُ مِنَ السَّامِرِيّ؛
لَو طَلَبْتُ مِنْ شَخْصٍ حَفْنَةً مِنْ عَدَس، لقالَ لي اخْرَسي لَكِ المَوتُ والوَيْل؛
ألَيْسَ تفَخَرُ العَرَبُ بالغَزْوِ والعَطاء، كَأنَّما أنْتَ في العَرَبِ في الخَطِّ خَطاء؛
وأيُّ قِتالٍ وَنَحْنُ بلا قِتالٍ قَتْلى، نَحْنُ بِسَيْفِ الفَقْرِ مَقْطوعَةٌ رؤوسُنا؛
مُقيمونَ على الاِستِجداءِ ولا عَطاء، نَقْصِدُ الذُّبابَةَ الطَّائرَةَ في الهواء؛
إذا جاءنا ضَيْفٌ فأنا نَفْسي، إذا نامَ اللَّيلَ أقصدُ ثَوْبَه؛

اغتِرارُ المُريدينَ المُحتاجينَ بالمُدَّعينَ المُزَوِّرين
وظَنُّهُمْ إيَّاهُمْ شيوخاً ومُحْتَشِمين وواصِلين وجَهْلُهُم
الفَرْقَ بينَ النَّقْلِ والنَّقْد وبينَ المُقَيَّد ونامي الجناح

مِنْ أجْلِ هذا قالَ أهْلُ العِلْمِ وأحسَنوا، لِيَنْزِلَ الضِّيفانُ على المُحسِنين؛
أنْتَ مُريدٌ وَضَيْفٌ لذلِكَ الشَّخْصِ، الَّذي يأخُذُ ما مَعَكَ مِنَ الخِسَّة؛
لا فَتْحَ عِنْدَهُ كَيْفَ يجودُ عَلَيْكَ بالفَتْح، لا يُعطيكَ النُّورَ بَلْ يُعطيكَ الظَّلام؛
ما دامَ ليسَ لهُ النُّورُ في المِصْباح، متى يَجِدُ النُّورَ مِنْهُ الآخَرون؛

مِثْلَ أعْمَشٍ يقومُ بِعَمَلِ الدَّواءِ للعَيْن، ماذا سَيَجْلِبُ ذاكَ إلَّا الظَّلامَ لِلْعَيْن؛
هذا هُوَ حالُنا في الفَقْرِ والعَناء، أيُّ ضَيْفٍ لَنْ يكونَ مَغْروراً بِنا؛
قُحْطَ عَشْرِ سِنينَ إنْ لَمْ تَكُنْ رأيْتَ في الصُّوَر، اِفْتَحِ العُيونَ وانظُرْ إلَينا؛
ظاهِرُنا كأنَّهُ باطِنُ المُدَّعي، الظُّلُماتُ في قَلْبِهِ ولِسانُهُ شعْشَعاني؛
ما لَهُ مِنَ اللهِ مِنْ خَبَرٍ ولا أثَر، ومِنْ دعواهُ فاقَ شيثَ وأبا البَشَر؛
الشَّيطانُ ما أبدى لَهُ نَقْشَ النَّفْسِ، وَيَدَّعي أنَّهُ مِنَ الأبدالِ وأَكْثَر؛
سَرَقَ الكَثيرَ مِنْ حَرْفَ الدَّراويشِ، لِيَحْصَلَ الظَّنُّ أنَّهُ نَفْسَهُ إنسان؛
قامَ بالنَّقْدِ لِكلامِ **بايزيد،** مِنْ باطِنِهِ يَشْعُرُ بالعارِ **يزيد؛**
مَحرومٌ مِنَ خُبْزٍ ومائدَةِ السَّماء، ما ألقى الحَقُّ بِعَظْمَةٍ واحِدَةٍ أمامَهُ؛
قامَ بالنِّداءِ أنْ قَدْ مَدَدْتُ الموائد، أنا نائبُ الحَقِّ مولودُ الخَليفَة؛
أي سُذَّجَ القُلوبِ تعالَوا مجاميعَ لِلقِرى، كُلوا مِنْ خوانِ جودي واشْبَعوا هَباءً؛
سِنينَ على وَعْدِ الغَدِ وأَشْخاصٌ سُذَّجٌ، يجتمِعونَ على ذَلِكَ البابِ كُلَّ غَد؛
يجِبُ زَمَنٌ طويلٌ لِيُصْبِحَ سِرُّ الآدَمِيّ، واضِحاً عِياناً لِلكَثيرِ والقليل؛
تَحْتَ جِدارِ البَدَنِ هُناكَ إمَّا كُنْزٌ، وإمَّا بَيْتُ أفْعى وَنَمْلٍ وثعابين؛
حينَ صارَ واضِحاً للطَّالِبِ أنَّهُ لا شَيء، كانَ عُمْرُهُ قد مَضى ما نَفْعُ الخَبَر؛

في بيانِ ذلِكَ النَّادِرِ مِنْ أنَّ مُريداً اعتَقَدَ اعتِقاداً صادِقاً بِمُدَّعٍ مُزَوِّرٍ أنَّهُ شَخْصٌ، ووصَلَ بِهذا الاِعتِقادِ إلى مقامٍ لم يكُنْ لِشَيخِهِ أنْ يراهُ في النَّوم، ولمْ يؤذِهِ الماءُ والنَّارُ وآذَيا شَيْخَهُ، ولكِنْ في النَّادِرِ النَّادِر

لكِنْ يندُرُ أنَّ الطَّالِبَ يجيئهُ مِنَ النُّور، ما يكونُ في حَقِّهِ نافِعاً مِنْ ذلِكَ الكَذِب؛
هُوَ بِقَصْدِ الخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ وَصَلَ المكان، رَغْمَ أنَّ ما ظَنَّهُ الرُّوحَ كانَ جَسَداً؛
كَمَنْ تَحَرَّى القِبْلَةَ في قَلْبِ اللَّيْل، وأخطأَ القِبْلَةَ فصلاتُهُ تِلْكَ جائزة؛

قُحْطُ روحِ المُدَّعي خفِيٌّ في رأسِه، نَحْنُ قُحْطُ الخُبْزِ ظاهِرٌ عَلَينا؛
فلِماذا نُخفيهِ كما يفعَلُ المُدَّعي، لِأَجْلِ ناموسِنا نقومُ بالتَّزويرِ في روحِنا؛

أمْرُ الأعرابيّ زَوجَتَهُ بالصَّبْر وتَبيينُهُ فضيلَةَ الصَّبْرِ والفَقْرِ لِزَوجَتِه

قالَ لها الزَّوجُ كم تَطلُبينَ النَّفْعَ والزَّرْع، أكثَرُ العُمْرِ مَضى وبقِيَ القليل؛
العاقِلُ لا ينظُرُ إلى زيادَةٍ ونُقصان، لأنَّ كِلا الاثنينِ كالسَّيْلِ في الجَرَيان؛
صافِياً جرى أم جرى عَكِراً السَّيْلُ، مادامَ لا يثبُتُ لَحْظَةً لا تُحدِّثي عَنْه؛
في هذا العالَمِ آلافُ الأحياء، يَحْيَونَ حياةً سعيدَةً، لا فوقَهُم ولا تَحْتَهُم؛
الحَمامَةُ المُطَوَّقَةُ تَشكُرُ اللهَ على شَجَرَةٍ، وما تَيَسَّرَ لها مِنَ الرِّزقِ قوتُ ليلَةٍ؛
الحَمْدُ للهِ، يقولُ العَنْدَليب، مُعْتَمَدِ الرِّزْقِ أيا نِعْمَ المُجيب
طوبى للبازِ مَدَّ اليَدَ للشَّاه، وقَطَعَ الأمَلَ مِنْ جميعِ الخَلْق؛
وهكذا الجميعُ مِنْ بعوضَةٍ إلى فيل، صاروا عيالَ اللهِ والحَقُّ نِعْمَ المُعيل؛
كُلُّ هذِهِ الغُمومِ في صُدورِنا، مِنْ بُخارِنا وغُبارِنا ومِنْ ريحِنا؛
لِنَقْلَعْ جَذْرَ هذِهِ الغُمومِ فالمَنْجَلُ مَعَنا، كيفَ هذا وأنَّى ذاكَ وسواسُنا؛
اِعْلَمْ أنَّ كُلَّ أَلَمٍ مِنَ الموتِ قِطْعَةٌ، اِنْفِ عَنْكَ جُزءَ المَوتِ إنْ كانَ لَكَ حيلَةٌ؛
ما دُمْتَ لا يُمْكِنُكَ الفِرارُ مِنْ جُزْءِ المَوت، اِعْلَمْ سيَصُبُّونَ كُلَّهُ على رأسِكَ؛
إذا كانَ جُزْءُ المَوتِ صارَ لَكَ لَذيذاً، اِعْلَمْ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ *كُلَّهُ* لَكَ لذيذاً؛
الأوجاعُ مِنَ المَوتِ تأتيكَ رسولاً، لا تُدِرْ عَنْ رَسولِهِ الوَجْهَ أي فُضوليّ؛
كُلُّ مَنْ يعيشُ حُلْواً يموتُ مُرّاً، كُلُّ مَنْ عَبَدَ البَدَنَ لم يَحْمِلِ الرُّوح؛
إنَّهُمْ يسحبونَ الأغنامَ مِنَ الصَّحْراء، ويختارونَ الأضْخَمَ مِنْ بينِها ويذَبحونَه؛
انقَضى اللَّيْلُ وَطَلَعَ الصُّبْحُ أي ***تمر***، إلى كم تَظَلُّ خُرافَةُ الذَّهَبِ مِنْكِ بالرَّأس؛
كُنْتِ شابَّةً وكُنْتِ أكْثَرَ قناعَةً، صِرْتِ تَطلُبينَ الذَّهَبَ وكُنْتِ أنْتِ الذَّهَب؛

كُنْتِ كَرْمَةً مُثْمِرَةً كيفَ صِرْتِ كاسِدَةً، وَقْتَ نُضْجِ ثِمارِكِ صِرتِ فاسِدَةً؛
فاكِهَتُكِ كان يجِبُ أنْ تكونَ أحلى، لا كجادِلي الحِبالِ يرجِعونَ إلى الخَلْف؛
الزَّوجُ يجِبُ أنْ تكونَ على صِفَةِ الزَّوج، حتَّى تسيرَ الأعمالُ وِفْقَ المَصْلَحَة؛
يجِبُ أنْ يكون الزَّوجانِ كُلٌّ مِثالَ الآخَر، انظُري إلى أزواجِ الأحذِيَةِ والنِّعال؛
إنْ فَرْدَةٌ مِنْ زَوجِ الحِذاءِ ضاقَتْ على القَدَمِ، لا تنتَفِعينَ بِأيٍّ مِنْ فَردَتي الحِذاء؛
أبابٌ بِمِصراعَينِ واحِدٌ صَغيرٌ وآخَرُ كبير، أرَأيتِ زَوجاً مِنْ أسَدِ غابَةٍ وذئب؛
لا يستوي مِنَ الحِمْلِ على البَعيرِ العِدْلان، واحِدٌ مِنْهُما خالٍ والآخَرُ ملآن؛
أنا ذاهِبٌ بِقَلْبٍ قويٍّ إلى جِهَةَ القناعَة، لماذا أنتِ ذاهِبَةٌ إلى جِهَةِ الشَّناعَة؛
الرَّجُلُ القانِعُ بِحُرْقَةٍ وإخلاص، على هذا النَّسَقِ حَدَّثَ الزَّوجَةَ إلى الصَّباح؛

نُصْحُ المَرْأةِ لِزَوجِها أنْ لا تُكْثِرِ الحديثَ عَنْ قَدَمِكَ ومقامِكَ، *لِمَ تقولونَ ما لا تَفْعَلون*، فهذِهِ الأحاديثُ ولو كانتْ صحيحَةٌ ليسَتْ مقامَ التَّوكُّلِ لَكَ وقَوْلُ الحديثِ فوقَ مقامٍ ومُعامَلَةِ النَّفْسِ فيهِ ضَرَرٌ ومِنْ قبيل *كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله*

صَرَخَتْ بِهِ المَرْأَةُ أيُّها المُتَمَسِّكُ بالنَّاموس، لَنْ أطْعَمَ خِداعَكَ أكْثَرَ مِنْ هذا؛
لا تَقُلِ التُّرَّهاتِ مِنْ دُعائِكَ ودَعواك، لا تَقُلِ الحديثَ عَنْ كِبْرِكَ وَنَخْوَتِكَ؛
أقِلَّ التَّباهي بالفَضْلِ والقَدْرِ بالقَوْل، انْظُرْ إلى شُغْلِكَ وحالِكَ وكُنْ على خَجَل؛
الكِبْرُ قبيحٌ ومِنَ الشَّحَّاذينَ أقْبَحُ، أيومٌ بَارِدٌ مُثْلِجٌ وثيابٌ مُبَلَّلَةٌ؛
كم دعواكَ والصَّوتُ والرِّيحُ والشَّرَف، أي مَنْ بيتُكَ كأنَّهُ بَيْتُ العَنْكَبوت؛
مِنَ القَناعَةِ مَتى تُضيءُ الرُّوح، مِنَ القناعاتِ تَعَلَّمْتَ الإسْم؛
قالَ النَّبِيُّ القَناعَةُ أيُّ كَنْزٍ، أنتَ لا تُفَرِّقُ بينَ الألَمِ والكَنْز؛
هذِهِ القَناعَةُ ليسَتْ غَيْرَ كَنْزِ الرُّوح، لا تَبَاهَ أي أنتَ الغَمُّ والألَمُ للرُّوح؛
لا تَدْعُني زَوْجَةً، أقِلَّ العِناق، أنا زَوْجُ إنْصافٍ لا زَوْجُ دَغَل؛

كيفَ تسيرُ مَعَ الأميرِ وَمَعَ العَظيم، وأنْتَ تَقْصِدُ الجَرادَ في الهواء؛
وأنتَ في نِزاعٍ مَعَ الكِلابِ لأجْلِ عَظْمٍ، كالنَّايِ فارِغَةِ الجَوفِ في الأنين؛
فلا تَنْظُرْ باحتِقارٍ إلَيَّ أنا الضَّعيفَة،كي لا أقولَ لَك ما ذاكَ الَّذي في عُروقِك؛
رأيْتَ عَقْلَكَ زائداً على عَقْلي، كَيْفَ رأيتَني ناقِصَةَ العَقْل؛
لا تَثِبْ عَلَيَّ وثوبَ الذِّئبِ على الغافِلِ، أيْ عَديمُ العَقْلِ مِنْ عَارٍ عَقْلِكَ أفْضَل؛
بما أنَّ عَقْلَكَ عَقيلَةٌ عِنْدَ النَّاس، ذاكَ ليسَ بالعَقْل، ذاكَ حَيَّةٌ وثُعْبان؛
كانَ اللهُ خَصْمَ ظُلْمِكَ وَمَكْرِكَ، أَبْعَدَ اللهُ فَضْلَكَ وَعَقْلَكَ عَنَّا؛
أيضاً حَيَّةٌ وأيضاً ساحِرٌ أنْتَ عَجَباً، صائدُ أفاعٍ وأفعى أيْ عارَ العَرَب؛
لو كانَ الغُرابُ عالِماً بِقُبْحِ نَفْسِهِ، ذابَ كالثَّلْجِ مِنَ ألَمٍ وغَمّ؛
الرَّجُلُ السَّاحِرُ تَغَنَّى كالعَدُو، هُوَ عَمِلَ السِّحْرَ للحَيَّةِ والحَيَّةُ عَمِلتْ لهُ السِّحْر؛
لو لَمْ تَكُنْ شَبَكَتُهُ سِحْرَ حَيَّةٍ، كيفَ صارَ صَيْداً لِسِحْرِ الحَيَّة؛
الرَّجُلُ السَّاحِرُ مِنْ حِرْصِ الكَسْبِ والعَمَل، ما أدْرَكَ ذاكَ الزَّمانَ سِحْرَ الحَيَّة؛
قالَتِ الحَيَّةُ أي ساحِرُ هاكَ هاكَ، رأيتَ ما عِنْدَكَ انظُرْ إلى سِحْري؛
أنْتَ بِاِسْمِ الحَقِّ قُمْتَ بِخِداعي، لِتَجْلِبَ لي الفَضيحَةَ بالغوغاءِ والشَّرّ؛
فأوثَقَني اِسْمُ الحَقِّ لا رأيُكَ ذاك، جَعَلْتَ مِنْ اِسْمِ الحَقِّ فَخّاً لَكَ الوَيْلُ؛
اِسْمُ الحَقِّ سيأخُذُ حَقِّي لي مِنْكَ، أنا لِاِسْمِ الحَقِّ أسْلَمْتُ البَدَنَ والرُّوح؛
إمَّا أنْ يَقْطَعَ عِرْقَ الرُّوحِ مِنْكَ بِلَدْغَتي، أو يأخُذَكَ إلى زَنْزانَتِكَ مِثلي؛
المَرْأةُ بِهذا الأسلوبِ الخَشِنِ مِنَ الحَديث، قَرَأتْ على زَوْجِها الشَّابِّ صحائف؛

نُصْحُ الرَّجُلِ المَرْأَةَ أنْ لا تنظُري باحتِقارٍ إلى الفُقَراءِ وانظُري إلى عَملِ الحَقّ بِظَنِّ الكَمال ولا تَطْعَني بالفَقْرِ والفُقَراءِ بِخيالِ وَظَنِّ فَقْرِ نَفْسِك

قالَ أي امرَأةٌ أَأَنْتِ امرَأةٌ أمْ أنْتِ الحَزَن، الفَقْرُ جاءَ فَخْراً فلا تكوني مُعانِدَةً؛
المالُ والذَّهَبُ مِثْلَ القُبَّعَةِ للرَّأس، الأقْرَعُ هُوَ الَّذي يُخَبّئُ الرَّأسَ تَحْتَ القُبَّعَة؛
ذاكَ الَّذي جدائلُهُ جَعْداءُ ورَعْناءُ، يكونُ أسْعَدَ إذا صارَ بلا قُبَّعَة؛
رَجُلُ الحَقّ بِمَثابَةِ البَصَر، خَيْرٌ أنْ يكونَ عارِياً مِنْ أنْ يكونَ مستوراً النَّظَر؛
وَقْتَ يَعْرِضُ النَّخَّاسُ العبيدَ للبَيْع، يَرْفَعُ عَنِ العَبْدِ ثَوبَهُ الَّذي يَسْتُرُ العُيوب؛
وإذا كانَ بالعَبْدِ عَيْبٌ لا يُعَرّيهِ، بَلْ إنَّهُ بِثَوبِ الخِدْعَةِ يُغَطِّيه؛
يَقولُ إنَّهُ خَجولٌ مِنَ السَّيّئِ والحَسَن، وهُوَ يحترِزُ مِنَ الكونِ عُرياناً مِنْك؛
والسَّيّدُ غارِقٌ في العَيْبِ حَتّى الأُذُنِ، لكِنَّ للسَّيّدِ مالاً والمالُ يستُرُ العَيْب؛
مِنَ الطَّمَعِ لا يرى عَيْبَهُ طامِعٌ، إنَّ الأطْماعَ للقُلوبِ جامِعٌ؛
لو قالَ الفَقيرُ حديثاً كأنَّهُ الذَّهَبُ، بِضاعَتُهُ سوفَ لَنْ تَجِدَ طَريقاً لِدُكَّان؛
إنَّ أمْرَ الدَّرْوَشَةِ وراءَ الفَهْمِ مِنْكِ، لا تَنظُري باحتِقارٍ إلى جِهَةِ دَرويش؛
ذلِكَ أنَّ الدَّراويشَ وراءَ المُلْكِ والمال، وعِنْدَهُمْ رِزْقٌ عَظيمٌ مِنْ ذي الجلال؛
الحَقُّ تَعالى عادِلٌ إنَّ العادِلين، لا يقَعُ مِنْهُمْ ظُلْمٌ على الواهِنين؛
أأعطَوا لِذاكَ النِّعْمَةَ والمتاع، وهذا جَعلوهُ في صميمِ النَّار؛
فلتَكُنْ حارِقَةً نارُ مَنْ ظَنَّ هذا الظَّنَّ باللهِ الذَّي خَلَقَ كِلا العالَمين؛
الفَقْرُ فَخْري مِنَ الجُزافِ والمجاز، أليسَ بِها ألْفُ عِزٍّ خفيٍّ وافتِخار؛
سُقْتِ لي ألقاباً كثيرَةً مِنَ الغَضَب، دَعَوتِني المُحتالَ وصائدَ الحَيَّات؛
إذا مَسَكْتُ الحَيَّةَ نَزَعْتُ أسنانَها، كي لا يُصيبَها ضِرارُ دَقِّ الرَّأس؛
لأنَّ تِلْكَ الأسنانَ عَدْوَّةٌ لروحها، أنا أجْعَلُ العدُوَّ مِنْ هذا العِلْمِ صديقاً؛

أنا لا أقرأُ الفُتونَ مِنَ الطَّمَعِ أبَداً، لقد جعَلْتُ الطَّمَعَ مقلوباً ومَغلوباً؛
حاشَ للهِ ليسَ لي طَمَعٌ مِنَ الخَلْق، مِنَ القَناعَةِ عِنْدي عالَمٌ في القَلْب؛
كيفَ تُبْصِريْنَ وأنْتِ على شَجَرَةِ العَرْموط، انزلي مِنْها لِئلَّا يبقى ذلِكَ الظَّنُّ؛
عِنْدَما تَدورينَ ويصيبُ رأسَكِ الدُّوارُ، تَرَيْنَ الدَّارَ تَدورُ وذلِكَ مِنْكِ؛

فـي بـيانِ أنَّ حَرَكَةَ كُلِّ شَخْصٍ مِنْ حَيْثُ يكون، وأنَّ كُلَّ شَخْصٍ نَظَرَ مِنْ فَلَكِ وجودِ نَفْسِه، الوِعاءُ الأزْرَقُ يُظْهِرُ لَكَ الشَّمْسَ زَرْقاءَ والأحْمَرُ حَمْراءَ، وعِنْدَما يَخْرُجُ الوِعاءُ عَنِ الألوانِ يصيرُ أبيَض، ويكونُ أصْدَقَ مِنْ جَميـعِ الأوعِيـَةِ الأُخرى، ويكونُ إماماً

رأى أحْمَدَ أبو جَهْلْ وقالَ، بئسَ نَقْشاً تَفَتَّحَ مِنْ بني هاشِمٍ؛
قالَ لهُ أحْمَدُ صَدَقْتَ، قُلْتَ صِدْقاً وإنْ بالَغْت؛
رآهُ الصِّدِّيقُ فقالَ أي شَمْساً، لا شَرْقِيَّةً ولا غَرْبيَّةً تألَّقُ التَّألُّقَ الجَميل؛
قالَ أحْمَدُ قُلْتَ صِدْقاً أيْ عَزيزُ، أيْ حُرَّاً مِنْ دُنيا لا تُساوي شَيئاً؛
الحاضِرونَ قالوا أيْ صَدْرَ الورى، كيفَ قُلْتَ للضِّدَّيْنِ صادِقَيْن؛
قالَ أنا مِرآةٌ مَصْقولَةٌ، التُّركِيُّ والهِنْدِيُّ يرى بي ذاكَ الَّذي هُوَ عَلَيْه؛
أي امرَأَةُ إنْ كُنْتِ تَرَيْنِني طَمَّاعاً، ارتَفِعي عَنْ تَحَرّي النِّساءِ هذا؛
هذا أشْبَهَ الطَّمَعَ وكانَ رَحْمَةً، إنَّهُ طَمَعٌ بِما هُناكَ حَيْثُ النِّعْمَة؛
اِمْتَحِني الفَقْرَ يوماً ويَومَين، لِتَرَي في الفَقْرِ الغِنى مَرَّتَيْن؛
اِصْبِري على الفَقْرِ وَدَعي الملال، إنَّ في الفَقْرِ عِزَّ ذي الجلال؛
لا تبيعي الخَلَّ وانظُري إلى آلافِ الأرواحِ، غارِقَةً مِنَ القناعَةِ بِبَحْرِ العَسَل؛
انظُري مئاتِ آلافِ الأرواحِ تَجْرَعُ المُرَّ، كأنَّها الوَرْدُ مُغَشَّىً بِسُكَّرِ الوَرْد؛
أيْ أسَفاً لو كانَتْ لَكِ القُدْرَةُ، لِتَجِدي مِنْ روحي ظاهِراً شَرْحَ قلبي؛

هذا الحديثُ لَبَنٌ في ثَدْيِ الرُّوح، بلا حُسْنِ رَضاعٍ لا يكونُ جاريا؛
حينَ يكونُ المُسْتَمِعُ ظَمْآنَ وطالِباً، الواعِظُ ولو كانَ مَيْتاً يصيرُ قائلاً؛
حينَ يكونُ المُسْتَمِعُ غَضَّاً بِلا ملالٍ، يصيرُ للأخْرَسِ الأبكَمِ مِئةُ لِسانٍ قالٍ؛
إذا دَخَلَ غَيْرُ مُحْرِمٍ مِنَ الباب، الحُرُمُ يَخْتَفينَ بالحِجاب؛
وإذا دَخَلَ مُحْرِمٌ بَعيدٌ عَنِ الأذى، أولئكَ المُنَقَّباتُ يَرْفَعْنَ النِّقاب؛
كُلُّ ما يفْعلونَ مِنْ خيرٍ وَحَسَنٍ وَجَميلٍ، لأجْلِ عَيْنٍ ناظِرَةٍ يفْعَلون؛
متى كانَ عَزْفُ الرَّبابِ والبَمِّ والزِّير، مِنْ أجْلِ أُذُنٍ صمَّاءَ بلا حِسّ؛
الحَقُّ ما جَعَلَ المِسْكَ يُطلِقُ عَذْبَ النَّفَسِ عَبَثاً، لِأجْلِ الحِسِّ جَعَلَهُ لا للأخْشَم؛
الحَقُّ خَلَقَ الأرْضَ والسَّماءَ، أشْعَلَ بينَهُما كثيراً مِنَ النَّارِ والنُّور؛
جَعَلَ هذِهِ الأرْضَ مِنْ أجْلِ التُّرابيّين، جَعَلَ السَّماءَ مَسْكَنَ الأفلاكِيّين؛
الرَّجُلُ السُّفليُّ عَدُوٌّ للأعلى، كُلُّ مكانٍ لَهُ مُشترٍ ظاهِرٌ؛
أي امْرأةُ هَلْ مَرَّةً نَهَضْتِ، فَتَزَيَّنْتِ مِنْ أجْلِ أعْمى؛
لو مَلأتُ هذا العالَمَ بالدُّرِّ المَكنونِ، إذا لَمْ يَكُنْ لَكِ رِزْقاً ما أفْعَل؛
قولي بِتَرْكِ الحَرْبِ وَقَطْعِ الطَّريقِ أيْ سَيّدَة، وإنْ لَمْ تَفْعَلي فقولي بِتَرْكي؛
ما لي وللحَرْبِ مَعَ سَيّئٍ وَحَسَنٍ، قلبي هذا مِنَ الصُّلْحِ أيضاً يخاف؛
إمَّا أنْ تكوني ساكِتَةً أو أفْعَلُ ذاكَ ، هذِهِ اللَّحْظَةَ أتْرُكُ البَيْتَ والمَتاع؛

مُراعاةُ المَرْأةِ زَوْجَها واستِغْفارُها عَنْ قَولِها

حينَ رأتْهُ المَرْأةُ حادّاً ومُتَنَمِّراً، راحَتْ باكِيَةً، شِباكُ المَرْأةِ البُكاء؛
قالَتْ لَمْ يَكُنْ هكَذا بِكَ ظَنّي، لَقَدْ كانَ لي فيكَ أمَلٌ آخَرٌ؛
دَخَلَتِ المَرْأةُ مِنْ طَريقِ الفناء، قالَتْ أنا لَسْتُ حَديداً أنا لَكَ تُرابٌ؛
جِسْمي وروحي وكُلُّ ما أملِكُ مُلْكٌ لَكَ، الحُكْمُ والأمْرُ جُمْلَةً لَك؛

إنْ كانَ قلبي مِنَ الفَقْرِ فارَقَ الصَّبْر، ذاكَ ليسَ مِنْ أجلي ذاكَ مِنْ أجْلِكَ؛
لَقَدْ كُنْتَ لي دواءً للآلام، أنا لا أُريدُكَ أنْ تَكونَ فَقيراً مُعْدِماً؛
وحَقِّ رُوحِكَ ليسَ هذا لأجلي، الأنينُ والحنينُ هذانِ مِنِّي لأجْلِك؛
نَفْسي واللهِ لأجْلِ نَفْسِك، تَوَدُّ كُلَّ حينٍ لو تَموتُ مِنْ أجْلِك؛
روحي لِروحِكَ الفِداءُ ليتَ روحَكَ، كانَتْ واقِفَةً على ما في ضَميرِ روحي؛
وَحَيْثُ أنَّكَ كُنْتَ لي هكذا بِظَنٍّ، فَقَدْ صِرْتُ نافِرَةً مِنْ روحي ومِنْ جَسَدي؛
أنَّى نَجْعَلُ التُّرابَ فِضَّةً وَذَهَباً، وأنْتَ معي هكذا أيْ ساكِنَ الرُّوحِ والقلب؛
أمِنْ هذا القَدْرِ تقومُ بالتَّبَرُّؤ مِنِّي، تَبَرَّأْ فإنَّ عِنْدَكَ القُدْرَةَ؛
أُذْكُرْني ذلِكَ الزَّمانَ وَقَدْ كُنَّا، أنا كالصَّنَمِ وأنْتَ كعابِدِ الصَّنَم؛
عَبْداً موافِقاً لَكَ اشتَعَلَ قَلْبي، كُلَّما قُلْتَ أنضَجَ قالَ احتَرَقَ؛
أنا السَّبانِخُ اطبخني كما تشاء، مَعَ الحامِضِ وَمَعَ الحُلْوِ كما تَشاء؛
قُلْتُ كُفْراً وَجِئتُ حُسناً للإيمان، جِئتُ مُخْلِصَةً راضِيَةً إلى أمامِ حُكْمِك؛
لَمْ يَكُنْ لي عِلْمٌ بِطَبْعِكَ المَلَكيّ، قُدْتُ الحِمارَ أمامَكَ بلا حِفاظ؛
حينَ مِنْ عَفْوِكَ صَنَعْتُ مِصْباحاً، قُمْتُ بالتَّوبَةِ وَنَفَيْتُ الاِعْتِراض؛
أضَعُ قُدَّامَكَ السَّيْفَ والكَفَنَ، وأمُدُّ أمامَكَ الرَّقَبَةَ للقَطْع؛
جِئتَ بالحَديثِ عَنِ الفِراقِ المُرّ، اِفْعَلْ ما تَشاءُ، لكِنْ هذا لا تَفْعَلْ؛
إنَّ في داخِلِكَ سِرَّاً مِنِّي طالِبَ عُذْر، هُوَ مِنْ دوني مَعَكَ شفيعٌ مُستَمِرّ؛
طالِبُ العُذْرِ لي في داخِلِكَ خُلُقُك، مِنْ اعتِمادٍ عَلَيْهِ قامَ قلبي بالجُرْم؛
اِرْحَمْ خِفْيَةً عَنِ النَّفْسِ أي غاضِبُ، أيْ مَنْ خُلُقُكَ أفْضَلُ مِنْ مِئةِ مَنٍّ عَسَلٍ؛
على هذا النَّسَقِ قالَتْ بِلُطْفٍ وانبِساطٍ، وكانَ يَعرِضُ لها في أثناءِ ذلِكَ البُكاء؛
عِنْدَما بُكاؤها جاوَزَ الحَدَّ وعويلُها علا، صارَتْ أفْتَنَ وكانَتْ فاتِنَةً بلا بُكاء؛
لَمَعَ مِنْ ذلِكَ المَطَرِ بَرْقٌ فألقى، في قَلْبِ الرَّجُلِ الوَحيدِ الشَّرار؛

تِلْكَ الَّتي كانَ الرَّجُلُ عَبْدَ وَجْهِها الجَميل، كيفَ يكونُ حينَ تَشْرَعُ بالعُبوديَّة؛
تِلْكَ الَّتي كانَ قَلْبُكَ يَرْتَجِفُ مِنْ كِبْرِها، كَيْفَ تكُونُ حينَ تكونُ أمامَكَ باكِيَةً؛
تِلْكَ الَّتي مِنْ دلالِها القَلْبُ والرُّوحُ دَمِيا، حينَ جاءَتْ مُتَضَرِّعَةً كَيْفَ كانَتْ؛
تِلْكَ الَّتي في جَورِها وَجَفاها شِباكُنا، إذا قامَتْ لَلْعُذْرِ ما هُوَ عُذْرُنا؛
زُيِّنَ لِلنَّاسِ مُزَيَّنَةٌ مِنَ الحَقِ، ذاكَ الَّذي زَيَّنَ الحَقُّ كَيْفَ يُمْكِنُ الفِرارُ مِنْهُ؛
مُنْذُ خَلَقَ الَّتي لِـ *يُسْكَنَ إلَيْها*، متى يستطيعُ آدَمُ تَرْكَ حوَّاء؛
ولو كانَ *رُستَم بنُ زال* ولو جازَ *حَمْزَة*، إنَّهُ أسيرٌ لِأَمْرِ قَرينَتِه؛
مَنْ سَكِرَ العالَمُ مِنْ مقالِهِ كانَ يقولُ، ***كَلِّميني يا حُميرا كَلِّمي***؛
الماءُ غالِبٌ على النَّارِ في غارَتِه، حينَ يكونُ في الحِجابِ تَجْعَلُهُ النَّارُ يغلي؛
وإذا ما حالَتِ القِدْرُ ما بينَ الاثْنَين، جَعَلَتْ ذلِكَ الماءَ عَدَماً، صَيَّرَتْهُ هواءً؛
إذا كُنْتَ غالِبَ المَرْأةِ كالماءِ ظاهِراً، باطِناً أنْتَ مَغلوبٌ للمَرْأةِ طالِبٌ لَها؛
مِثْلُ هذِهِ الخاصِّيَّةِ تُوْجَدُ في الآدَمِيّ ، مَحَبَّةُ الحيوانِ قليلَةٌ، ذاكَ مِنْ دونِيَّتِه؛

في بيانِ هذا الخَبَرِ أنْ *إنَّهُنَّ لَيَغْلِبْنَ العاقِلَ ويَغْلِبُهُنَّ الجاهِل*

قالَ النَّبِيُّ المَرْأةُ للعاقِلين، ولِأصحابِ القُلوبِ غالِبٌ مُحْكَمٌ؛
لكِنِ الجُهَّالُ يغلِبونَ النِّساءَ، ذاكَ لِأَنَّهُمْ حادُّونَ وهائجون؛
الرِّقَّةُ واللُّطْفُ والوِدادُ عِنْدَهُمْ قليلٌ، ذاكَ لِأنَّ الحيوانيَّةَ غالِبَةٌ على أصْلِهِم؛
إنَّ الحُبَّ والرِّقَّةَ وَصْفُ الإنسان، إنَّ الغَضَبَ والشَّهْوَةَ وَصْفُ الحَيوان؛
ذاكَ ضياءُ الحَقِ ذاكَ لَيْسَ بالمَعْشوق، ذاكَ خالِقٌ ذاكَ كأنَّهُ ليسَ بالمَخلوق؛

تسليم الرَّجُل نَفْسَهُ بما كانَت التَمَسَتْ مِنْهُ زَوْجَتُهُ مِنْ طَلَبِ المَعيشَة واعتِبار اعتِراض المَرْأة إشارَةً مِنَ الحَقّ عِنْدَ عَقْلِ كُلِّ عالِمٍ كُلُّ دائرٍ لَـهُ مُدير

الرَّجُلُ مِنْ ذلِكَ الحَديثِ صارَ خَجِلاً كما، عُوانٌ ظالِمٌ ساعَةَ المَوت؛
قالَ كَيْفَ صِرْتُ خَصْمَ روحِ روحي، كَيْفَ وَجَّهْتُ لِرَأسِ مَنْ أُحِبُّ اللَّكَمات؛
إذا جاءَ القَضاءُ صارَ حِجابٌ على البَصَرِ، فلا يَعْرِفُ العَقْلُ رَأساً مِنْ قَدَم؛
لَمَّا مَضى القَضاءُ أكَلَ المَرْءُ نَفْسَهُ، وراحَ يُمَزِّقُ الحِجابَ وهُوَ يبكي؛
الرَّجُلُ قالَ أنا نادِمٌ أيْ امرَأةُ، إنْ كُنْتُ كافِراً فَقَدْ صِرْتُ مُسْلِماً؛
الحَضْرَةُ مِلؤها رَحْمَةٌ ومِلؤها كَرَمٌ، العاشِقُ أيضاً وجودٌ وأيضاً عَدَمٌ؛
الكُفْرُ والإيمانُ عاشِقا تِلْكَ الكِبرياء ، النُّحاسُ والفِضَّةُ عَبْدا تِلْكَ الكيمياء؛

في بيانِ أنَّ موسى وفِرعونَ كلاهُما مُسَخَّرٌ للمَشيئة، كالسُّمّ والتِّرياق والظُّلُمات والنُّور، ومُناجاةُ فِرعَون في الخَلْوَة لِئلَّا يُكْسَرَ النَّاموس

موسى وفِرْعَونَ كِلاهُما سالِكٌ للمَعْنى، ظاهِراً ذا على طَريقٍ وذا بِلا طَريق؛
في النَّهارِ موسى أمامَ الحَقّ في أنين، في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ فِرْعَونُ في عَويل؛
أنْ إلٰهي أيُّ غُلٍّ هذا الَّذي في رَقَبَتي، لولا وجودُ الغُلِّ مَنْ يقولُ أنا أكون؛
مِنْ كَونِكَ جَعَلْتَ موسى مُنَوَّراً، جَعَلْتَني أيضاً مِنْ ذلِكَ مُكَدَّراً؛
لِأنَّكَ جَعَلْتَ لِموسى وَجْهَ قَمَرٍ، جَعَلْتَ قَمَرَ روحي أسْوَدَ الوَجْه؛
نَجْمي لَمْ يَكُنْ أفْضَلَ مِنَ القَمَر، إذا جاءَ الخُسوفُ ما حيلَتي؛
في نَوبَتي قُرِعَ لي رَبٌّ وسُلطانٌ، القَمَرُ خَسَفَ فالخَلْقُ يَقْرَعونَ الطُّسوت؛
يقرَعونَ الطَّستَ ويُحْدِثونَ الضَّجيجَ، ويصيرُ القَمَرُ بِذلِكَ المِضْرابِ مُفْتَضِحاً؛

أنا الفِرعَونُ وَيْلٌ ليْ مِنَ الشُّهْرَةِ، مِنْ ضَرْبِ طاسِ *ذاكَ رَبّيَ الأعلى*؛

نَحْنُ شُرَكاءُ لكِنْ مِدْيَتُك، تَقْطَعُ الأغصانَ في غابَتِك؛

وتَعودُ فَتَجْعَلُ غُصْناً واصِلاً، وغُصْناً آخَرَ تَجْعَلُهُ مُعَطَّلاً؛

ليسَ للغُصْنِ طاقَةٌ على مِدْيَةِ يَدِكَ، وما أفْلَتَ غُصْنٌ مِنْ يَدِ مِدْيَتِك؛

بِحَقِّ تِلْكَ القُدْرَةِ الجَديدَةِ لِمِدْيَتِك، قُمْ مِنَ الكَرَمِ بِتَقويمِ الإعوِجاج؛

ثُمَّ عادَ فِرْعَونُ وقالَ لِنَفْسِهِ عَجَباً، أَلَمْ أكُنْ قائلاً *يا رَبَّنا* جُمْلَةَ اللَّيْل؛

أنا في الخَفاءِ تُرابٌ وموزونٌ، عِنْدَما أصِلُ إلى موسى كَيْفَ أكون؛

إذا أعطَوكَ لَونَ الذَّهَبِ الزَّيْفِ عَشْراً، أمامَ النَّارِ تَصيرُ أسوَدَ الوَجْه؛

أَلَيْسَ قلبي وقالَبي كِلاهُما في حُكْمِه، لَحْظَةً يَجْعَلُني لُبّاً ولَحْظَةً يَجْعَلُني قِشْراً؛

إذا قالَ لي كُنِ الزَّرْعَ صِرْتُ أخْضَراً، إذا قالَ لي صِرْ قَبيحاً صِرْتُ أصْفَراً؛

لَحْظَةً يَجْعَلُني قَمَراً وَلَحْظَةً أسْوَداً، ما يكونُ هذا غَيْرَ أنْ يكونَ فِعْلَ الله؛

أمامَ صولَجاناتِ حُكْمِ *كُنْ فكان*، نَحْنُ جارونَ في المَكانِ واللّامَكان؛

حينَ عَديمُ اللَّونِ صارَ أسيرَ اللَّون، صارَ الموسَويُّ في حَرْبٍ مَعَ الموسويّ؛

لَمَّا وَصَلَ موسى وَفِرْعَونُ لانعِدامِ اللَّونِ الَّذي كانَ لَهُما في الأَصْلِ، تَصالَحا؛

وإنْ كانَ وَرَدَ عَلَيْكَ في هذِهِ النُّكْتَةِ سؤال، فاللَّونُ لا يخلو مِنَ القيلِ والقال؛

عَجَبٌ أنَّ هذا اللَّونَ جاءَ مِنْ عَديمِ اللَّون، كَيْفَ قامَ اللَّونُ بحَرْبٍ مَعَ اللّالَون؛

حينَ قاموا بِمَزْجِ الزَّيْتِ بالماء، الماءُ مَعَ الزَّيْتِ كيْفَ صارا ضِدَّيْن؛

وما دامَ الوَرْدُ مِنَ الشَّوكِ والشَّوكُ مِنَ الوَرْد، لِماذا يكونُ الإثْنَانِ في حَرْبٍ؛

أمْ أنَّها لَيْسَتْ بالحَرْبِ بَلْ لِأَجْلِ حِكْمَة، مِثْلَما الحَرْبُ عِنْدَ باعَةِ الحَميرِ صَنْعَة؛

أمْ أنَّها لا هذِهِ ولا تِلْكَ بل حَيْرَةٌ، البَحْثُ عَنِ الكَنْزِ واجِبٌ هذا خَرابٌ؛

وذاكَ الَّذي كُنْتَ تَوَهَّمُهُ الكَنْزَ، مِنْ ذاكَ التَّوَهُّمِ تقومُ بإضاعَةِ الكَنْز؛

اِعْرِفْ الأوهامَ والأفكارَ كالعِمارَة، مواضِعُ الكُنوزِ لا تكونُ في العِمارَة؛

في العِمارَةِ يكونُ الوجودُ والحَرْبُ، العَدَمُ ينالُهُ العارُ مِنَ الوجود؛
أَلَيْسَ الوجودُ قَدْ أَطْلَقَ الصَّرْخَةَ مِنَ العَدَم، بَلِ العَدَمُ أَرْجَعَ ذاكَ الوجود؛
أَنْتَ لا تَقُلْ أَنَّني هارِبٌ مِنَ العَدَمِ، بَلْ هُوَ الهارِبُ مِنْكَ فَتَوَقَّف؛
ظاهِراً هُوَ يدعوكَ إلى جِهَةِ نَفْسِهِ، باطِناً هُوَ يَطْرُدُكَ بِعَصا الرَّدّ؛
نِعالٌ مَعْكوسَةٌ أيْ سَليم ، اِعْرِفْ نَفْرَةَ فِرْعَونَ مِنَ الكَليم؛

سَبَبُ حِرمانِ الأشقياءِ مِنَ العالَمَيْن أنْ خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَة

حينَ حُكَيْمٌ اعْتَقَدَ اعتِقاداً، أنَّ السَّماءَ بَيْضَةٌ والأَرْضُ صِفارُها؛
قالَ سائلٌ كَيْفَ بَقِيَتْ هذِهِ الأَرْضُ في وَسَطِ هذا البَحْرِ المُحيطِ للسَّماء؛
كأنَّها القِنْديلُ المُعَلَّقُ في الهواء، لا إلى أَسْفَلَ تَروحُ ولا إلى أعلى؛
قالَ الحَكيمُ ذلِكَ مِنْ جَذْبِ السَّماءِ، مِنَ الجِهاتِ السِّتِّ أنْ بقِيَتْ وَسَطَ الهواء؛
مِثْلَ قُبَّةٍ مَسبوكَةٍ مِنْ مغناطيس، تَظَلُّ في وَسَطِها حديدَةٌ مُعَلَّقَةً؛
آخَرُ قالَ إنَّ السَّماءَ ذاتُ صَفاءٍ، فَمَتى تَجذبُ إليها الأَرْضَ الكَدِرَةَ؛
بَلْ تقومُ بِدَفْعِها مِنْ سِتِّ جِهاتٍ، لِذلِكَ تَبقى في الوَسَطِ بينَ العاصِفات؛
لِذا مِنْ دَفْعِ خاطِرِ أَهْلِ الكَمال، بَقِيَتْ روحُ الفَرْعونيّينَ في الضَّلال؛
لِذا مِنْ دَفْعِ هذا العالَمِ وذاكَ العالَمِ، بَقِيَ هؤلاءِ الضَّالُّونَ بلا هذِهِ وتِلْكَ؛
أيُّها المُعانِدُ لِعِبادِ ذي الجلال، اِعْلَمْ أنَّ بِهِمْ مِنْ وجودِكَ مَلال؛
عِنْدَهُم كَهْرباءٌ حينَ يُظْهِرونها، يَجْعَلونَ قَشَّ الوجودِ مِنْكَ مولَّهاً؛
وعِنْدما يُخفونَ الكَهْرباءَ مِنْ أنفُسِهِمْ، سريعاً يجعلونَ تسليمَكَ طُغياناً؛
حيثُ تِلْكَ كانَتْ مَرْتَبَةَ الحَيَوان، الَّتي هِيَ أسيرُ ومحكومُ الإنسان؛
مَرْتَبَةُ الإنسانِ في يَدِ الأولياء، اِعْرِفْها مَحكومَةً كالحَيَوانِ أيْ سَيِّد؛
عَبْداً لَهُ دعا أَحْمَدَ في الرَّشاد، عَنْ جُمْلَةِ العالَمِ اقْرَأْ *قُلْ يا عِباد*؛

عَقْلُكَ مِثْلَ الجَمَّالِ وأنْتَ مِثْلَ الجَمَل، يَسْحَبُكَ كُلَّ جِهَةٍ في الحُكْم؛
الأولياءُ عَقْلُ العُقولِ والعُقولُ، على مِثالِ الجِمالِ حَتَّى الاِنتِهاء؛
أُنْظُرْ فيهِمْ أخيراً مِنَ الاِعْتِبار، دَليلٌ واحِدٌ لِمِئَةِ أَلْفِ روح؛
أيُّ مُرشِدٍ وأيَّةُ جِمالٍ، اِحْصَلْ على النَّظَرِ فالنَّظَرُ يرى الشَّمْس؛
العالَمُ الجَميلُ في اللَّيلِ ظِلٌّ مُسَمَّرٌ، مُنْتَظِرٌ موقوفٌ على الشَّمْسِ والنَّهار؛
إنَّ في كُلِّ ذَرَّةٍ شَمْساً خَفِيَّةً، وإنَّ أَسَداً لَفي جِلْدِ الغَزال؛
وهُناكَ بَحْرٌ مَخْفِيٌّ تَحْتَ القشّ، لا تَ◌َضَعْ عَلَيْهِ قَدَماً مِنَ الاِشتِباه؛
الاِشتِباهُ والظَّنُّ في داخِلِكَ، رَحْمَةُ الحَقِّ في الطَّريقِ تَهديك؛
كُلُّ رَسولٍ جاءَ لِلْعالَمِ فَرْداً، وَقَدْ كانَ فَرْداً دَليلُهُ الخَفِيُّ؛
عَمَلَ العالَمَ الكَبيرَ بِقُدْرَةِ السِّحْرِ، أوصَلَ نَفْسَهُ إلى أصْغَرِ نَقْشٍ؛
البُلَهاءُ قالوا ليسَ أكثَرَ مِنْ رَجُلٍ ، وَيْلٌ لِذاكَ الَّذي لا يُفَكِّرُ بالعاقِبَة؛

رؤيَةُ عُيونِ الحِسِّ صالِحاً ونَاقَةَ صالِحٍ حَقيرَيْن بلا نَصير، وحينَ أرادَ الحَقُّ أنْ يُهْلِكَ الجَيْشَ أظْهَرَ الخُصومَ في أعْيُنِهِمْ حَقيرينَ قليلين، رَغْمَ أنَّ ذلِكَ الخَصْمَ غالِبٌ *وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعولاً*

ناقَةُ صالِحَ كانَتْ بالصُّورَةِ ناقَةً، فَسَعى لِذَبْحِها مِنَ الجَهْلِ أولئكَ القَوم؛
وَحَيْثُ كانوا خُصوماً لَها مِنْ أجْلِ الماء، فقد كانوا عُميانَ خُبْزٍ وعُميانَ ماء؛
ناقَةُ اللهِ كانَتْ تَشْرَبُ الماءَ مِنَ الجَدْوَلِ والغَيْم، مَنَعوا ماءَ الحَقِّ عَنِ الحَقّ؛
ناقَةُ صالِحٍ مِثْلَ جِسْمِ الصَّالِحين، صارَتِ الكَمينَ لِهلاكِ الظَّالِمين؛
على تِلْكَ الأُمَّةِ مِنْ حُكْمِ مَوتٍ وأَلَمٍ، ما فَعَلَتْ *نَاقَةُ اللَّهِ وسُقْيَاهَا*؛
طَلَبَ جُنودُ القَهْرِ الإِلٰهِيِّ مِنْهُمْ، ثَمَنَ دَمِ النَّاقَةِ مَدينَةً كامِلَةً؛
الرُّوحُ مِثْلَ صالِحٍ والبَدَنُ هُوَ النَّاقَةُ، الرُّوحُ في الوَصْلِ والبَدَنُ في الفاقَة؛

روحُ صالِحٍ غَيْرُ قابِلَةٍ للآفات، فكانَ الجُرْحُ للنَّاقَةِ ولمْ يكُنْ لِلذَّات؛
لا يَجِدُ شَخْصٌ على قَلْبِهِمُ الظَّفَر، على الصَّدَفِ لا على الجَوْهَرِ يَقَعُ الضَّرَر؛
روحُ صالِحٍ غَيْرُ قابِلَةٍ للأذى، لا يَنَالُ نورَ اللهِ تعالى بالحيلَةِ الكُفَّار؛
مِنْ ذلِكَ اتَّصَلَ الحَقُّ بالجِسْمِ خِفْيَةً، ذاكَ ليؤذوهُ ولِيَرَوا الإمتِحان؛
جاهِلينَ أنَّ هذا الأذى أذىً لَهُ، ماءُ هذِهِ الجَرَّةِ مُتَّصِلٌ بماءِ الجَدْوَل؛
مِنْ ذلِكَ تَعَلَّقَ الإلٰهُ بِجِسْمٍ، كَيْ يَصيرَ مَلْجَأً لِجُمْلَةِ العالَمِ؛
فلتَكُنْ عَبْداً لِناقَةِ جِسْمِ الوَلِيِّ، لِتَكونَ مَعَ روحِ صالِحَ عَبْدَ السَّيِّد؛
قالَ صالِحُ بِما أنّكمْ قُمتُمْ بِهذا الحَسَدِ، بَعْدَ ثلاثَةِ أيَّامٍ تَصِلُ النِّقْمَةُ مِنَ الله؛
بَعْدَ ثلاثَةِ أيَّامٍ أُخْرى مِنْ قابِضِ الرُّوح، تَجيءُ آفَةٌ لها ثلاثُ علاماتٍ؛
لَونُ الوَجْهِ مِنْكُمْ جميعاً يصيرُ لَوناً آخَرَ، لَونٌ بِلَونٍ مُخْتَلِفٍ يجيءُ في النَّظَر؛
اليَومُ الأوَّلُ وَجْهُكُم كالزُّعْفُران، في الثَّاني وَجْهُكُم أحْمَرُ كالأُرغوان؛
في الثَّالِثِ تَصيْرُ جَميعُ الوجوهِ سَوداءَ، مِنْ بَعْدِ ذلِكَ ينزِلُ بِكُمْ قَهْرُ الإله؛
إنْ أرَدْتُمُ العلامَةَ مِنِّي على هذا الوَعيد، فَصيلُ النَّاقَةِ رَكَضَ إلى جِهَةِ الجَبَل؛
إنْ قَدَرْتُمْ على الإمساكِ بِهِ فَثَمَّةَ حيلَةٌ، وإلَّا فَطَائرُ الأمَلِ أفْلَتَ مِنَ الشِّباك؛
ما استَطاعَ شَخْصٌ الوُصولَ إلى ذلِكَ الفَصيل، لَقَدْ ذَهَبَ في الجِبالِ واختَفى؛
قالَ رأيتُمْ ذاكَ القَضاءُ صارَ مُبْرَماً، صورَةُ الأمَلِ صارَتْ مَقْطوعَةَ الرَّأس؛
ما فَصيلُ النَّاقَةِ إنَّهُ خاطِرُهُ، لِتقوموا بِرِعايَةِ إحسانِهِ وَبِرِّهِ؛
فإنْ اطْمَأنَّ قَلْبُهُ نَجَوتُمْ مِنْ ذلِكَ، وإلَّا فلا أمَلَ لكُمْ وَعَضُّوا سواعِدَكُم؛
حينَ سَمِعوا هذا الوَعيدَ المُنْكَدِر، جَعَلوا عُيونَهُمْ في تَرَقُّبِ المُنْتَظِر؛
في اليَومِ الأوَّلِ رأوا وُجوهَهُمْ صَفْراءَ، أطلَقوا الآهاتِ الواهِنَةَ مِنَ اليَأس؛
في اليَوْمِ الثَّاني صارَتْ وُجوهُ الجَميعِ حَمْراءَ، ضاعَتْ فُرْصَةُ الأمَلِ والتَّوبَة؛
في اليَوْمِ الثَّالِثِ صارَتْ وُجوهُ الجَميعِ سَوداءَ، حُكْمُ صَالِح صَدَقَ بلا مَلْحَمَة؛

لَمَّا صارَ الجَميعُ في اليأسِ يَضْرِبونَ الرَّأس، أقْبَلوا كالطُّيورِ على الرُّكَب؛
نَزَلَ جِبْريلُ على النَّبِيِّ الأمين، بِشَرْحِ وَضْعِ الرُّكَبِ هذا *جاثِمين*؛
ضَعْ الرُّكْبَةَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتي عُلِّمْتَ، مِنْ مِثْلِ وَضْعِ الرُّكَبِ هذا خُوِّفْتَ؛
صاروا مُنْتَظِرينَ ضَرْبَةَ القَهْر، جاءَ القَهْرُ فأحالَ تِلْكَ المَدينَةَ عَدَماً؛
صالِحُ مِنَ الخَلْوَةِ ذَهَبَ نَحْوَ المَدينَةِ، رأى المَدينَةَ بينَ الدُّخانِ والنَّفْط؛
مِنْ أجزائِهِمْ كانَ يسْمَعُ الأنين، النَّوحُ ظاهِرٌ مِنْ نائحينَ مُختَفين؛
مِنْ عِظامِهِمْ سَمِعَ النُّواحَ، الدَّمْعُ ينسَكِبُ مِنْ شُجونِهِم كالطِّلَل؛
صالِحُ سَمِعَ ذاكَ وراحَ في البُكاءِ، وَشَرَعَ بالنّواحِ على النَّائحين؛
قالَ يا قَومِ عِشْتُمْ بالباطِلِ، حَتّى بَكَيْتُ مِنْكُمْ أمامَ الحَقّ؛
قالَ لي الحَقُّ اصْبِرْ على جَوْرِهِم، عِظْهُمْ فلم يبقَ إلَّا القَليلُ مِنْ بُعْدِهِم؛
صارَ لِنُصحي لَكُمْ قَيْدٌ مِنَ الجَفاء، لَبَنُ النُّصْحِ يفُوْرُ مِنَ الحُبِّ وَمِنَ الصَّفاء؛
لِكَثْرَةِ ما كانَ مِنْكُمْ مِنَ الجَفاءِ في حَقِّي، جَمَدَ لَبَنُ النَّصيحَةِ في عُروقي؛
ثُمَّ عُدْتُ بالنَّصيحَةِ لَكُمْ مِنْ جَديدٍ، وقُلْتُ لَكُمُ الأمثالَ والأحاديثَ كالسُّكَّر؛
حَرَّكْتُ اللَّبَنَ الطَّرِيَّ بالسُّكَّر، مَزَجْتُ اللَّبَنَ والشَّهْدَ بالحَديث؛
فَصارَ ذلِكَ الحديثُ فيكُمْ كالسُّمّ، لِأنَّكُم كُنْتُم مَوطِنَ السُّمِّ في الجَذْرِ والجِذْع؛
كَيْفَ أكونُ مَغْموماً صارَ الغَمُّ مَقلوباً، لَقَدْ كُنْتُم أنتُم الغَمَّ أيُّها القَومُ الحُزُنُ؛
على مَوتِ الغَمِّ ما ناحَ شَخْصٌ، إذا زالَ جُرْحُ الرَّأسِ لا يَنْزَعُ الشَّعْرَ شَخْصٌ؛
اتَّجَهَ إلى النَّفْسِ وقالَ أي نائحُ، إنَّ أولئكَ النَّفَرَ لا يستَحِقُّونَ نَوْحَكَ؛
فلا تَقْرَأْ عِوَجاً أيُّها القارِئُ الصَّادِقُ المُبين، *كَيْفَ آسى* قُلْ *لِقَومٍ ظالِمين*؛
ثانِيَةً وَجَدَ البُكاءَ في العَيْنِ والقَلْب، رَحْمَةٌ مِنْهُ بلا عِلَّةٍ انْبَعَثَتْ مِنَ القَلْب؛
أمْطَرَ القَطْرَةَ وَقَدْ صارَ حَيْراناً، قَطْرَةً بلا عِلَّةٍ مِنْ بَحْرِ الجود؛
كانَ عَقْلُهُ يقولُ علامَ البُكاءُ، أعَلى مِثْلِ هؤلاءِ الظَّالِمينَ البُكاء؛

علامَ تَبكي قُلْ أعلى فِعْلِهِمْ، على جَماعَةِ الحِقْدِ مِنْ كُلِّ سَيِّئٍ طالعٍ؛
على قَلْبِهِمُ المُظْلِمِ المليءِ بالصَّدَأ، أمْ على لِسانِهِمُ المَسْمومِ كَلِسانِ الأفْعى؛
أمْ على نَفَسِ وأسنانِ الكِلابِ لَهُمْ، أمْ على أفواهِهِم وعُيونِهِم كبيوتِ العَقارِب؛
على عِنادِهِمْ واستِهْزائِهِمْ وَظُلْمِهِم، كُنْ شاكِراً فِعْلَ الحَقِّ في حَبْسِهِم؛
أيادِيهِمْ أرجُلُهُمْ عُيونُهُمْ عَوجاءُ، حُبُّهُم صُلْحُهُمْ غَضَبُهُمْ أعْوَج؛
وِفْقَ التَّقْليدِ وَمَعْقولاتِ النَّقْل، وَضَعوا القَدَمَ على جمالِ شَيْخِ العَقْل؛
ما كانوا شُراةَ الشَّيْخِ بَلْ حَميراً شاخَتْ، كُلٌّ يُرائي سَمْعَ وَبَصَرَ الآخَر؛
مِنَ الجَنَّةِ جاءَ اللهُ تَعالى بِعِبادٍ ، لِيُرِيَهُمُ الَّذينَ يُرَبَّونَ في سَقَر؛

في مَعْنى مَرَجَ البَحْرَيْنِ يلتَقيان بينَهُما بَرْزَخٌ لا يبغيان

أُنْظُرْ أهْلَ النَّارِ والخُلْدِ في صَعيدٍ واحِدٍ، بينَهُما بَرْزَخٌ لا يبغيان؛
أهْلُ النَّارِ وأهْلُ النُّورِ مُزِجا، وأُقيمَ بينَهُما جَبَلُ قاف؛
كما اختَلَطَ في المَنْجَمِ التُّرابُ والذَّهَبُ، وبينَهُما مِئَةُ صحراءَ ورِباط؛
مِثْلَ العِقْدِ يكونُ فيهِ الدُّرُّ والشَّبَهُ، مُخْتَلِطانِ كَضِيفانِ لَيْلَةٍ؛
البَحْرُ نِصْفُهُ عَذْبٌ كأنَّهُ السُّكَّرُ، طَعْمٌ عَذْبٌ وَلَوْنٌ مُنيرٌ كَالقَمَر؛
والنِّصْفُ الآخَرُ مُرٌّ كسُمِّ الأفعى، طَعْمٌ مُرٌّ ولونٌ مُظْلِمٌ كالقير؛
يَضرِبانِ بَعْضَهُما مِنْ تَحْتٍ وَمِنْ أَوج، على مِثالِ ماءِ البَحْرِ مَوجٌ مَوج؛
يتَضارَبانِ صُورَةً مِنْ ضيقِ الجِسْم، اختِلاطُ الأرواحِ في صُلْحٍ وَحَرْبٍ؛
أمواجُ الصُّلْحِ تَتَضارَبُ، الأحْقادَ مِنَ القُلوبِ تَقْتَلِعُ؛
أمواجُ الحَرْبِ على شَكْلٍ آخَر، تَجْعَلُ الحُبَّ أعلاها وأسْفَلَها؛
حُبَّاً يَسْحَبُ المُرَّ لِلْعَذْبِ، لِأَنَّ أصْلَ كُلِّ حُبٍّ الرَّشَد؛
والقَهْرُ يَحْمِلُ العَذْبَ إلى المُرّ، المُرُّ مَعَ العَذْبِ أيْنَ يتواءمان؛

المُرُّ والعَذْبُ بِهذا النَّظَرِ لا يظْهَران، مِنْ كُوَّةِ العاقِبَةِ يُرَيان؛
صَحيحَةُ رُّؤيَةٍ العَيْنُ ناظِرَةُ الأُخْرى، ناظِرَةٌ بالغُرورِ والخَطَأِ العَيْنُ الأُخْرى؛
أيْ كَمْ مِنْ حُلْوٍ كانَ كأنَّهُ السُّكَّرُ، لكِنَّ السُّمَّ كانَ مُضْمَراً بالسُّكَّر؛
ذلِكَ الأذكى يَعْرِفُهُ بالرَّائِحَةِ، وآخَرُ يَعْرِفُهُ بِوَضْعِهِ على الشِّفاهِ والأسنان؛
فتَرُدُّهُ شَفَتُهُ قَبْلَ حَلْقِهِ، رَغْمَ أنَّ الشَّيطانَ صارِخٌ كُلوا؛
وَذاكَ آخَرُ وَجَدَهُ في حَلِقِهِ، وذلِكَ آخَرُ يُحْدِثُ لَهُ السُّوءَ في بَدَنِه؛
وَذاكَ آخَرُ يُحْدِثُ لَهُ حَرْقَةً بالحَدَثِ، وَذاكَ ذاقَهُ فأحْدَثَ لَهُ جُرْحاً بالكَبِدِ؛
وَذاكَ آخَرُ مِنْ بَعْدِ أيَّامٍ وَشُهُور، وَذاكَ آخَرُ بَعْدَ المَوتِ مِنْ قَعْرِ القَبور؛
وَلَو أعطاهُ المُهْلَةَ في قَعْرِ القُبور، لا بُدَّ أنَّ ذاكَ يكونُ ظاهِراً يَومَ النُّشور؛
وكُلُّ نباتٍ في العالَمِ وَسُكَّرِيٍّ، أُعْطِيَ مِنْ دَوْرِ الزَّمانِ مُهْلَةً؛
سِنينَ تَجِبُ في الكَوْنِ تَحْتَ الشَّمْس، لِيَجِدَ اللَّونَ والضِّياءَ والبَريقَ الياقوتُ؛
تَبْلُغُ الخُضَرُ النُّضْجَ في شَهْرَيْن، وَيَصِلُ الوَرْدُ الأحْمَرُ للنُّضْجِ في عام؛
مِنْ أجْلِ هذا أمَرَ الحَقُّ عَزَّ وَجَلَّ، في سورَةِ الأنعامِ بِذِكْرِ الأجَل؛
سَمِعْتَ هذا فَكُنْ شَعْرَةً بِشَعْرَةٍ أُذُناً، شَرِبْتَ ماءَ الحياةِ فَلْيُهْنِكَ الشَّراب؛
أدْعُهُ ماءَ الحَياةِ لا تَدْعُهُ كلاماً، أُنْظُرِ الرُّوحَ الجَديدَةَ في بَدَنِ الحَرْفِ القَديم؛
واستَمِعْ إلى مَعْنىً آخَرَ أيْ رَفيق، إنَّهُ مِثْلَ الرُّوحِ صَعْبٌ وَدَقيق؛
فَفي مقامٍ يكونُ سُمُّ الحَيَّةِ هذا، مِنْ تَصاريفِ الإلٰهِ عَذْبَ المَذاق؛
في مقامٍ سُمٌّ وفي مكانٍ دواءٌ، في مَقامٍ كُفْرٌ وفي مَكانٍ مُباحٌ؛
رَغْمَ أنَّ فيهِ أذِيَّةً للروحِ، حينَ وَصَلَ إلى هُنا صارَ دواءً؛
الماءُ في الحصْرَم كانَ حامِضاً لكِنْ، لَمَّا وَصَلَ إلى العِنَبِ صارَ عَذباً وحُلواً؛
ثُمَّ إذا صارَ في الدَّنِّ صارَ مُرَّاً وَحَراماً ، وفي مَقامِ الخَلِّ نِعْمَ الإدام؛

في مَعْنى أنَّهُ لا يليقُ بالمُريدِ فِعْلُ ذلِكَ الَّذي يَفْعَلُهُ الوَلِيُّ وأنْ يَتَجَرَّأَ ويَقومَ بِالفِعْلِ عَيْنِهِ، فالحَلوى لا تؤذي الطَّبيبَ لكِنَّها تُؤذي المَريض، والبَرْدُ والثَّلْجُ لا يَضُرَّانِ العِنَبَ ولكِنَّهُما يَضُرَّانِ الحِصْرَم لأنَّهُ في الطَّريق وذلِكَ *لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ*

إذا شَرِبَ الوَلِيُّ السُّمَّ صارَ تِرْياقاً، وإذا شَرِبَهُ الطَّالِبُ كانَ خَراباً أسوَدَ؛ *رَبِّ هَبْ لي جاءَتْ مِنْ سُلَيمان*، ولا تُعْطِ غَيري هذا المُلْكَ وهذِهِ القُدْرَةَ؛ لا تَعْمَلْ لِغَيري هذا اللُّطْفَ وهذا الجود، هذا كأنَّهُ الحَسَدُ لكِنَّهُ ليسَ بِذاك؛ فاقْرَأْ نُكْتَةَ *لا ينبغي* بالرُّوح، ولا تَعْتَبِرْ سِرَّ مِنْ بَعْدي بُخلاً؛ بَلْ إنَّهُ رأى في المُلْكِ مِئةَ خَطَرٍ، مُلْكُ الدُّنيا خَطَرٌ على الرَّأسِ شَعْرَةً بِشَعْرَةٍ؛ خَطَرٌ على الرَّأسِ مَعَ خَطَرٍ على السِّرِّ مَعَ خَطَرٍ على الدِّين، لا امتِحانَ كَهذا؛ فَقَدْ وَجَبَتْ هِمَّةٌ لِسُلَيْمانَ كَي، يَعْبُرَ مِنْ مِئةِ ألفِ لَوْنٍ ورائحَةٍ؛ مَعَ مِثْلِ تِلْكَ القُوَّةِ الَّتي كانَتْ لَهُ، كانَ مَوجُ ذاكَ المُلْكِ يَقْطَعُ مِنْهُ النَّفَس؛ وحينَ جاءَ عَلَيْهِ الغُبارُ مِنْ هذا الغَمِّ، تَرَحَّمَ على كُلِّ مُلوكِ العالَم؛ صارَ شَفيعاً وقالَ هذا المُلْكَ الَّذي أعْطَيتَني واللِّواءَ، أعْطِهِما لِكامِلٍ؛ كُلُّ مَنْ تُعطيهِ وَتَصْنَعُ لَهُ ذلِكَ الكَرَمَ، سُلَيمانُ وذلِكَ الشَّخْصُ هُوَ أيضاً أنا؛ هُوَ لا يكونُ بَعْدي هُوَ يكونُ مَعي، وما تَكونُ مَعي إنَّها تكونُ أنا بلا دَعوى؛ شَرْحُ هذا قَولُهُ فَرْضٌ لكِنَّني ، عُدْتُ مِنْ جَديدٍ لِقِصَّةِ الرَّجُلِ والمَرْأة؛

مَخْلَصُ قِصَّةِ الأعرابيِّ وَزَوجَتِه

قِصَّةُ الرَّجُلِ والمَرْأةِ لها مَخْلَصٌ، يَبْحَثُ عَنْ باطِنِ مُخْلِصٍ؛ قِصَّةُ الرَّجُلِ والمَرْأةِ وَقَعَ لها النَّقْلُ، اعْتَبِرْها مِثالاً على النَّفْسِ والعَقْل؛

المَرْأةُ والرَّجُلُ هُما النَّفْسُ والعَقْلُ، لازِمانِ بِحُسْنٍ لأجْلِ الخَيْرِ والشَّرّ؛
هذانَ اللّازِمانِ في دَارِ التُّراب، النَّهارَ واللَّيْلَ في جِدالٍ وفي حِراب؛
المَرْأَةُ دائماً تَطْلُبُ وَسائلَ البَيْت، يعني الإعْتِبارَ والخُبْزَ والضِّيافَةَ والجاه؛
النَّفْسُ كالمَرْأةِ في طَلَبِ الوسائل، حيناً تُرابِيَّةٌ وحيناً عَظيمَةٌ؛
العَقْلُ ذاتُهُ غَيْرُ واعٍ لِهذِهِ الأفكار، ليسَ في دِماغِهِ غَيْرُ غَمِّ الله؛
رَغْمَ أنَّ هذا سِرُّ القِصَّةِ حَبَّةً وَشِباكاً، صورَةَ القِصَّةِ اسْمَعِ الآنَ بالتَّمام؛
لو كانَ البيانُ المَعْنَوِيُّ كافِياً، كانَ خَلْقُ العالَمِ عاطِلاً وباطِلاً؛
إذا كانَتِ المَحَبَّةُ عِنْدَكَ فِكْرَةً وَمَعْنىً، فَصُورَةُ الصَّلاةِ والصَّومِ مِنْكَ عَدَمٌ؛
هدايا الأصْدِقاءِ الواحِدُ للآخَرِ، لَيْسَتْ في الصَّداقَةِ إلّا صُوَراً؛
لِتَكونَ الهَدايا شاهِدَةً، على المَحَبَّةِ المُضْمَرَةِ في الخَفاء؛
ذلِكَ أنَّ الإحسانَ الظّاهِرَ شاهِدٌ، على المَحَبَّةِ المُسْتَتِرَةِ أيْ عَظيم؛
شاهِدُكَ حيناً صادِقٌ وحيناً كاذِبٌ، والسُّكْرُ حيناً مِنْ خَمْرٍ وحيناً مِنْ مَخيض؛
المَخيضُ المَشروبُ حيناً يُظْهِرُ السُّكْرَ، ويُحْدِثُ ضوضاءَ وثِقلاً بالرَّأس؛
وذاكَ مُراءٍ في صِيامٍ وفي صلاةٍ، لِيَحْصَلَ الظَّنُّ أنَّهُ سكرانُ الولاء؛
الحاصِلُ أفعالُ الظّاهِرِ مُخْتَلِفَةٌ، لِتَكونَ إشارَةً على ذلِكَ الَّذي هُوَ مُضْمَر؛
يا ربِّ ذلِكَ التَّمييزَ أعْطِنا بِمَشيئتِك، لِنُمَيِّزَ الدَّليلَ الأعْوَجَ مِنَ المُستقيم؛
ولِلْحِسِّ تَمييزٌ أتَدري متى يكون، يكونُ حينَ يكونُ الحِسُّ ينظُرُ بنورِ الله؛
وإنْ لَمْ يكُنْ أثَرٌ فالسَّبَبُ أيضاً مُظْهِرٌ، كما النَّسَبُ عَنِ المَحَبَّة مُخْبِرٌ؛
ذاكَ الَّذي نورُ الحَقِّ صارَ لَهُ إماماً، لا يكونُ للأثَرِ أو للأسبابِ غُلاماً؛
المَحَبَّةُ أوقَدَتْ في داخَلِهِ شُعْلَةً، فَمَلأتْهُ وَجَعَلَتْهُ فارِغاً مِنَ الأثَر؛
وَلَمْ تَكُنْ بِهِ حاجَةٌ لإعلانِ المَحَبَّةِ، لِأنَّ المَحَبَّةَ سَطَعَ نورُها فَوقَ الفَلَك؛
وَثَمَّةَ تَفاصيلُ لِكَيْ يصيرَ تماماً، هذا الحديثُ، لكِنْ ابْحَثْ أنْتَ والسَّلام؛

رَغْمَ أنَّ المَعْنى ظَهَرَ في هَذِهِ الصُّورَةِ، الصُّورَةُ مِنَ المَعْنى قَريبَةٌ وبَعيدَةٌ؛
هُما في الدّلالَةِ مِثْلَ الماءِ والشَّجَرَة، وإنْ ذَهَبْتَ للماهِيَّةِ شتَّانَ ما بينَهُما؛
فَقُلْ بِتَرْكِ الماهِيَّاتِ والخاصِّيَّاتِ ، وقُمْ بِشَرْحِ أحوالِ ذَيْنِكَ الجَميلَينِ كَقَمَرَين؛

خُضوع الأعرابي لالتِماسِ محبوبَتِه وَحَلْفُهُ اليَمينَ أنَّ هذا التَّسليمَ ليسَ تَسليمَ حيلَةٍ أو امتِحان

قالَ الرَّجُلُ الآنَ عَفَوتُ عَنِ الخِلاف، الحُكْمُ لَكِ جَرِّدي السَّيفَ مِنَ الغِلاف؛
أنا أنْفُذُ كُلَّ ما تقولينَ، لا أنظُرُ انتهى سيِّئاً أمِ انتهى حَسَناً؛
سَوفَ أصيرُ في وجودِكَ المُنْعَدِم، أنا المُحِبُّ والحُبُّ يُعْمي ويُصِمّ؛
قالَتِ المَرْأَةُ أعَزَمْتَ على بِرِّي، أمْ بالحيلَةِ ترومُ كَشْفَ سِرِّي؛
قالَ واللهِ عالِمِ السِّرِّ الخَفِيِّ، الَّذي خَلَقَ مِنَ التُّرابِ آدَمَ الصَّفِيّ؛
أعطاهُ قالَباً مَنْ ذِراعَينِ أو ثلاث، أظْهَرَ لهُ فيهِ كُلَّ ما في الألْواحِ والأرواح؛
كُلَّ ما هُوَ كائنٌ إلى الأبَدِ، دَرَّسَهُ إيَّاهُ قَبْلُ مِنْ *عَلَّمَ الأسماء*؛
صارَ المَلَكُ غائباً عَنِ النَّفْسِ مِنْ تَدْريسِه، وَوَجَدَ قُدْساً آخَرَ مِنْ تَقديسِه؛
ذلِكَ الفَتْحُ الَّذي ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ آدم، لَمْ يَكُنْ في فَتْحِ السَّماواتِ لَهُم؛
في وُسْعَةِ عَرْصَةِ طاهِرِ الرُّوحِ ذاكَ، ضاقَتْ عَرْصَةُ السَّمٰواتِ السَّبْعِ؛
قالَ النَّبِيُّ أنَّ الحَقَّ قالَ، لا يَسَعُني شَيءٌ عُلْوِيٌّ أو سُفْلِيٌّ؛
لا تَسَعُني الأرْضُ والسَّماءُ ولا العَرْشُ، اِعْلَمْ هذا يقيناً أيْ عَزيز؛
قلْبُ المؤمِنِ يسَعُني أي عَجَباً، إنْ كُنْتَ تَبْحَثُ عنّي اطْلُبْني في تِلْكَ القُلوب؛
قالَ أُدْخُلْ في عِبادي تَلْتَقي جَنَّةً في رؤيتي يا مُتَّقي
العَرْشُ بِذلِكَ النُّورِ فيهِ والاِتِّساع، حينَ رأى ذلِكَ أضاعَ نَفْسَه؛
عَظَمَةُ العَرْشِ نَفْسُها عَظيْمَةٌ مَديدَةٌ، لكِنِ الصُّورَةُ ما تَكونُ إذا وَصَلَ المَعْنى؛

كُلُّ مَلَكٍ كانَ يقولُ مِنْ قَبْلِ هذا، كانَ لنا أُلْفَةٌ بتُرابِ الأرْض؛
كُنَّا نَزْرَعُ بِذْرَةَ الخِدْمَةِ في الأرْض، وكانَ عِنْدَنا العَجَبُ مِنْ ذلِكَ التَّعَلُّق؛
أنْ ما هذا التَّعَلُّقُ مِنَّا بِهذا التُّراب، ما دامَ خَلْقُنا كانَ مِنَ السَّماء؛
ما أُلْفَتُنا نَحْنُ الأنوارَ مَعَ الظُّلُمات، كيفَ يُمكِنُ أنْ يحيا النُّورُ مَعَ الظُّلُمات؛
أي آدَمُ تِلْكَ الأُلْفَةُ كانَتْ مِنْ عَبيرِك، ذلِكَ أنَّ التُّرابَ كانَ طينَةَ جَسَدِك؛
جِسْمَكَ التُّرابيُّ ها هُنا نَسَجوه، نورَكَ الطَّاهِرَ ها هُنا وَجَدوه؛
هذا الَّذي وَجَدَتْهُ روحُنا مِنْ روحِكَ، قَبْلَ قَبْلِ التُّرابِ كانَ يُشِعّ؛
كُنَّا في الأرْضِ غافِلين عَنِ الأرْضِ، غافِلين عَنِ الكَنْزِ الَّذي كانَ دَفينَ الأرْض؛
عَنْ ذلِكَ المقامِ حينَ أُمِرْنا بالرَّحيل، فَمُنا صارَ مُرَّاً مِنْ ذلِكَ التَّحويل؛
ورُحْنا بالحُجَجِ جَميعاً ناطَقين، مَنْ سيحُلُّ مَحَلَّنا يا رَبَّ العالَمين؛
نورَ هذا التَّسبيحِ وهذا التَّهليل، تَتْرُكُ مِنْ أجْلِ القالِ والقيل؛
حُكْمُ الحَقِّ بَسَطَ لنا البِساط، أنْ قولوا مِنْ طَريقِ الاِنبِساط؛
فكُلُّ ما جاءَ على لِسانِكُمْ بلا حَذَر، أنتُمْ كالأطفالِ الوَحيدينَ مَعَ الأبّ؛
ذلِكَ أنَّ هذِهِ الأنفاسَ إنْ كانَتْ غَيْرَ لائقَة، رَحْمَتي أيضاً على غَضَبي سابِقَة؛
وَهذا السَّبْقُ مِنْ أجْلِ الإظْهارِ أيْ مَلَك، وَوَضَعْتُ فيكُمْ داعِيَةَ الإشكالِ والشَّكّ؛
لِتقولوا ولا آخُذُكُمْ بِما قُلْتُمْ، مُنْكِرُ حِلْمي لَمْ يجِئْ بِحَديث؛
مِئةُ أبٍ مِئةُ أُمٍّ تَحْتَ حِلْمِنا، يُولَدونَ كُلَّ نَفَسٍ ويَفنون؛
حِلْمُهُمْ زَبَدُ بَحْرِ حِلْمِنا، الزَّبَدُ يروحُ ويجيءُ والبَحْرُ في المَكان؛
ما أقولُ وهذا الصَّدَفُ أمامَ ذاكَ الدُّرِّ، ليسَ إلَّا زَبَدَ زَبَدِ زَبَدِ الزَّبَد؛
حَقٌّ ذلِكَ الزَّبَدِ حَقُّ ذلِكَ البَحْرِ الصَّافي، هذا الحَديثُ ليسَ امتِحاناً وَلا جُزافاً؛
إنَّهُ مِنَ المَحَبَّةِ والصَّفاءِ والخُضوع، حَقُّ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي لي إليهِ رُجوع؛
إذا كانَ هذا الهَوَسُ عِنْدَكِ امتِحاناً، اِمْتَحِني هذا الاِمتِحانَ نَفَساً واحِداً؛

لا تُخْفي السِّرَّ كَي يظْهَرَ سِرِّي، مُريني بِكُلِّ ما أَقْدِرُ عَلَيْه؛
لا تُغَطِّي قَلْبَكِ لِيَظْهَرَ قلبي، لِأَقبَلَ كُلَّ ما أنا لَهُ قابِلٌ؛
ما أَفْعَلُ ما الحيلَةُ في يَدي، أُنْظُري لِتَجِدَ روحي الشُّغْل؛

تَعيينُ المَرْأةِ طَريقَ طَلَبِ الرِّزْقِ لِزَوجِها وقَبولُهُ إيَّاه

قالَتِ المَرْأَةُ إنَّ شَمْساً واحِدَةً سَطَعَتْ، فَوَجَدَ عالَمٌ مِنْها الضِّياء؛
نائبُ الرَّحْمَنِ خليفَةُ الفَعَّال، مَدينَةُ بَغْدادَ مِنْهُ كالرَّبيع؛
لَو اتَّصَلْتَ بِذلِكَ الملِكِ صِرْتَ مَلِكاً، فإلى كم تُولِّي مُدْبِراً؛
إنَّ مُجالَسَةَ المُقبِلينَ كالكيمياء، أَنْفُسُهُمْ ما تَكونُ إذا كانَ نَظَرُهُمْ كيمياء؛
نَظَرُ أَحْمَدَ وَقَعَ على أبي بَكْر، هُوَ مِنْ تَصْديقٍ واحِدٍ صارَ صِدِّيقاً؛
قالَ كَيفَ أكونُ قابِلاً لأصيرَ إلى مَلِكٍ، وكيفَ أَذْهَبُ إليهِ ولا حُجَّةَ مَعي؛
فقد وَجَبَ أنْ تكونَ لي نِسْبَةٌ أو حيلَةٌ، لا صَنْعَةَ تكونُ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ؛
كَمِثْلِ ذاكَ المَجنونِ الَّذي سَمِعَ مِنْ واحِدٍ، أنَّ مَرَضاً يسيراً أَلَمَّ بِليلى؛
قالَ آهِ كيفَ أَذْهَبُ بلا ذَريعَةٍ، وإنْ قَعَدْتُ عَنِ العيادَةِ كيفَ أكون؛
ليتني كُنْتُ طبيباً حاذِقا   كُنْتُ أمشي نَحْوَ ليلى سابِقا؛
قُلْ تعالَوا قالَ لنا الحَقُّ اِعْلَمْ، لِتَكونَ إشارَةً لنا لِكَسْرِ الخَجَل؛
لو كانَ للخفافيشِ نَظَرٌ وآلَةٌ، كانَ لها في نَهارِها جَوَلانٌ وَسَعادَةٌ؛
قالَتْ حينَ شاهُ الكَرَمِ يَذْهَبُ في الميدان، عَيْنُ كُلِّ غَيْرِ ذي آلَةٍ تَصيرُ آلَةً؛
ذلِكَ أنَّ الآلَةَ تكونُ دعوى وتكونُ وجوداً، والأمْرُ بِنَفْيِ الآلَةِ وَقَصْرِ النَّظَر؛
قالَ متى أجِدُ النَّفْعَ مِنْ نَفْيِ الآلَةِ، ما دُمْتُ لا أجِدُ السَّبيلَ لِنَفْيِ الآلَة؛
بَلْ يلزمُني إعلانٌ عَنْ إفلاسي، ليقومَ مَلِكي بِرَحْمَتي أو إيناسي؛
فقُمْ بالإعلانِ بلا ظاهِرِ قَوْلٍ أو حديثٍ أو لَونٍ، ليقومَ بِرَحْمَتِكَ المَلِكُ الرَّحيم؛

فَهذا الإعلانُ الَّذي كانَ مِنَ القَوْلِ أوِ اللَّون، جَرْحٌ عِنْدَ قاضي القُضاةِ ذاك؛
الصِّدْقُ يطلُبُ شاهِداً مِنْ حالِهِ، حتَّى يُشِعَّ نورُهُ بلا قالِهِ؛

حَمْلُ الأعرابيِّ كوزاً مِنْ ماءِ المَطَر مِنْ وَسَطِ الباديةِ
إلى بَغْدادَ إلى الخَليفَة بِظَنِّ أنَّ هُناكَ قُحْطٌ بالماءِ أيضاً

قالَتِ المَرْأةُ الصِّدْقُ أنْ تَنْهَضَ طاهِراً، مِنْ وجودِ نَفْسِكَ ومِنْ مَجهودِ نَفْسِك؛
إنَّ عِنْدَنا ماءَ مَطَرٍ في الكوز، هُوَ مُلْكُكَ ورأسُ مالِكَ وأسبابُكَ؛
فَخُذْ هديَّةً هذا الكوزَ مِنَ الماءِ، واحْمِلْهُ واذْهَبْ بِهِ إلى مَلِكِ المُلوك؛
قُلْ لَيْسَ لنا غيرَ هذا السَّبَبِ أسبابٌ، في هذِهِ المفازَةِ لا شَيءَ أفْضَلُ مِنَ الماء؛
وإنْ كانَتْ خزينَتُهُ مليئةً بالمتاعِ الفاخِرِ، لَنْ يكونَ لَهُ ماءٌ كهذا الماءِ فهوَ نادِر؛
فما هُوَ ذلِكَ الكوزُ إنَّهُ بَدَنُنا المَحصورُ، فيهِ ماءُ حواسِّنا المالِح؛
أي رَبِّ دَنُّنا هذا وكوزَنا، تَقَبَّلْ مِنْ فَضْلِ *إنَّ اللهَ اشتَرى*؛
كوزاً بِخَمْسِ مجارٍ خَمْسِ حواس، اِحْفَظْ هذا الماءَ طاهِراً مِنْ كُلِّ نَجَس؛
ليصيرَ مِنْ هذا الكوزِ مَنْفَذٌ إلى البَحْر، كي يأخُذَ كوزُنا طبيعَةَ البَحْر؛
احْمِلْ مِثْلَ هذِهِ الهَديَّةَ إلى السُّلطان، فيراها طاهِرَةً الشَّاهُ المُشتري؛
فيُصْبِحَ ماؤها بِعْدَ ذلِكَ بلا نِهايَةٍ، ويمتلِئُ مئةُ عالَمٍ مِنْ كوزنا؛
أغْلِقْ مَجاريَها واملأها مِنْ دَنٍّ، *قالَ غُضُّوا عَنْ هوا أبصارَكُم*؛
فامتَلأتْ لِحْيَتُهُ ريحاً إنَّها هَديَّةُ المُراد، ومِثْلُها حَقّاً يليقُ بِمِثْلِهِ مَلِكاً؛
المرأةُ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أنَّ دِجْلَةَ هُناكَ، يَمُرُّ جارياً ماؤهُ كالسُّكَّر؛
في المَدينَةِ نَهْرٌ جارٍ كأنَّهُ البَحْر، مِلؤهُ الزَّوارِقُ وصنَّاراتُ السَّمَك؛
اِذهَبْ إلى السُّلطانِ وانظُرْ المُعامَلَةَ، وانظُرْ حِسَّ تَجْري تَحْتَها الأنهار؛
مَثَلُ هذِهِ الحواسِّ والمُدْرِكاتِ مِنَّا، مَثَلُ قَطْرَةٍ في ذلِكَ النَّهْرِ للصَّفاء؛

كَيْفَ أحاطَتِ المَرْأةُ كوزَ ماءِ المَطَرِ بلُبَّادٍ وخاطَتْهُ
وَخَتَمَتْ عَلَيْه وذلِكَ مِنْ غايَةِ اعتِقادَ العَرَب

قالَ الرَّجُلُ أجَلْ أغلِقي الجَرَّةَ، حقَّاً إنَّها هَديَّةٌ لنا نافِعَة؛
غَلِّفي الكوزَ بغلافٍ مِنَ اللُّبَّادِ مِنْ حَولِهِ، ليبدَأَ المَلِكُ إفطارَ صومِ يومِهِ بالهَدِيَّةِ؛
فلا نَظيرَ لِهذِهِ تَحْتَ كُلِّ الآفاقِ، إلَّا أنْ يكونَ رحيقُ وأصْلُ ما طابَ للأذواق؛
ذلِكَ أنَّهُمْ مِنَ المياهِ المالِحَةِ والعَكِرَةِ، دائماً يُصابونَ بالعِلَلِ وتعشى أبصارُهُم؛
الطَّائرُ الَّذي مَسْكَنُهُ الماءُ المالِحُ، أيُّ عِلْمٍ لَهُ بموضعِ الماءِ العَذْب؛
أيْ مَنْ تَحْتَ عَيْنٍ عَكِرَةٍ مَوضعُك، ما عِلْمُكَ عَنِ الشَّطِّ وجيحونَ والفُرات؛
أيْ مَنْ لَمْ تَتَحَرَّرْ مِنْ فاني الرِّباط، ما عِلْمُكَ بالسُّكْرِ والمَحْوِ والانْبِساط؛
وإنْ عَلِمْتَ نَقْلاً عَنْ أبٍ وَجَدٍّ، فإنَّ أسماءَها أمامَكَ حُروفٌ أبجَدِيَّةٌ؛
أبْجَدُ وَهَوَّزُ مَعْناها بَعيدٌ جِدَّاً، وإنْ تَكُنْ لِجَميعِ الأطفالِ فاشيَةً وظاهِرَةً؛
ثُمَّ حَمَلَ الكوزَ ذلِكَ الرَّجُلُ الأعرابِيُّ، وَجَدَّ في السَّفَرِ يحمِلُهُ النَّهارَ واللَّيل؛
كانَ يرجُفُ خَوفاً على الكوزِ مِنْ آفاتِ الدَّهْر، يحملُهُ مِنَ البيداءِ حتَّى المدينَة؛
والمَرْأةُ في مُصَلَّاها تُرَدِّدُ مِنَ الافتِقار، *رَبِّ سَلِّمْ* جَعَلَتْهُ وِرْدَها في الصَّلاة؛
اِحْفَظْ ماءَنا مِنَ الأخِسَّاءِ يا رَبّ، أوصِلْ ذلِكَ الجَوْهَرَ إلى ذلِكَ البَحْر؛
رَغْمَ أنَّ زَوجي يَقِظٌ ومملوءٌ بالفَضْل، الجَوْهَرُ يُخشى عَلَيْهِ مِنْ آلافِ الأعداء؛
وما الجَوهَرُ عِنْدَهُ إنَّهُ ماءُ الكَوْثَر، إنَّ قَطْرَةً مِنْهُ كانَتْ أصْلَ الجَوْهَر؛
مِنْ دُعاءِ المَرْأةِ ومِنْ ضَراعَتِها، ومِنْ غَمِّ الرَّجُلِ وَمِنْ ثِقْلِ حِملِه؛
وَصَلَ سالِماً بِهِ مِنَ اللُّصوصِ وأذى الحِجارَةِ، إلى دارِ الخلافَةِ دونَ تأخير؛
فشاهَدَ عَتَبَةً مليئةً بالإنعام، وأهْلَ حاجاتٍ ناشِرينَ الشِّباك؛
لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ مِنْ كُلِّ جانِبٍ صاحِبُ حاجَةٍ، يجِدُ مِنْ ذلِكَ البابِ عطاءً وَخِلْعَةً؛

لِلْمَجوسِيّ والمؤمِنِ وَالحَسَنِ والقبيحِ، هُوَ كالشَّمْسِ والمَطَرِ لا بَلْ كالجَنَّة؛
رأى قَوماً مُزَّيَنين في النَّظَر، وقوماً آخَرينَ واقِفينَ بانتِظار؛
الخاصُّ والعامُّ مِنْ سُلَيمانَ إلى النَّمْل، عادوا كالعالَمِ أحياءَ مِنْ نَفْخِ الصُّور؛
أهْلُ الصُّورَةِ في جواهِرَ مَحيكَةٍ، أهْلُ المَعْنى وَجَدوا بَحْرَ المَعْنى؛
وذاكَ الَّذي بلا هِمَّةٍ صارَ ذا هِمَّةٍ ، وَمَنْ كانَ ذا هِمَّةٍ صارَ ذا نِعْمَةٍ؛

في بيانِ أنَّهُ بما أنَّ السَّائلَ عاشِقُ الكَرَمِ وعاشِقُ الكريمِ، كَرَمُ الكَريمِ أيضاً عاشِقُ السَّائل، فإذا كانَ صَبْرُ السَّائلِ أكْثَرَ أتى الكَريمُ إلى بابِه، وإنْ كانَ صبْرُ الكَريمِ أكثَرَ أتى السَّائلُ إلى بابِه، لكِنَّ صَبْرَ السَّائلِ كمالٌ وَصَبْرَ الكريمِ نُقصان

وجاءَ صَوتٌ أنْ أيُّها الطَّالِبُ أقْبِلْ، الجودُ مُحتاجُ السَّائلينَ كحاجَةِ السَّائل؛
الجودُ يبحَثُ عَنِ السَّائلينَ والضِّعاف، كالحسناواتِ يبحَثْنَ عَنْ مِرآةٍ صافِيَة؛
وجهُ الحِسانِ حُسْنُهُ ظاهِرٌ مِنَ المِرآة، وَجْهُ الإحسانِ مِنَ السَّائلِ صارَ ظاهِراً؛
بَعْدَ هذا قالَ الحَقُّ في *والضُّحى*، لا تَقُمْ بِنَهْرِ السَّائلِ أيْ مُحَمَّد؛
السَّائلُ مِرآةُ الجودِ فانتَبِهْ، النَّفَسُ في وَجْهِ المِرآةِ أذيَّةٌ؛
واحِدٌ يجْعَلُ السَّائلُ جودَهُ ظاهِراً، وآخَرٌ وَهَبَ السَّائلينَ مَزيداً؛
السَّائلونَ آيَةُ جودِ الحَقّ، أولئكَ الَّذينَ هُمْ مَعَ الحَقّ جودٌ مُطْلَقٌ؛
وذاكَ الَّذي هُوَ غَيرُ هذينِ الإثنَينِ مَيْتٌ، هُوَ ليسَ نَقْشاً على البابِ هُوَ حِجاب؛

الفَرْقُ بينَ ذلِكَ الَّذي هُوَ دَرويشُ الله وطَمآنُ الله
وبينَ ذلِكَ الدَّرويشِ مِنَ اللهِ وطَمآنُ غَيْرِ الله

إنَّهُ صُورَةُ دَرويشٍ وليسَ مِنْ أَهْلِ الخُبْزِ، لا تَرْمِ بالعَظْمِ إلى صورَةِ كَلْب؛
عِنْدَهُ فَقْرُ اللُّقْمَةِ لا فَقْرُ الحَقّ، لِصورَةِ مَيْتٍ لا تَقُمْ بِتَقْديمِ طَبَق؛
دَرويشُ الخُبْزِ سَمَكَةٌ أَرْضيَّةٌ، لها شَكْلُ سَمَكَةٍ لكِنَّها نافِرَةٌ مِنَ البَحْر؛
هُوَ طائرُ المَنْزِلِ لا طائرُ سيمورغ الهواء، أكَلَ الطَّعامَ لَمْ يأكُلْ مِنَ الله؛
إنَّهُ عاشِقُ الحَقّ مِنْ أجْلِ النَّوال، ليسَ ذا الرُّوحِ عاشِقَةِ الحُسْنِ والجَمال؛
إنَّهُ يتوهَّمُ أنَّهُ عاشِقُ الذَّات، والذَّاتُ ليسَتْ وَهْمَ الأسماءِ والصِّفات؛
الوَهْمُ مَخلوقٌ ومولودٌ، الحَقُّ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَد؛
عاشِقُ تَصويرِ وَهْمِ نَفْسِهِ، مَتى كانَ مِنْ عُشَّاقِ ذي المِنَن؛
عاشِقُ ذلِكَ الوَهْمِ لو كانَ صادِقاً، كانَ مجازُهُ ذاكَ صارَ حقيقَةً؛
بيانُ هذا الحديثِ يطلُبُ الشَّرْحَ، لكِنْ أخشى الأفهامَ السَّقيمَة؛
الأفهامُ السَّقيمَةُ لِقصيري النَّظَرْ، تأتي بِمِئَةِ خيالٍ رَديءٍ في الفِكَر؛
ما كُلُّ شَخْصٍ يَقْدِرُ على السَّماعِ الصَّحيح، التِّينُ ليسَ لُقْمَةَ كُلِّ طائرٍ صغير؛
خاصَّةً طائرٍ مَيِّتٍ عَفِنٍ، مملوءٍ بالخيالِ أعمىً بلا بَصَر؛
لِصُوْرَةِ السَّمَكِ ما البَحْرُ وما التُّرابُ، لِلَّونِ الهِنْديّ ما الصَّابونُ وما الزَّاج؛
الصُّورَةُ المَرْسومَةُ حَزينَةً على الوَرَق، لا خَبَرَ لها عَنِ الحُزْنِ وعَنِ الفَرَح؛
صورَةٌ حزينَةٌ راسِمُها فارِغٌ مِنْ ذلِكَ، وجْهُهُ ضاحِكٌ ولا شارَةَ عليهِ مِنْ ذلِك؛
الغَمُّ والسُّرورُ الخَفيَّانِ في القَلْبِ، عِنْدَ ذينِكَ الغَمّ والسُّرورِ ليسا سوى صُورَة؛
الصُّورَةُ الضَّاحِكَةُ رَسْمٌ مِنْ أجْلِكَ، ليكونَ المَعْنى مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ صَحيحاً؛
الرُّسومُ الموجودَةُ في هذِهِ الحَمَّاماتِ، اعتَبِرْها كأنَّها الثِّيابُ في الخارِج؛

ما دُمْتَ خارِجاً ترى الثِّيابَ فحَسْبُ، اِخْلَعِ الثِّيابَ وادخُلْ أي شَريكَ النَّفَس؛
ذاكَ لِأنَّهُ مَعَ الثِّيابِ لا طريقَ للدَّاخِل، البَدَنُ ثَوبُ الرُّوحِ لا عِلْمَ للثَّوبِ بالبَدَن؛

تَقَدُّم نُقَباء وحُجَّاب الخليفَة مِنْ أجْلِ إكرامِ الأعرابيّ وقبول هديَّتِه

عِنْدَما ذلِكَ الأعرابيُّ مِنَ البيداءِ النَّائيَةِ، وَصَلَ إلى بابِ دارِ الخِلافَة؛
تَقَدَّمَ النُّقَباءُ إلى أمامِهِ مُرَحِّبينَ، ورشُّوا على جَبينِهِ الكثيرَ مِنْ ماءِ اللُّطْف؛
حاجَتُهُ لهُم صارَتْ مَفْهومَةً بلا مقال، لأنَّ وَظيفَتَهُم كانَتِ العطاءَ قَبْلَ السُّؤال؛
قالوا لَهُ أي وَجْهَ العَرَبِ مِنْ أينَ جِئتَ، كيفَ أنتَ مِنَ الدَّرْبِ والعناءِ والتَّعَب؛
قلَ أنا وَجْهٌ إنْ أعْطيتموني الوجوه، وبلا وَجْهٍ إنْ وَلَّيتموني الظُّهور؛
أيْ مَنْ وُجوهُكُمْ عِنوانُ الرِّفْعَةِ، جمالُكُمْ أجْمَلُ مِنَ الذَّهَبِ الجَعْفَريّ؛
أي مَنْ لِقاءٌ مِنْكُمْ بِلِقاءات، أيْ مَنِ المالُ نِثارٌ لِدينِكُم؛
أيْ مَنْ جَميعُكُم ينظُرُ بنورِ الله، جِئتُمْ مِنْ قِبَلِ الحَقِّ لأجْلِ العطاء؛
لِتُلقوا بِتِلْكَ الكيمياءِ مِنَ النَّظَر، على نُحاسِ رؤوسِ أشخاصِ البَشَر؛
أنا غَريبٌ مِنَ الصَّحْراءِ أتيت، على أمَلِ لُطْفِ السُّلطانِ أتيت؛
ريحُ لُطْفِهِ استَولَتْ على الصَّحاري، ذرَّاتُ الرِّمالِ أخَذَتْ مِنْها الحياة؛
أتيتُ إلى ها هُنا أطْلُبُ الدِّينارَ، فلَمَّا وَصَلْتُ صِرْتُ سكرانَ مرآكُم؛
جرى شَخْصٌ لأجْلِ الخُبْزِ نَحْوَ الخَبَّاز، دَفَعَ الرُّوحَ لمَّا رأى جَمالَ الخَبَّاز؛
وَذَهَبَ واحِدٌ نَحْوَ البُستان للتَّفَرُّجِ، فكانَتْ مُتْعَةُ النَّظَرِ مِنْهُ جمالَ البُستانيّ؛
وكذا الأعرابيُّ الَّذي سَحَبَ الماءَ مِنَ البئر، فذاقَ ماءَ الحياةِ مِنْ وَجْهِ يوسُف؛
ذَهَبَ موسى ليجيءَ باليَدِ بالنَّار، فرأى ناراً أنْجَتْهُ مِنَ النَّار؛
وَفَرَّ عيسى لينجوَ مِنَ الأعداءِ، فَحَمَلَهُ فِرارُهُ إلى السَّماءِ الرَّابِعَة؛
شَبَكَةُ آدَمَ كانَتْ سُنْبُلَةَ قمْح، فصارَ وجودُهُ سُنْبُلَةَ البَشَر؛

جاءَ البازُ للشِّباكِ مِنْ أجْلِ القوتِ، فَوَجَدَ ساعِدَ الشّاهِ والإقبالَ والشَّأن؛
والطِّفْلُ ذَهَبَ للمَكْتَبِ لِكَسْبِ الفَضْل، طَمَعاً بالطَّائرِ الموعودِ ولُطْفِ الأب؛
بَعْدَ المَكْتَبِ صارَ صَدْراً أوحَداً، دَفَعَ أجْرَ الشَّهْرِ وصارَ بَدْراً؛
لَقَدْ جاءَ العَبَّاسُ لِلْحَرْبِ مِنَ الحِقْدِ، مِنْ أجْلِ قَمْعِ أحْمَدَ وَعِناداً للدِّين؛
فصارَ للدِّينِ إلى يومِ القيامَةِ وَجْهاً وَظَهْراً، في خِلافَتِهِ وخِلافَةِ أولادِه؛
أنا جِئتُ لِهذا البابِ طَالِبَ شَيءٍ، فَصِرْتُ صَدْراً حينَ دَخَلْتُ الدِّهْليز؛
جِئتُ بالماءِ تُحْفَةً لِأَجْلِ الخُبْز، فَحَمَلَتني رائحَةُ الخُبْزِ إلى صَدْرِ الجِنان؛
الخُبْزُ أخْرَجَ الآدَمِيَّ خارِجاً مِنَ الجَنَّةِ، والخُبْزُ قامَ بِغَمْسِيَ في الجَنَّة؛
فَتَحَرَّرْتُ مِنَ الماءِ والخُبْزِ كالمَلَك، وَصِرْتُ بلا غَرَضٍ بِهذا البابِ كالفَلَك؛
ولا يكونُ طائفاً في العالَمِ بلا غَرَضٍ، غيرُ جِسْمِ وروحِ العاشِقين؛

في بيانِ أنَّ عاشِقَ الدُّنيا على مِثالِ عاشِقِ جِدارٍ وَقَعَ عَلَيهِ نورُ الشَّمْس، وَلَمْ يِجْهَدْ أو يُجاهِدْ لِيَفْهَمَ أنَّ ذَينِكَ النُّورَ والرَّونَقَ ليسا مِنَ الجِدارِ بَلْ مِنْ قُرْصِ الشَّمْسِ في السَّماءِ الرَّابِعَة، لا جَرَمَ أنَّهُ أسْلَمَ القَلْبَ كُلَّهُ لِلْجِدار، وحينَ اتَّصَلَ نورُ الشَّمْسِ بالشَّمْسِ بقِيَ محروماً أبَداً *وحيلَ بينَهُمْ وَبَيْنَ ما يشتَهون*

عاشِقو الكُلِّ ليسوا بِعُشَّاقِ الجُزْء، ظَلَّ مَحرومَ الكُلِّ مَنْ صارَ مُشتاقَ الجُزْء؛
حينَ يصيرَ الجُزءُ عاشِقاً لِجُزءٍ، يذهَبُ مَعشوقُهُ سريعاً إلى كُلِّه؛
أحْمَقٌ جاءَ عَبْداً للغَيْر، غَريقٌ مَدَّ الكَفَّ لِضَعيف؛
لا حاكِمَ لِيقومَ بالعِنايَةِ بِه، أيَعْمَلُ عَمَلَ سَيِّدِهِ أمْ عَمَلَه؛

مَثَلٌ عَرَبيٌّ إذا زَنَيْتَ فازنِ بالحُرَّة وإذا سَرَقْتَ فاسْرِق الدُّرَّة

فازْنِ بالحُرَّةِ مِنْ هذا صارَتْ مَثَلاً، فاسْرِقِ الدُّرَّةَ بِهذا صارَ مُنْتَقلاً؛
ذَهَبَ العَبْدُ للسَّيِّدِ يبكي بِحُرْقَةٍ، عبيرُ الوَرْدِ صارَ للوَرْدِ وبَقِيَ الشَّوك؛
بَقِيَ بَعيداً عَنْ مَطلوبِ نَفْسِهِ، سَعْيٌ ضائعٌ وأَلَمٌ باطِلٌ وَقَدَمٌ جَريحٌ،
كَمَثَلِ صيَّادٍ صادَ ظِلّاً، متى كانَ الظِّلُّ رأسَ مالٍ؛
أمسكَ الرَّجُلُ بِظِلِّ الطَّائرِ بِإحكام، والطَّائرُ حيرانُ فَوْقَ غُصْنِ الشَّجَرَةِ؛
أنْ هذا الأحْمَقُ على مَنْ يَضْحَكُ عَجَباً، هذا هُوَ الباطِلُ هذا هُوَ السَّبَبُ الفاسِدُ؛
وإنْ قُلْتَ الجُزْءُ مُتَّصِلٌ بالكُلِّ، أصابَكَ الشَّوكُ فالشَّوكُ مَقرونٌ بالوَرْدِ؛
ليسَ مُتَّصِلاً بالكُلِّ إلّا بِوَجْهٍ واحِدٍ، وإلّا لَكانَ بَعْثُ الرُّسُلِ باطِلاً في ذاتِه؛
وَحَيثُ أنَّ الأنبياءَ في طَلَبِ الارتباط، أيُّ ارتِباطٍ لَهُمْ إذا كانوا بَدَناً واحِداً؛
هذا الحديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أي غُلام ، أوشَكَ النَّهارُ ينتهي، أتِمَّ الحِكايَةَ؛

تَسليمُ الأعرابيّ الهَدِيَّةَ يعني الكوزَ إلى غِلْمان الخليفَة

قَدَّمَ أمامَهُ ذلِكَ الكوزَ مِنَ الماء، زَرَعَ بِذْرَة الخِدْمَةِ في تِلْكَ الحَضْرَةِ؛
قالَ احْمِلوا هذِهِ الهَدِيَّةَ إلى السُّلطان، واشتَروا سائلَ السُّلطانِ مِنَ الحاجَة؛
ماءٌ عَذْبٌ وكوزٌ أخْضَرٌ وَجَديدٌ، مِنْ ماءِ مَطَرٍ تَجَمَّعَ في حُفْرَةٍ؛
جاءتْ ضُحْكَةٌ على النُّقَباءِ مِنْ ذلِكَ، لكِنَّهُم قَبلوا ذلِكَ كأنَّهُ الرُّوح؛
ذلِكَ أنَّ لُطْفَ الشَّاهِ الخَيِّرِ الخَبيرِ، كانَ قَدْ تَرَكَ الأثَرَ في جَميعِ الأركان؛
طَبْعُ المُلوكِ يأخُذُ مكانَهُ في الرَّعِيَّةِ، الفَلَكُ الأخْضَرُ يَجْعَلُ الأرْضَ خَضراء؛
اعْرِفِ المَلِكَ كالحَوْضِ والحَشَمَ كالأنابيب، الماءُ يسيلُ بالأنابيبِ إلى الأوعِيَة؛
إذا كانَ ماؤها جَميعاً نَقِيّاً مِنَ الحَوض، يُعطي كُلٌّ مِنها ماءً عَذْبَ المَذاق؛

وإذا كانَ في الحَوْضِ ماءٌ مالِحٌ وفاسِدٌ، فإنَّ كُلَّ أُنبوبٍ يُظْهِرُهُ ظاهِراً بِعَينِه؛
لِأنَّ كُلَّ أنبوبٍ مُتَّصِلٌ بالحَوض، فخُضْ في مَعْنى هذا الحَرْفِ أيَّ خَوض؛
لُطْفُ مَلِكِ المُلوكِ روحٌ بلا وَطَن، لِذلِكَ كانَ لها التَّأثيرُ على كُلِّ بَدَن؛
لُطْفُ العَقْلِ حَسَنُ الأصْلِ حَسَنُ النَّسَب، إنَّهُ يجْعَلُ كُلَّ البَدَنِ في أدَب؛
العِشْقُ الماجِنُ بلا قرارٍ بلا سكون، إنَّهُ يُدْخِلُ الجِسْمَ كُلَّهُ في الجنون؛
لُطْفُ ماءِ البَحْرِ الَّذي كأنَّهُ الكَوثَر، حصاهُ كُلُّها جُمْلَةً مَنَ الدُّرِّ والجَوهَر؛
كُلُّ فَنٍّ كانَ أُستاذٌ بِهِ مَعروفاً، روحُ تلاميذِهِ صارَ بِهِ موصوفاً؛
على أُستاذِ الأُصولِ قَرَأَ الأصولَ، ذلِكَ التِّلميذُ المُجِدُّ في التَّحْصيل؛
على أُستاذِ الفِقْهِ قَرَأَ الفِقْهَ لا الأصولَ، في البيانِ ذلِكَ القارِئُ لِلفِقْه؛
وذلِكَ الأُستاذُ الَّذي كانَ نَحْوِيّاً، روحُ تِلْميذِهِ مِنْهُ صارَ نَحوِيّاً؛
ثُمَّ الأُستاذُ في مَحْوِ الطَّريقِ، روحُ تِلْميذِهِ مِنْهُ صارَ مَحواً في الشّاه؛
مِنْ جميعِ أنواعِ العُلومِ يومَ المَوت ، عِلْمُ الفَقْرِ عُدَّةُ وَعَتادُ الطَّريق؛

حِكايَةُ ما جرى بينَ نَحْوِيٍّ وملَّاح

رَكِبَ نَحوِيٌّ في سَفينَةٍ، وذلِكَ المُعْجَبُ بِالنَّفْسِ وَجَّهَ الوَجْهَ إلى الرُّبانِ؛
قالَ أقَرَأتَ شيئاً مِنَ النَّحْوِ قالَ لا، قالَ ضاعَ نِصْفُ عُمْرِكَ هباءً؛
انكَسَرَ قَلْبُ الرُّبّانِ مِنَ القَهْر، لكِنَّهُ سَكَتَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ عَنِ الجواب؛
ألْقَتِ الرِّيحُ بالسَّفينَةَ في عاصِفَةٍ، قالَ الرُّبّانُ لِذلِكَ النَّحْوِيّ بِصَوتٍ عالٍ؛
هَلْ عِنْدَكَ إلمامٌ بعِلْمِ السِّباحَةِ قُلْ، قالَ لا يا حَسَنَ الحَديثِ حَسَنِ الوَجْه؛
قالَ أيْ نَحوِيٌّ كُلُّ عُمُرِكَ ضاعَ هباءً، لأنَّ السَّفينَةَ غارِقَةٌ في هذِهِ العاصِفَة؛
يَجِبُ المَحْوُ ها هُنا لا النَّحْوُ فاعْلَمْ، إنْ كُنْتَ مَحوِيّاً سِرْ على الماءِ بلا خَطَر؛
إذا ما مِتَّ عَنْ أوصافِ البَشَر، بَحْرُ الأسرارِ يَرْفَعُكَ على فَرْقِ الرَّأس؛

أيْ مَنْ كُنْتَ ترى الخَلْقَ حَميراً، أنْتَ الآنَ كالحِمارِ على الثَّلْجِ بلا حِراك؛
إذا كُنْتَ علَّامَةَ الزَّمانِ في العالَم، انظُرْ جَيّداً إلى فناءِ العالَمِ وفناءِ الزَّمان؛
لَقَدْ قُمْنا بِخَفْضِ رَجُلِ النَّحو، لِنُعَلِّمَكَ مِنْ ذلِكَ نَحْوَ المَحو؛
فِقْهَ الفِقْهِ وَنَحْوَ النَّحْوِ وَصَرْفَ الصَّرْف، تَجِدُ في الفَقْرِ أيُّها الرَّفيقُ المُوَقَّر؛
كوزُ الماءِ ذاكَ عُلومُنا، وذاكَ الخَليفَةُ دِجْلَةُ عِلْمِ الله؛
نَحْنُ نَحْمِلُ أكوازَنا المليئةَ إلى دِجْلَةَ، إذا لَمْ نَعْرِفْ أنْفُسَنا حَميراً فَنَحْنُ حَمير؛
باختِصارٍ فإنَّ الأعرابيَّ كانَ مَعذوراً، لَمْ يكُنْ يَعْرِفُ عَنْ دِجْلَةَ والنَّهْرِ شيئاً؛
لَو كانَ عِنْدَهُ الخَبَرُ عَنْ دِجْلَةَ مِثْلَنا، ما حَمَلَ الكوزَ مِنْ ذلِكَ المكانِ إلى هُنا؛
بَلْ إنَّهُ لَو كانَ لَهُ عِلْمٌ بِدِجْلَةَ ، لألقى بِذلِكَ الكوزِ على رأسِ صَخْرَة؛

قَبول الخَليفةِ الهَديَّة وأمْرُهُ بالعَطاء مَعَ كمالِ الإستِغناء عَنْ تِلكَ الهَديَّة وَعَنْ ذلِكَ الكوز

عِنْدَما رآهُ الخَليفَةُ وَسَمِعَ بأحوالِه، مَلأَ لَهُ ذلِكَ الكوزَ ذَهَباً وأعطاهُ المَزيد؛
خَلاصاً مِنَ الفاقَةِ أعطى لِذلِكَ الأعرابيّ، وأعطاهُ عطايا وَخِلَعاً خاصَّةً؛
قالَ أعطوهُ الكوزَ المَمْلوءَ بالذَّهَبِ باليَد، واحمِلوهُ في طرقِ العَوْدَةِ إلى دِجْلَةَ؛
فقد جاءَ مِنْ طَريقِ اليابِسَةِ مِنَ السَّفَر، ولو جاءَ مِنْ طريقِ البَحْرِ كانَ أقْرَب؛
حينَ جَلَسَ في السَّفينَةِ وَنَظَرَ إلى دِجْلَة، قامَ بالسُّجودِ مِنَ الحَياءِ والإنحِناء؛
أنْ عَجَباً مِنْ لُطْفِ هذا الشّاهِ الوَهّاب، وأعْجَبُ العَجَبِ أخْذُهُ ذلِكَ الماء؛
كَيفَ ذاكَ البَحْرُ للجودِ قَدْ قَبِلَ مِنّي، مِثْلَ ذاكَ النَّقْدِ المَعيبِ سريعاً سريعاً؛
اعتَبِرِ العالَمَ كُلَّهُ كوزاً أي وَلَد، امتَلأَ بالعِلْمِ وبالحُسْنِ إلى الرَّأس؛
ولَمْ يَقْدِرْ على أنْ يستوعِبَ ضِمْنَ جِلْدِهِ، قَطْرَةً مِنْ دِجْلَةَ حُسنِه؛
الكَنْزُ المَخْفِيُّ مِنَ الامتلاء، شَقَّ التُّرابَ فكانَ أكثَرَ ضياءً مِنَ الأفلاك؛

الكَنْزُ المَخْفِيُّ كانَ مِنَ الإمتِلاءِ يفور، ألبَسَ التُّرابَ سُلطانَ الأطْلَس؛
لو أنَّهُ رأى فَرْعاً مِنْ دِجْلَةَ اللهِ، كانَ أفنى ذلِكَ الكوزَ إفناءً؛
أولئكَ الَّذينَ رأوهُ غائبونَ دَوماً، رَمَوا في غِيابِ هِمْ على الكوزِ حَجَراً؛
أيْ مَنْ مِنَ الغَيْرَةِ رَمَيْتَ حَجَراً على الكوزِ، الكوزُ مِنَ الكَسْرِ صارَ أكمَلَ؛
انكَسَرَ الدَّنُّ ولمْ ينسَكِبْ مِنْهُ الماء، وقامَتْ مِئةُ استِقامَةٍ مِنْ هذا الكَسْر؛
الدَّنُّ في الرَّقْصِ جُزْءاً جُزْءاً وفي الحال، ذا لِلْعَقْلِ الجُزئيِّ ظاهِرٌ أنَّهُ المحال؛
لا كوزَ ظاهِرٌ في هذِهِ الحالَةِ ولا ماءً، أُنْظُر جَميلَ نَظَرٍ *واللهُ أعلَمُ بالصَّواب*؛
إنْ طَرَقْتَ بابَ المَعنى فَتَحوا لَكَ الباب، طِرْ بِجناحِ الفِكْرِ يجعلوكَ بازاً مَلَكيّاً؛
جَناحُ فِكْرِكَ مُلَوَّثٌ بالطِّينِ وَثَقيلٌ، مِنْ أكْلِ الطِّينِ صارَ لَكَ الطِّينُ كالخُبْز؛
اللَّحْمُ والخُبْزُ طينٌ أقِلَّ أكلَهُما، كي لا تَظَلَّ عالِقاً في الأرْضِ كالطِّين؛
حينَ تكونُ جائعاً تكونُ كَلْباً، حادَّاً سيِّئَ المِزاجِ سيِّئَ الخُلُق؛
وحينَ تَصيرُ شبعاناً تَصيرُ مَيْتاً، غافِلاً بلا حِراكَ كأنَّكَ الجِدارُ؛
لَحْظَةً مَيْتٌ وَلَحْظَةً أُخرى كَلْبٌ، كيفَ تَسيرُ في طريقِ الأُسُودِ السَّيْرَ الحَسَن؛
فلا تَرَ غَيْرَ الكَلْبِ آلَةً لِصَيْدِك، ولا تَرْمِ إلَّا قليلاً العِظامَ للكَلْب؛
ذلِكَ أنَّ الكَلْبَ إذا شَبِعَ صارَ مُعانِداً، فمتى يُسْرِعُ لِلصَّيْدِ والطَّرِيدَةِ إسراعاً؛
ذلَكَ الأعرابيُّ جَرَّتْهُ الفاقَةُ، حتّى وَصَلَ إلى تِلْكَ العَتَبَةِ وإلى تِلْكَ الدَّولَة؛
ذَكَرْنا إحسانَ الشَّاهِ في حِكايَةٍ، في حَقِّ ذلِكَ المُعْوِزِ بلا ملاذ؛
مَهْما تَحَدَّثَ الرَّجُلُ العاشِقُ فعبيرُ العِشْق، ينبَعِثُ مِنْ فيهِ في طريقِ العِشْق؛
فإنْ قالَ عَنِ الفِقْهِ جاءَ حديثُهُ فَقْراً، وجاءتْ ريحُ الفَقْرِ مِنْ ذلِكَ العَذْبِ الحديث؛
وإنْ قالَ كُفْراً جاءَ مِنْ كُفْرِهِ عبيرُ الدِّينِ، وإنْ قالَ شَكَّاً صارَ شَكُّهُ يقيناً؛
الزَّبَدُ الرَّخيصُ ارتَفَعَ مِنْ بَحْرِ الصِّدْق، ذلِكَ الفَرْعَ زانَهُ الأصْلُ الصَّافي؛
زَبَدُهُ ذاكَ صافٍ وَمَحقوق، كأنَّهُ السَّبُّ مِنْ شِفاهِ المَعشوق؛

فقد صارَ ذاكَ السَّبُّ غَيْرُ المَطلوب، حَسَناً لِأَجْلِ عارَضِ المَحبوب؛

فإنْ تَحَدَّثَ لَيَّاً بدا صادِقاً، يا لَهُ مِنْ لَيٍّ زَيَّنَ الصِّدْق؛

لَوْ طَبَخْتَ السُّكَّرَ على شَكْلِ خُبْزٍ، جاءَ مِنْهُ طَعْمُ السُّكَّرِ لا الخُبْزِ عِنْدَ المَذاق؛

وإذا وَجَدَ مؤمِنٌ وَثَناً مِنْ ذَهَبٍ، فلا يترُكُ ذلِكَ الوَثَنَ مِنْ أجْلِ كُلِّ عابِدِ وَثَن؛

بَلْ يأخُذُهُ ويُلقيهِ في النَّار، ويكسِرُ صورَتَهُ العارية؛

حتَّى لا يبقى مِنَ الذَّهَبِ شَكْلُ وَثَن، ذلِكَ أنَّ الصُّورَةَ مانِعٌ وقاطِعُ طريق؛

ذاتُ الذَّهَبِ ذاتٌ رَبَّانيَّةٌ، نَقْشُ الصَّنَمِ على نَقْدِ الذَّهَبِ عاريةٌ؛

مِنْ أجْلِ بَرغوثٍ لا تُحْرِقِ البِساطَ، مِنَ الصُّداعِ مِنْ كُلِّ ذُبابَةٍ لا تُنْفِقِ النَّهار؛

أنْتَ عابِدُ الوَثَنِ كيفَ تَظَلُّ في الصُّوَر، دَعْ صورَتَهُ وانْظُرْ إلى المَعنى؛

أيُّها الرَّجُلُ الحاجُّ اُطْلُبْ رَفيقاً حاجَّاً، أكانَ هِنْدِيَّاً أمْ كانَ تُركِيَّاً أمْ كانَ عَرَبيَّاً؛

لا تَنْظُرْ إلى صُورَتِهِ ولا إلى لَونِهِ، أُنْظُرْ إلى عَزْمِهِ وانظُرْ إلى قَصْدِهِ؛

فَلَو كانَ أسوَداً وكانَ لَهُ عَيْنُ مَقْصَدِك، فاعتَبِرْهُ أبيَضَ فَهوَ مِنْ لَونِك؛

هذهِ حِكايَةٌ قيلَ أسْفَلُها وأعلاها، هيَ مِثلَ فِكْرِ العاشِقينَ لا بِدايَةَ لها ولا نِهايَة؛

لا بِدايَةَ لها لأنَّها كانَتْ مِنْ قَبْلِ الأزَل، ولا نِهايَةَ لها فهيَ مَقرونَةٌ بالأبَد؛

بَلْ هِيَ كالماءِ كُلُّ قَطْرَةٍ مِنْهُ، هيَ بِدايَةٌ وهيَ نِهايَةٌ وهي بلا بِدايَةٍ ولا نِهايةٍ؛

حاشَ للهِ هذهِ ليسَتْ حِكايَةً فانْتَبِهْ، إنَّها نِقْدٌ لِحالِنا وَحَالِكَ فَتَأَمَّلْها جَيِّداً؛

ذلِكَ أنَّ الصُّوفيَّ ذو كَرٍّ وَفَرٍّ، وكُلُّ ما كانَ ماضِياً لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ؛

عَرَبٌ نَحْنُ وكوزٌ وَمَلِكْ كُلُّ ما يؤفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكْ

الزَّوجُ عَقْلٌ والمَرْأةَ نَفْسٌ وَطَمَعٌ، الآخرانِ ظَلْمانيَّانِ ومُنكَرانِ والعَقْلُ شَمْع؛

اِسْمَعِ الآنَ أصْلَ الإنكارِ مِنْ أيْنَ قامَ، ذلِكَ أنَّ لِلْكُلِّ أجْزاءً مُخْتَلِفَةً أشْكالاً؛

جُزءُ الكُلِّ ليسَ جُزْءاً نِسْبَةً إلى الكُلّ، وليسِ مِثْلَ عبيرِ الوَرْدِ جُزءِ الوَرد؛

لُطْفُ الخُضْرَةِ جُزْءٌ مِنْ لُطْفِ الوَرْد، صَوتُ القَمْرِيّ جُزءُ ذلِكَ البُلْبُل؛

إذا بَقيتُ مَشْغولَ الإشكالِ والجواب، متى أستطيعُ أنْ أُعطيَ الماءَ لِلعِطاش؛
إذا كانَ لَكَ إشكالٌ في الكُلِّيِّ وَحَرَج، فاصْبِرْ فإنَّ *الصَّبْرَ مِفتاحُ الفَرَج*؛
فاحْتَمِ احتِماءً مِنَ الأفكار، فالفِكْرُ أسَدٌ وَسَبُعٌ والقُلوبُ آجامٌ؛
فالاِحتِماءُ مُقَدَّمٌ على الدَّواء، وَحَكُّ الجِلْدِ زِيادَةٌ في الجَرَب؛
الاِحتِماءُ أصْلُ الدَّواءِ باليَقين، قُمْ بالاِحتِماءِ وانْظُرْ قُوَّةَ الرُّوح؛
كُنْ قابِلَ هذِهِ الأقوالِ مِثْلَ الأُذُنِ، حَتّى أَصْنَعَ لَكَ قُرْطاً مِنْ ذَهَبٍ؛
وَتَصيرَ حَلْقَةً في أُذُنِ قَمَرٍ صائغٍ، وَتَعْلُوَ على القَمَرِ وَتَبْلُغَ الثُّرَيَّا؛
اِسْمَعْ أوّلاً أنَّ الخَلْقَ مُخْتَلِفٌ، مُخْتَلِفٌ بالرُّوحِ مِنَ الياءِ إلى الأَلِف؛
في الحُروفِ المُخْتَلِفَةِ فِتْنَةٌ وَشَكٌّ، رَغْمَ أنَّها مِنْ وَجْهٍ مِنَ البِدايَةِ لِلنِّهايَةِ واحِدٌ؛
فَمِنْ وَجْهٍ تَضَادٌ وَمِنْ وَجْهٍ اتِّحادٌ، ومِنْ وَجْهٍ هَزْلٌ وَمِنْ وَجْهٍ جِدٌّ؛
ثُمَّ القِيامَةُ يومُ العَرْضِ الأكْبَرُ، عَرْضٍ يُريدُهُ أنْ يكونَ مُزَّيَّناً وَعَظيماً؛
كُلُّ مَنْ يكونُ كَهِنْديٍّ رديءِ المُعامَلَة، يومُ عَرْضِهِ نَوْبَةُ افتِضاحِه؛
ما دامَ لا يَمْلِكُ وَجْهاً كالشَّمْس، هُوَ لا يَطْلُبُ غَيْرَ لَيْلٍ يكونُ لَهُ كالنِّقاب؛
وما دامَ الشَّوكُ لا يملكُ وَرَقَةَ وَرْدٍ واحِدَةٍ، فإنَّ فُصولَ الرَّبيعِ عَدُوَّةُ أسرارِهِ؛
وذاكَ الَّذي هُوَ مِنَ الرَّأسِ إلى القَدَمِ وَرْدٌ وَسَوسَنٌ، يكونُ عيداً لهُ الرَّبيع؛
شَوكُ الخَريفِ فاقِدُ المَعنى يَطْلُبُ الخَريفَ، لِيَعْرَضَ نَقْدَ نَفْسِهِ أمامَ الرَّوض؛
حتَّى يُغَطِّيَ حُسْنَ ذاكَ وَعَيْبَ هذا، حتَّى لا يرى لَونَ ذاكَ وَلَونَ هذا؛
فالخَريفُ لَهُ ربيعٌ وَحياةٌ، لأنَّهُ يُظْهِرُ واحِداً بلا فَرْقٍ الصَّخْرَ والياقوت؛
كما يَعْرِفُ البُستانيُّ ذلِكَ مِنَ الخَريف، لكِنْ رؤيَةُ واحِدٍ خَيْرٌ مِنْ رؤيَةِ العالَم؛
العالَمُ نَفْسُهُ ذلِكَ الشَّخْصُ وهوَ أبْلَهٌ، كُلُّ نَجْمٍ على الفَلَكِ جُزْءُ القَمَر؛
ثُمَّ إنَّ كُلَّ رَسْمٍ وَنَقْشٍ يقولُ، بُشرى بُشرى أتى الرَّبيعُ الجَميلُ؛
لِتَتَشَكَّلَ البراعِمُ كالدُّروع، متى تَعْقِدُ تِلْكَ الثِّمار؛

حينَ تنتَثِرُ الأزهارُ تُطِلُّ برأسِها الثِّمارُ، حينَ ينهَدُّ الجَسَدُ تُطِلُّ بِرَأسِها الرُّوح؛
الثَّمَرَةُ المَعْنى والزَّهْرَةُ الصُّورَة، الزَّهْرَةُ بُشرى بِنِعْمَةِ الثَّمَرَة؛
فإذا انتَثَرَتِ الأزهارُ ظَهَرَتِ الأثمارُ، حينَ يَقِلُّ ذاكَ يصيرُ هذا في مَزيد؛
الخُبْزُ إذا لَمْ يتَفَتَّتْ متى يُعطي القُوَّةَ، العناقيدُ إذا لم تُكْسَرْ متى تُعطي الخَمْر؛
الإهليلَجُ إذا لَمْ يُكْسَرْ مَعَ الأدوية، متى تَصيرُ مَزيداً للصِّحَّةِ هذِهِ الأدويَة؛

في صِفَةِ الشَّيْخِ المُرْشِدِ ومُطاوَعَتِه

أيْ ضياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّينِ خُذْ، وَرَقَةً أو وَرَقَتَينِ وزِدْ في وَصْفِ الشَّيخ؛
رَغْمَ أنَّ جِسْمَكَ النَّاحِلَ لَيْسَ فيهِ قُوَّةٌ، نَحْنُ مِنْ دونِ الشَّمسِ بلا نور؛
رَغْمَ أنَّكَ صِرْتَ مِصْباحاً وزُجاجَةً، أنتَ طَليعَةُ خَيْلِ القَلْبِ وَطَرَفُ الخَيْط؛
ما دامَ طَرَفُ الخَيْطِ بِيَدِكَ وبِمُرادِك، دُرَرُ عِقْدِ القَلْبِ مِنْ إنعامِك؛
أُكْتُبْ أحوالَ الشَّيْخِ العارِفِ بالطَّريق، اِخْتَرِ الشَّيْخَ واعْتَبِرْهُ عَيْنَ الطَّريق؛
الشَّيْخُ فَصْلُ الصَّيْفِ والخَلْقُ شَهْرُ ***تير***، الخَلْقُ مِثْلَ اللَّيلِ والشَّيْخُ هُوَ القَمَر؛
ولَقَدْ جَعَلْتُ اسْمَ الشَّيْخِ بَخْتَ الغُلام، فهُوَ شَيْخٌ مِنَ الحَقِّ لا شيخٌ مِنَ الأيَّام؛
مِثْلُ هذا الشَّيْخِ ليسَ لَهُ بِدايَةٌ، مِثْلُ هذا الدُّرِّ اليتيمِ لا يُوجَدُ لهُ مِثْلٌ؛
الخَمْرُ القَديمَةُ تَصيرُ أقوى ذاتاً، خاصَّةً تِلْكَ الخَمْرُ الَّتي تكونُ مِنْ ***لَدُن***؛
اخْتَرْ شَيْخاً فَمِن دونِ شَيْخٍ هذا السَّفَر، ملؤهُ الآفاتُ الكَثيرَةُ والخَوفُ والخَطَر؛
ذلِكَ الطَّريقُ الَّذي ذَهَبْتَ فيهِ مَرَّاتٍ، مِنْ دونِ دليلٍ فيهِ تكونُ مُضطَرِباً؛
فكَيْفَ بِطريقٍ لَمْ تَكُنْ رأيْتَ شَيئاً مِنْهُ، اِنتَبِهْ لا تَذْهَبْ وحيداً لا تَعْصِ المُرْشِد؛
إذا لَمْ يَكُنْ ظِلُّهُ عَلَيْكَ أنْتَ أحْمَقٌ، وكم سوفَ يُضِلُّكَ نِداءُ الغول؛
سيُلقيكَ خارِجَ الدَّرْبِ في المِحَنِ الغولُ، في هذا الطَّريقِ كثيرونَ أدهى مِنك؛
اسْمَعْ مِنَ النَّبيِّ عَنْ ضلالِ السَّالكين، وما فَعَلَ بِهِمْ إبليسُ ذاكَ سيِّئُ الرُّوح؛

لَقَدْ أخَذَهُمْ بعيداً عَنِ الجادَّةِ مئاتِ آلافِ السِّنين، وَجَعَلَهُم مُدبِرينَ وعُوراً؛
أُنْظُرْ إلى عِظامِهِم وانْظُرْ إلى شُعورِهِم، خُذْ عِبْرَةً لا تَسُقِ الحِمارَ نَحوَهُم؛
أمسِكْ بِعُنُقِ الحِمارِ واسحَبْهُ للطَّريق، إلى حُرَّاسِ الطَّريقِ العارفينَ بالطَّريق؛
وحذارِ لا تَرْخِ الحِمارَ ولا تَرْفَعِ اليَدَ عَنْهُ، ذلِكَ أنَّ عِشْقَهُ إلى جِهَةِ المُروج؛
فإنَّكَ إنْ تَرَكْتَهُ غَفْلَةً مِنْكَ لَحْظَةً واحِدَةً، يذْهَبُ فراسِخَ إلى جِهَةِ الحشيش؛
عَدُوُّ الطَّريقِ الحِمارُ المَجنونُ بالعَلَف، أيْ كَمْ مِنْ حِمارٍ جَلَبَ لصاحِبِهِ التَّلَف؛
إن كُنْتَ لا تَعْرِفُ الطَّريقَ فالطَّريقُ السَّويُّ، فِعْلُكَ عَكْسَ كُلِّ ما أرادَ الحِمارُ؛
شاوِروهُنَّ وَرَأْيَهُنَّ خالِفوا إنَّ مَنْ لَمْ يَعْصِهِنَّ تالِفُ
ولا تَكُنْ صاحِبَ الهوى والأمَلِ إلَّا قليلاً، كِلاهُما يُضِلَّانِكَ عَنْ سبيلِ الله؛
هذا الهَوى ليسَ هُناكَ أيُّ شَيءٍ في العالَمِ ، يكسِرُهُ مِثلَ ظِلِّ رِفاقِ الطَّريق؛

وَصِيَّةُ الرَّسولِ (ص) لِعَلِيٍّ عليهِ السَّلام: حينَ كُلُّ شَخْصٍ يَبحَثُ عَنِ التَّقَرُّبِ إلى الحَقِّ بِنَوعِ طاعَةٍ، أنتَ ابْحَثْ عَن التَّقَرُّبِ بِنَصيحَةِ عاقِلٍ وَعَبْدٍ خاصٍّ كي تكونَ أسْبَقَ قَدَماً مِنَ الجميع

قالَ النَّبيُّ لِعليٍّ يا عليّ، يا أسَدَ الحَقِّ القويَّ يا عليّ؛
لا تَكُنْ على البَأسِ مُعْتَمِداً، وادخُلْ بِظِلِّ نَخْلِ الرَّجاء؛
أُدخُلْ تَحْتَ ظِلِّ ذلِكَ العاقِل، الَّذي ما نَقَلَهُ عَنِ الطَّريقِ ناقِل؛
ظِلُّهُ في الأرْضِ مِثْلَ جَبَلِ قاف، روحُهُ طائرُ السّيمورغ عالي الطَّواف؛
لو رُحْتُ مُتَحَدِّثاً بِنَعْتِهِ إلى القيامَة، ما كانَ لِنَعْتٍ مِنْ نُعوتِهِ مَقْطَعٌ ولا غايَة؛
خَبَّأتِ الشَّمْسُ الوَجْهَ بالبَشَر، اِفْهَمْ *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛
يا عَليُّ مِنْ جُمْلَةِ طاعاتِ الطَّريق، اِخْتَرْ أنْتَ ظِلَّ خاصٍ لله؛
فإنَّ كُلَّ شَخْصٍ فَرَّ إلى طاعَةٍ، وهيَّأَ لِنَفْسِهِ مَخْلَصاً؛

فاذْهَبْ أنْتَ واهْرَبْ إلى ظِلِّ عاقِلٍ، لِتَنْجُوَ مِنْ ذلِكَ العَدُوِّ المُخاصِم؛
مِنْ جميعِ الطَّاعاتِ هذِهِ لَكَ أَفْضَلُ، تَجِدُ السَّبْقَ مِنْها على كُلِّ سابِقٍ كان؛
إذا نهاكَ الشَّيْخُ فأطِعْ وَسَلِّمْ، وَسِرْ سَيْرَ موسى تَحْتَ حُكْمِ الخِضْر؛
اصبِرْ على عَمَلِ الخِضْرِ دونَ نِفاق، لِئلَّا يقولَ لَكَ الخِضْرُ اذهَبْ *هذا فِراق*؛
فإنْ هُوَ خَرَقَ السَّفينَةَ لا تَنْطِقْ بِحَرْفٍ، وإنْ قَتَلَ طِفْلاً لا تَنْزَعِ الشَّعْر؛
يَدُهُ قالَ الحَقُّ عَنْها *يَدُ الله*، شَرْحَ *يَدُ اللهِ فَوقَ أيديهِم*؛
يَدُ الحَقِّ تَقودُهُ وتُحييه، تُحييهِ وتَجْعَلُ روحَهُ خالِدَةً؛
النَّادِرُ مِمَّنْ أخَذَ هذا الطَّريقَ وَحيداً ووَصَل، بِعَونِ وَهِمَّةِ الشُّيوخِ أيضاً وَصَل؛
فَيَدُ الشَّيْخِ عَنِ الغائبينَ غَيْرُ قصيرَةٍ، يَدُهُ ليسَتْ غَيْرَ قَبْضَةِ الله؛
إنَّهُمْ يُعطونَ الغائبينَ مِثْلَ هذِهِ الخِلْعَةِ، والحاضِرونَ لا شَكَّ أفْضَلُ مِنَ الغائبين؛
وبِما أنَّهُمْ يُعطونَ الغائبينَ مِثْلَ هذا النَّوال، فأيَّةَ نِعَمٍ يُقَدِّمونَ للضُّيوف؛
أينَ شَخْصٌ تَحَزَّمَ لِلْخِدْمَةِ أمامَ الشَّاه، مِنْ شَخْصٍ في الخارِجِ مُتَّجِهٍ إلى الباب؛
إذا اخْتَرْتَ شَيخاً لا تَكُنْ ضَعيفَ القَلْب، ولا تَكُنْ رَخْواً تَخورُ كالماءِ والطِّين؛
لا تَكُنْ مِنْ كُلِّ جُرْحٍ تَمتلئُ بالحِقْد ، أنَّى لَكَ أنْ تَصيرَ مِرآةً بِلا صَقْل؛

وَشْمُ قَزوينيٍ صورَةَ أسَدٍ على كَتِفِهِ وَنَدَمُهُ بِسَبَبِ وَخْزِ الإبَر

هذِهِ الحِكايَةَ اسمَعْ مِنْ صاحِبِ بيان، في طريقِ وعادَةِ القَزوينيّين؛
إنَّهُم ينقشونَ على اليَدِ والبَدَنِ والكَتِفِ، وَشْماً ولا يشتكونَ مِنْ وَخْزِ الإبَر؛
ذَهَبَ قَزوينيٌّ إلى وَشَّامٍ وقالَ، شِمني وَشْماً يكونُ جَميلاً؛
قالَ أيَّ صُورَةٍ أرسُمُ لَكَ أيُّها البَطَلُ، قالَ ارْسُمْ صورَةَ أسَدٍ مُفْتَرِسٍ؛
طالعي أسَدٌ انقِشْ صورَةَ أسَدٍ، واجتَهِدْ أنْ يكونَ اللَّونُ أزْرَقَ مُشْبَعاً؛
قالَ على أيِّ مَوضعٍ أرسُمُ لَكَ الصُّورَةَ، قالَ ارقِمْ ذلِكَ على مَوضعِ الكَتِفِ؛

حينَ أخَذَ بِوَخْزِهِ بالإِبْرَةِ أصابَهُ، ألَمٌ مِنْ ذلِكَ وَصَلَ إلى مَسْكَنِ الكَتِفِ؛
فراحَ البَطَلُ يئِنُّ أنْ أيْ سَنِيُّ، قَتَلْتَني ما الصُّورَةُ الَّتي تَرْسُمُ؛
قالَ الآخَرُ ألَمْ تأمُرْني بِرَسْمِ أسَدٍ، قالَ فَمِنْ أيِّ عُضْوٍ ابتَدَأتَ؛
قالَ لَقَدْ جَعَلْتُ البِدايَةَ مِنَ الذَّنَب، قالَ أتْرُكِ الذَّنَبَ أي نورَ عينَيَّ الاِثْنَتَين؛
فَمِنْ ذَنَبٍ ومَوضعِ ذَنَبِ أسَدي انقَطَعَ نَفَسي، مَوضِعُ ذَنَبِهِ سَدَّ موضِعَ نَفَسي؛
قُلْ لَهُ يكُونَ أسَداً بلا ذَنَبٍ أي صانِعَ الأسود، الضَّعْفُ أخَذَ بِقلبي منْ الوَخْزِ؛
أخَذَ ذلِكَ الشَّخْصُ بالوَخْزِ مِنْ جانِبٍ آخَر، بلا مُحاباةٍ ولا مُواساةٍ ولا رَحْمَةٍ؛
فأطْلَقَ الصُّراخَ أنْ هذا أيُّ عُضْوٍ منْهُ، قالَ هذِهِ هِيَ الأُذُنُ أيُّها الرَّجُلُ الطَّيِّب؛
قالَ فَلْيَكُنْ بِلا أُذُنٍ أيُّها الحَكيمُ، أتْرُكِ الأُذُنَ واجْعَلِ الجِذْعَ قَصيراً؛
فَشَرَعَ بالوَخْزِ مِنْ جانِبٍ آخَرَ، ومِنْ جَديدٍ قامَ القَزوينيُّ بالصُّراخ؛
أنْ هذا الجانِبُ الثَّالِثُ أيُّ عُضْوٍ هُوَ أيضاً، قالَ هذا بَطْنُ الأسَدِ أي عَزيز؛
قالَ فَلْيَكُنْ هذا الأسَدُ بلا بَطْنٍ، إنَّ البَطْنَ غَيْرُ لازِمٍ وهوَ شَبعان؛
فاندَهَشَ الوَشَّامُ وصارَ حَيْرانَ جَدّاً، وَعَضَّ على إصْبَعَهَ بِأسنانِهِ طويلاً؛
وألقى بالإِبْرَةِ على الأرْضِ مِنَ الغَضَبِ، قالَ هَلْ وَقَعَ هذا لِشَخْصٍ في العالَم؛
مَنْ رأى أسَداً بلا ذَنَبٍ ورأسٍ وَبَطْنٍ، إنَّ مِثْلَ هذا الأسَدِ لَمْ يَخْلُقْهُ الله؛
أي أخي اِصبِرْ على ألَمِ وَخْزِ الإِبْرَة، لِتَنْجُوَ مِنْ وَخْزِ إبْرَةِ نَفْسِكَ المَجوسيَّة؛
تِلْكَ الطَّائفَةَ الَّتي تَحرَّرَتْ مِنَ الوجود، الفَلَكُ والشَّمْسُ والقَمَرُ لها في سُجود؛
كُلُّ مَنْ ماتَتْ في بَدَنِهِ النَّفْسُ المَجوسيَّة، تُنْفِذُ أمْرَهُ الشَّمْسُ والغُيوم؛
كما عَلَّمَ الشَّمْعُ قَلْبَهُ الاِشتِعالَ، الشَّمْسُ لا تقومُ بإحراقِه؛
قالَ الحَقُّ عَنِ الشَّمْسِ المُنْتَظِم، ذِكْراً *تزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِم*؛
الشَّوكُ جُمْلَةً يصيرُ لُطْفاً كالوَرْدِ، أمامَ الجُزْءِ الَّذي يَصيرُ مُتَّجِهاً إلى الكُلّ؛
رَفْعُ تَعظيمِ اللهِ عالياً مَا يَكُون؟، هُوَ جَعْلُكَ النَّفْسَ حَقيرَةً ذليلَةً؛

وما هُوَ تَعليمُ تَوحيدِ الله؟، إحراقُكَ النَّفْسَ أمامَ الواحِدِ؛
إذا أرَدْتَ أنْ تكونَ مُضيئاً دائماً كالنَّهار، أحْرِقْ وجودَ نَفسِكَ دائماً كاللَّيل؛
واجْعَلْ وجودَكَ في وجودِ ذاكَ اللَّطيفِ الوجود، ذائباً كالنُّحاسِ في الكيمياء؛
بِـ*مَنْ وَنَحْنُ* أمْسَكْتَ بِكِلْتا يَدَيك، والوجودُ مِنَ الاِثنَيْنِ جُمْلَةً خرابٌ؛

ذهابُ الذِّئبِ والثَّعْلَب في خِدْمَةِ الأسَدِ في الصَّيد

أسَدٌ وذِئبٌ وَثَعْلَبٌ ذهبوا، طَلَباً للصَّيْدِ في مَنْطقَةٍ جَبَليَّةٍ؛
كي يتعاونوا باصطيادِ الفرائسِ، ويشُدُّوا القيودَ عَلَيْها بإحكام؛
لِيُمْسِكَ الثَّلاثَةُ في تِلْكَ الصَّحْراءِ الشَّاسِعَةِ، بالكثيرِ مِنَ الصَّيْدِ والسَّمينِ مِنْهُ؛
وَرَغْمَ أنَّ الأسَدَ كانَ يَشْعُرُ بالعارِ مِنْهُما، فَقَدْ قامَ بإكرامِهِما ورافَقَهُما؛
مِثْلُ هذا المَلِكِ يَشْعُرُ بالضِّيْقِ مِنَ الجُنْدِ، لكِنَّ صُحْبَةَ الجَماعَةِ رَحْمَةٌ؛
مِثْلُ هذا القَمَرِ يَشْعُرُ بالعارِ مِنَ النُّجوم، هُوَ ما بينَ النُّجومِ مِنْ أجْلِ السَّخاء؛
فقَدْ وَصَلَ إلَيْهِ أمْرُ *شاوِرْهُمْ* مِنَ النَّبِيّ، رَغْمَ أنَّهُ لَمْ يكُنْ يرى الرَّأيَ إلَّا رَأيَهُ؛
في الميزانِ صارَ الشَّعيرُ قريناً للذَّهَبِ، ليسَ ذاكَ لأنَّ الشَّعيرَ جَوهَرٌ كالذَّهَب؛
الرُّوحُ الآنَ صارَتْ مُرافِقَةً للقالَب، وقَدْ كانتْ مُدَّةً كَلْباً على العَتَبَةِ حارِساً؛
ذَهَبَتْ هذِهِ الجماعَةُ نَحْوَ الجَبَلِ، في رِكابِ الأسَدِ بِعِزٍّ ومهابَةٍ؛
صادوا ثَوراً وَحْشيَّاً وَتَيْساً وأرنَباً سميناً، وَسارَ شُغْلُهُمْ مُوفَّقاً قُدُماً؛
وكُلُّ مَنْ كانَ في إثْرِ أسَدِ الحِراب، لَنْ يقِلَّ عِنْدَهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ الكَباب؛
وهُمْ يجلبونَها مِنَ الجَبَلِ إلى الأجَمَة، مَقتولَةً تَنزِفُ جِراحُها دَماً؛
وَقَعَ الطَّمَعُ بالذِّئبِ والثَّعْلَب، طَمَعٌ بِأنْ تكونَ القِسْمَةُ تَجري بِعَدْلِ المُلوك؛
صُورَةُ طَمَعِ كُلٍّ مِنْهُما وَقَعَتْ على الأسَد، وعَلِمَ أنَّ تِلْكَ الأطْماعِ لها سَنَد؛
كُلُّ مَنْ كانَ أسَدَ الأسرارِ والأمير، يَعْرِفُ كُلَّ ما جالَ في الضَّمير؛

فيا صاحِبَ القَلْبِ الباحِثِ المُفَكِّرِ احترِزْ، اِحْفَظِ القَلْبَ أمامَهُ مِنْ فِكْرِ السُّوء؛
لَقَدْ عَلِمَ وَظَلَّ يسوقُ الحَمارَ بِصَمْتٍ، وَقَدْ ضَحِكَ في وَجْهِكَ مِنْ بابِ السَّتْر؛
لَمَّا عَلِمَ الأسَدُ بِوَسْواسِهِمْ ذاكَ، أصابَهُ الضَّيْقُ مِنْهُم ولَمْ يَقُلْ شيئاً؛
لكِنَّهُ قالَ في نَفْسِهِ سأُظْهِرُ الجزاءَ لَكُما، أيُّها الخَسيسانِ الشَّحَّاذان؛
أَلَمْ يَكُنْ في رأيي كِفايَةٌ لَكُما، أهكذا ظَنُّكُما في عَطائي؛
أيْ مَنْ عَقلُ كُلٍّ مِنْكُما ورأيُهُ مِنْ رأيي، مِنْ عَطاياىَ زَيَّنْتُ العالَم؛
وأيُّ رَأيٍ للنَّقْشِ مَعَ النَّقَّاشِ أخيراً، مادامَ هُوَ الَّذي أعطاهُ الفِكْرَ والخَبَر؛
أمِثْلُ هذا الظَّنِّ الخَسيسِ بي، وهَلْ كانَ نالَكُما الحِرْمانُ مِنِّي؛
الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ ذا، إذا لَمْ أقْطَعْ رؤوسَكُم فهوَ عَيْنُ الخَطَأ؛
سَوفَ أُخَلِّصُ الفَلَكَ مِنْ قُبْحِكُم، لِتَبقى هذِهِ القِصَّةُ في العالَم؛
الأسَدُ وَهُوَ في هذا التَّفكيرِ كانَ يَضْحَكُ عالياً، مِنْ تَبَسُّمِ الأسَدِ لا تَأْخُذْ الأمان؛
مالُ الدُّنيا مِنْ بَسَماتِ الحَقّ، جَعَلَنا السّكارى والمَغرورينَ والخُلُق؛
الفَقْرُ والتَّعَبُ خَيْرٌ لَكَ أي سَنَد ، فهُما يقتَلِعانِ الشِّباكَ المَنصوبَةَ مِنَ التَّبَسُّم؛

امتِحانُ الأَسَدِ الذِّئبَ وَقَولُهُ لَهُ أنْ
تَقَدَّمْ أيْ ذِئبُ واقْسِمْ الصَّيْدَ بيننا

قالَ الأسَدُ أي ذِئبُ اقْسِمْ هذا، جَدِّدِ المَعْدَلَةَ أيُّها الذِّئبُ العَجوز؛
كُنْ نائباً عَنِّيَ في القِسْمَةِ، حتّى يَصيرَ جَوهَرُكَ ظاهِراً ما هُو؛
قالَ أي شاهُ الثَّورُ الوحشيُّ حِصَّتُك، ذاكَ كبيرٌ وأنْتَ كبيرٌ وَضَخْمٌ وَجَلْدٌ؛
والتَّيْسُ لي فالتَّيْسُ مُتَوَسِّطٌ وَوَسَط، ويا ثَعْلَبُ خُذْ أنْتَ الأرْنَبَ بلا غَلَط؛
قالَ الأسَدُ أيْ ذِئبُ كَيْفَ قُلْتَ، قُلْ، وحينَ أكونُ مَوجوداً تَقُولُ: نَحْنُ وأنتَ؛
أيُّ كَلْبٍ هُوَ الذِّئبُ حَتّى رأى نَفْسَهُ، أمامَ أسَدٍ مِثْلي بِلا مِثْلٍ ولا نَظير؛

قالَ تَقَدَّمْ أيْ حِماراً رأى نَفْسَهُ، فَتَقَدَّمَ أمامَهُ فأنْشَبَ فيهِ المَخالِبَ وَمَزَّقَه؛
حينَ لَمْ يَرَ لَهُ عَقْلاً وَتَدبيراً رَشيداً، سَلَخَ جِلْدَهُ عَنْ رَأسِهِ عِقاباً؛
قالَ بِما أنَّ رؤيَتَكَ لي لَمْ تَأْخُذْكَ مِنْ نَفْسِكَ، مِثْلُ روحِكَ يَجِبُ أنْ تَموتَ ذليلَةً؛
وَحَيْثُ أنَّكَ لَمْ تَصِرْ فانياً أمامي، فإنَّ الفَضْلَ يكونُ في قَطْعِ رَقَبَتِك؛
كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ، إنْ لَمْ تَكُنْ في وَجْهِهِ لا تَبْحَثْ عَنِ الوجود؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ فناءٌ في وَجْهِنا، *كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ* ليسَتْ جَزاءَهُ؛
لِأنَّهُ في *إلّا* وَقَدْ عَبَرَ مِنْ *لا*، كُلُّ مَنْ هُوَ في *إلّا* لا يصيرُ فانياً؛
وكُلُّ مَنْ هُوَ على بابِهِ ويقولُ *أنا ونحنُ*، مَرْدودٌ عَنِ البابِ ويلْحَقُ *لا* ؛

قِصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي طَرَقَ بابَ صَديقِهِ فقالَ مِنَ الدَّاخِلِ مَنْ، قالَ *أنا* ، قالَ بِما أنَّكَ *أنْتَ أنْتَ* لَنْ أفْتَحَ البابَ، فأنا لا أعْرِفُ مِنْ أصْدِقائي أحَداً يكونُ اسمُهُ *أنا*

جاءَ واحِدٌ وَطَرَقَ بابَ صَديقٍ، قالَ صَديقُهُ مِنْ أنْتَ أيْ مُعْتَمَد؛
قالَ *أنا* قالَ لَهُ اذْهَبْ فَلَيْسَ الوَقْتُ، على مِثْلِ هذا الخوانِ لا مكانَ لِخام؛
الخامُ مِنْ غَيْرِ نارِ الهَجْرِ والفِراق، متى ينضُجُ متى يخلُصُ مِنَ النِّفاق؛
راحَ ذاكَ المِسْكينُ ظَلَّ عاماً في السَّفَر، في فِراقِ الصَّديقِ احْتَرَقَ مِنَ الشَّرَر ؛
صارَ ناضِجاً ذلِكَ المُحْتَرِقُ ثُمَّ عادَ، ومِنْ جَديدٍ صارَ إلى مَنْزِلِ شَريكِهِ؛
ضَرَبَ حَلْقَةَ البابِ بِمِئَةِ خَوْفٍ وأدَبٍ، كي لا يَخْرُجَ لَفْظُ شَفَةٍ غَيْرُ مُؤَدَّبٍ؛
نادى صَديقُهُ مَنْ ذلِكَ الَّذي بالباب، قالَ على البابِ أنْتَ أيضاً أي مَحبوب؛
قالَ الآنَ حَيْثُ أنْتَ أنا أُدْخُلْ يا أنا؛ فلا سَعَةَ في المَنْزِلِ لاثْنَينِ يقولانِ أنا؛
فَلَيسَ هُناكَ مِنْ إبْرَةٍ تَسَعُ خيطَيْن، إنْ كُنْتَ واحِداً أُدْخُلْ في هَذِهِ الإبْرَة؛
فَلِلْخَيْطِ بالإبْرَةِ ارتباط، وليسَ مُناسِباً للجَمَلِ سَمُّ الخِياط؛

متى يصيرُ ناجِلاً كيانُ الجَمَل، إلّا بِمِقراضِ الرِّياضاتِ والعَمَل؛
وَجَبَ لِذاكَ يَدُ الحَقِّ أيْ فُلان، الَّتي كانَتْ لِكُلِّ مُحالٍ *كُنْ فَكان*؛
كُلُّ مُحالٍ مِنْ يَدَهِ يصيرُ مُمْكِناً، وكُلُّ حَرونٍ مِنَ الخَوْفِ مِنْهُ يصيرُ ساكِناً؛
الأكْمَهُ والأبْرَصُ ما يكونانِ، المَيْتُ أيضاً عادَ حَيّاً مِنْ فُتُونِ ذاكَ العَزيز؛
وَذاكَ العَدَمُ الَّذي كانَ أكثَرَ مَوتاً مِنَ المَوت، كانَ في كَفِّ إيجادِهِ مُضْطَرّاً؛
كُلَّ يَومٍ هُوَ في شأنٍ فَقُلْ، لا تَقُلْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ وَفِعْل؛
وذاكَ أنَّ أقَلَّ عَمَلٍ لَهُ كُلَّ يَومٍ، أنْ يَجْعَلَ ثلاثَةَ جُيوشٍ تَسيرُ لِجِهَتِها؛
جَيْشاً مِنَ الأصلابِ نَحْوَ الأُمَّهات، مِنْ أجْلِ أنْ يَنْبُتَ في الأرحامِ النَّبات؛
جَيْشاً مِنَ الأرحامِ إلى الأرْضِ، لِيَملأَ العالَمَ ذُكوراً وإناثاً؛
جَيْشاً مِنَ الأرْضِ إلى جِهَةِ الأجَلْ، حتَّى يرى كُلُّ شَخْصٍ حُسْنَ العَمَل؛
هذا الحديثُ لا ينتهي قُمْ بِنا سريعاً ، إلى ذَينِكَ الصَّديقَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ النَّقِيَّين؛

صِفَةُ توحيد

قالَ صَديقُهُ أُدْخُلْ أيْ جُمْلَتي، غَيْرَ المُخالِفِ كالوَرْدِ والشَّوكِ في الرَّوض؛
صارَ الخَيْطُ واحِداً وَقَلَّ الغَلَطُ الآن، إذ كُنتَ ترى اثنَينِ حَرْفَي الكاف والنُّون؛
الكافُ والنُّون مِثْلَ حَبْلِ قَنْصٍ جَذوب، لِيَفْتَحَ لِلْعَدَمِ بابَ الخُطوب؛
ثُمَّ يجِبُ أنْ يكونَ الحَبْلُ اثْنَيْنِ صُورَةً، رَغْمَ أنَّ الإثْنَيْنِ يكونانِ في الأثَرِ واحِداً؛
قَطْعٌ للطَّريقِ على رِجْلَيْنِ أمْ على أرْبَعٍ، كَالمِقراضِ لَهُ شَفْرَتانِ والقَطْعُ واحِدٌ؛
أُنْظُرْ إلى ذَينِكَ الغَسَّالَيْنِ الشَّريكَين، وهُناكَ خِلافٌ في الظَّاهِرِ بَيْنَ هذا وَذاك؛
ذاكَ الواحِدُ دَلَكَ قِطْعَةَ الثِّيابِ بالماء، وشريكُهُ الآخَرُ قامَ بِتَجْفيفِها؛
ثُمَّ قامَ هُوَ مُجَدَّداً بِتَبْليلِها بالماء، كأنَّهُما خَصْمانِ كُلٌّ يَعْمَلُ ضِدَّ الآخَر؛
لكِنَّ هذَيْنِ الضِّدَّيْنِ الخَصْمَيْنِ ظاهِراً، لهُما قَلْبٌ واحِدٌ وَشُغْلٌ واحِدٌ وكُلٌّ راضٍ؛

وكُلُّ نَبِيّ وكُلُّ وليّ لَهُ مَسْلَكٌ، لكِنَّهُمْ في الإرشادِ للحَقِّ جُمْلَةً واحِدٌ؛
حينَ أَخَذَ النَّومُ جَمْعَ المُسْتَمِعين، جَرَفَ الماءُ حِجارَةَ طاحونِ الماء؛
وجرى الماءُ مِنْ فَوقِ الطَّاحون، وذهابُهُ في الطَّاحونِ هُوَ مِنْ أجلِكُم؛
ولَمَّا لَمْ تَبْقَ بِكُمْ حاجَةٌ إلى الطَّاحون، عادَ الماءُ جارياً إلى الجَدْوَلِ الأصْليّ؛
والقُوَّةُ النَّاطِقَةُ مِنْ جِهَةِ الفَمِ تَعليمٌ صحيحٌ، وإلَّا لكانَ للنُّطْقِ جَدْوَلٌ مُنْفَصِلٌ؛
يَجري بلا صَوتٍ ولا تِكْرار، لِجِنانِ *تَجْري تَحْتَها الأنهار*؛
أي إلٰهي أظْهِرْ للرُّوحِ ذلِكَ المقام، الَّذي فيهِ مِنْ دونِ حَرْفٍ يسيلُ الكلام؛
لِتَجْعَلَ الرُّوحُ الطَّاهِرَةُ مِنْ رأسِها القَدَم، إلى العَرْصَةِ البَعيدَةِ الواسِعَةِ للعَدَم؛
عَرْصَةٍ شديدَةِ الاِتِّساعِ ذاتِ فَضاء، الخيالُ والوجودُ مِنْها يَجِدانِ الغِذاء؛
جاءَتِ الخيالاتُ أضْيَقَ مِنَ العَدَم، مِنْ ذلِكَ صارَ الخيالُ مِنْ أسبابِ الغَمّ؛
ثُمَّ إنَّ الوجودَ جاءَ أضْيَقَ مِنَ الخيال، مِنْ ذلِكَ يكونُ القَمَرُ فيهِ كالهِلال؛
ثُمَّ إنَّ وجودَ عالَمِ الحِسِّ واللَّون، جاءَ أضْيَقَ حَتَّى صارَ سِجْناً ضَيِّقاً؛
عِلَّةُ الضِّيقِ هِيَ التَّركيبُ، العَدَدُ يجذُبُ الأحاسيسَ إلى جانِبِ التَّركيب؛
حِسُّ عالَمِ التَّوحيد مِنْ ذلِكَ الجانِبِ، إذا أَرَدْتَ الواحِدَ امضِ إلى ذلِكَ الجانِب؛
أمْرُ *كُنْ* كانَ فِعْلاً والنُّونُ والكاف، واقِعانِ في الكلامِ والمَعْنى صافٍ؛
هذا الحديث بلا نِهايَةٍ عُدْ إلى أحوالِ الذِّئبِ، وكَيْفَ صارَتْ في هذِهِ المَعْرَكَة؛

تأديبُ الأسَدِ الذِّئبَ الَّذي قامَ بالقِسْمَةِ بلا أدَب

لَقَد انتَزَعَ رَفيعُ الشَّأنِ ذاكَ رأسَ الذِّئبِ، حَتَّى لا يبقى رأسانِ وامتيازان؛
هذِهِ *فانتَقَمْنا مِنْهُمْ* أيُّها الذِّئبُ العَجوز، لأنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَيْتاً أمامَ الأمير؛
بَعْدَ ذلِكَ تَوَجَّهَ الأسَدُ إلى الثَّعْلَب، قالَ اقسِمْ هذا مِنْ أجْلِ الطَّعام؛
قامَ بالسُّجودِ وقالَ هذا الثَّورُ السَّمينُ، طَعامُ الإفطارِ لَكَ أيْ مَلِكي المُختار؛

وذلِكَ التَّيْسُ مِنْ أجْلِ مُنْتَصَفِ النَّهار، وَنَجْعَلُ مَعَهُ المَرَقَ لِلْمَلِكِ المُظَفَّر؛
وذلِكَ الأَرْنَبُ الآخَرُ مِنْ أجْلِ العِشاء، قُوتُ لَيْلِ الشَّاهِ ذي اللُّطْفِ والكَرَم؛
قالَ أيْ ثَعْلَبُ أشْعَلْتَ مِصْباحَ العَدْلِ، مِثْلَ هذِهِ القِسْمَةِ مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ؛
مِنْ أيْنَ تَعَلَّمْتَ هذا أيُّها الكبير، قالَ يا مَلِكَ العالَمِ مِنْ حالِ الذِّئب؛
قالَ ما دُمْتَ قَدْ صِرْتَ رَهينَةَ عِشْقِنا، الثَّلاثَةُ لَكَ فَخُذْها جَميعاً وامْضِ؛
أيُّها الثَّعْلَبُ بِما أنَّكَ قَدْ صِرْتَ جُمْلَةً لنا، كيفَ نؤذيكَ وَقَدْ صِرْتَ أنتَ نَحْنُ؛
نَحْنُ لَكَ وَجُمْلَةُ الصَّيْدِ لَكَ، ضَعِ القَدَمَ على الفَلَكِ السَّابِعِ واصْعَدْ؛
بِما أنَّكَ أخَذْتَ العِبْرَةَ مِنَ الذِّئبِ الدَّنِيّ، فأنْتَ لَسْتَ ثَعْلَباً أنْتَ أسَدٌ؛
العاقِلُ يكونُ ذلِكَ الَّذي يأخُذُ العِبْرَةَ، مِنْ مَوتِ الرِّفاقِ في البلاءِ المُحْتَرَز؛
الثَّعْلَبُ آنَذاكَ أرسَلَ باللِّسانِ مِئةَ شُكْرٍ، أنْ دعاني الأسَدُ بَعْدَ أنْ دعا الذِّئب؛
فَلَوْ كانَ اختارَني أوَّلاً وأمَرَني، أنْ أنتَ اقسِمْ هذا لكانَ أخَذَ روحي؛
ثُمَّ الحَمْدُ للهِ أنْ جَعَلَنا في العالَمِ، موجودينَ مِنْ بَعْدِ الغابرين؛
حتَّى سَمِعْنا بِسُنَنِ الحَقّ، في القُرونِ الماضِيَةِ ذاتِ السَّبْق؛
لِيَكونَ لنا مِنْ حالِ الذِّئابِ مِنْ قَبْلِنا، حِفْظٌ أكْثَرُ كما كانَ لِلثَّعْلَب؛
فَدعانا مِنْ هذا الوَجْهِ أُمَّةً مَرحومَةً، رسولُ الحَقِّ ذاكَ والصَّادِقُ في البيان؛
فانظُروا العِظامَ والصُّوفَ مِنْ تِلْكَ الذِّئابِ، عياناً واعتَبِروا يا كِبار؛
فالعاقِلُ وَضَعَ عَنِ الرَّأسِ الوجودَ والغُرورَ، عِنْدَما سَمِعَ بِنِهايَةِ فِرْعَونَ وعاد؛
ولو لَمْ يَضَعْ لكانَ الآخَرونَ مِنْ حالِهِ، يأخُذونَ العِبْرَةَ مِنْ إضلالِه؛

تَهْديدُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ قَومَهُ أنْ لا تُخادِعوني فأنا مُخْتَفٍ بينَكُمْ وأَنْتُمْ في الحَقيقَةِ تُخادِعونَ اللهَ أيُّها المَخذولون

قالَ نوحٌ أيُّها العُصاةُ أنا لَسْتُ أنا، أنا مِنَ الرُّوحِ مَيْتٌ وبالحَبيبِ أحيا؛
أنا عِنْدَما مِتُّ عَنْ حواسِّ البَشَر، صارَ لِيَ الحَقُّ السَّمْعَ والإدراكَ والبَصَر؛
وما دُمْتُ أنا لَسْتُ أنا فهذا النَّفَسُ مِنْهُ، أمامَ هذا النَّفَسِ كُلُّ مَنْ تَنَفَّسَ كافِرٌ؛
إنَّ تَحْتَ صُورَةِ هذا الثَّعْلَبِ لأسَدٌ، فَمَعَ هذا الثَّعْلَبِ لا يجوزُ أنْ تكونَ جَريئاً؛
إنْ كُنْتَ تنظُرُ إلَيْهِ مِنْ وَجْهِ صُورَتِه، فأنتَ لَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ زئيرَ الآساد؛
لَو لَمْ تَكُنْ لِنوحٍ يَدٌ مِنَ الحَقّ، كَيْفَ إذَنْ ضَرَبَ العالَمَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛
كانَ مِئةَ أَلْفِ أسَدٍ في بَدَنٍ، كانَ كالنَّارِ والعالَمُ كالبَيْدَر؛
عِنْدما لَمْ يُراعِ البَيْدَرُ حُرْمَةَ العِشْر، فَوَّضَ تِلْكَ الشُّعْلَةَ بِذلِكَ البَيْدَر؛
وكُلُّ مَنْ كانَ في الخَفاءِ دُونما أَدَبٍ، وفَتَحَ الفَمَ كالذِّئب أمامَ هذا الأسَد؛
سيُمَزِّقُهُ ذلِكَ الأسَدُ كما فَعَلَ بالذِّئبِ، ويَقْرَأُ عَلَيْهِ *فانتَقَمْنا مِنْهُم*؛
وَيَتَعَرَّضُ لِضَرْبَةِ يَدِ الأسَدِ كالذِّئب، أمامَ الأسَدِ أبْلَهٌ مَنْ يكونُ شُجاعاً؛
ويا لَيْتَ تِلْكَ الضَّرْبَةَ أصابَتِ الجَسَدَ، وَظَلَّ القَلْبُ والإيمانُ سالِمَين؛
اِنْقَطَعَتْ قُوَّتي إذْ وَصَلْتُ إلى هُنا، كيفَ أستَطيعُ جَعْلَ هذا السِّرِّ ظاهِراً؛
اِفْعلوا مِثْلَ ذلِكَ الثَّعْلَبِ دونَ بَطْنٍ، ولا تَلْعبوا أمامَهُ لَعِبَ الثَّعالِب؛
نَحْنُ وأنا جُمْلَةً ضَعوا أمامَهُ، المُلْكُ مُلْكُهُ فأعطوهُ مُلْكَهُ؛
حينَ تأتونَ فُقَراءَ في الطَّريقِ المُسْتَقيم، الأسَدُ وَصَيْدُ الأسَدِ مُلْكٌ لَكُم؛
ذلِكَ أنَّهُ طاهِرٌ وَوَصْفُهُ السُّبحانُ، إنَّهُ غَنيٌّ عَنْ شَحْمٍ وَلَحْمٍ وجِلْدٍ؛
وكُلُّ صَيْدٍ وكُلُّ نِعْمَةٍ، هِيَ لِعبيدِ ذلِكَ المَلِك؛
لَيْسَ للمَلِكِ طَمَعٌ وَقَدْ خَلَقَ كُلَّ هذهِ الدَّولَةِ للخَلْق، سَعِدَ ذاكَ الَّذي عَرِفَه؛

وذاكَ الَّذي خَلَقَ الدَّولَةَ والدَّارَيْنِ، مُلْكُ الدُّوَلِ ما ينفعُه؛
أمامَ السُّبحانَ احفَظوا القُلوبَ كثيراً، حتَّى لا تَصيروا خَجِلين مِنْ ظَنِّ السُّوءِ؛
إنَّهُ يرى السِّرَّ والفِكْرَ والبَحْثَ والفَحْصَ، مِثْلَ حَبْلِ شَعْرَةٍ في اللَّبَنِ الخالِص؛
ذلِكَ الَّذي هُوَ خالي الصَّدْرِ مِنَ النَّقْشِ، يصيرُ مِرآةً لِنُقوشِ الغَيْب؛
ويُصْبِحُ سِرُّناَ يقيناً لَهُ بلا ظَنٍّ، ذلِكَ أنَّ المؤمِنَ مِرآةُ المؤمِن؛
وحينَ يَضَعُ نَقْدَنا على المَحَكّ، يَعْرِفُ اليقينَ مُمَيَّزاً عَنِ الشَّكّ؛
وحينَ تَصيرُ روحُهُ مَحَكّاً للنُّقودِ، فإنَّهُ يُمَيِّزُ الخالِصَ مِنَ الزَّائف؛

إجلاسُ المُلوكِ أمامَ وجوهِهِم الصُّوفِيّينَ
العارِفينَ لِتَصيرَ عُيونُهُم بِهِمْ مُنَوَّرَةً

كانَ للملوكِ مِثْلُ تِلْكَ العادَةِ، وأنْتَ قَدْ سَمِعْتَ بِها إنْ كُنْتَ تَذكُر؛
عَنْ يسارِهِمْ كانَ يَقِفُ الأبطالُ، ذاكَ لأنَّ قَلْبَ الشُّجاعِ مَربوطٌ باليَسار؛
وأهْلُ الشَّرَفِ وأهْلُ العِلْمِ عَنْ يمينِهِم، لأنَّ العِلْمَ والخَطَّ والثَّبْتَ لليَدِ اليمنى؛
ويَجْعَلونَ الصُّوفيّينَ أمامَ وجوهِهِم، لأنَّهُمْ مِرآةُ الرُّوحِ وأفْضَلُ مِنَ المرآة؛
صُدورُهُمْ مَصْقولَةٌ بالذِّكْرِ والفِكْر، كي تَقْبَلَ مِرآةُ القَلْبِ النَّقْشَ البِكْر؛
كُلُّ مَنْ وُلِدَ جَميلاً مِنْ صُلْبِ الفِطْرَةِ، يَجِبُ أنْ تُوضَعَ أمامَهُ مِرآةٌ؛
فإنَّ وَجْهَهُ يكونُ عاشِقَ المِرآة ، ويَكونُ صَيْقلاً للرُّوحِ وتَقوىً للقلوب؛

قُدومُ ضَيْفٍ على يوسُفَ عليهِ السَّلام وَطَلَبُ يوسُفَ تُحْفَةً وهَدِيَّةً مِنْه

جاءَ صَديقٌ رَحيمٌ مِنَ الآفاقِ، نَزَلَ على يوسُفَ الصِّدّيقِ ضيفاً؛
لَقَدْ كانا وَقْتَ الطُّفولَةِ صَديقَين، على وِسادَةِ الصَّداقَةِ مُتَّكِئين؛
ذَكَّرَهُ جَوْرَ الإخوانِ والحَسَدَ، قالَ ذاكَ كانَ زَنْجيراً وأنا أسَد؛

العارُ لا يلحَقُ الأسَدَ مِنَ السّلْسلَة، وليسَ لنا شكوى مِنْ قضاءِ الحَقّ؛
الأسَدُ وإنْ كانَ في رَقَبَتِهِ الزَّنجير، على كُلِّ صانِعٍ للقيودِ أمير؛
قالَ كيفَ كانَ حالُكَ في السِّجْنِ والجُبّ، قالَ كالقَمَرِ في المحاقِ والخسوف؛
القَمَرُ وإنْ بدا مَحنيَّاً في المحاقِ، أليسَ في الآخِرِ يصيرُ بَدْراً في السَّماء؛
حَبَّةُ الدُّرِّ وقَدْ دُقَّتْ بالمِهراس، صارَتْ نوراً للعَيْنِ والقَلْبِ ورِفْعَةِ الرُّؤية؛
حَبَّاتُ القَمْحِ الَّتي أُلْقِيَتْ تَحْتَ التُّراب، جَعَلَتْ مِنْ تُرابِها سَنابِل؛
ثُمَّ مَرَّةً أُخرى طُحِنَتْ بالطَّاحون، فزادَتْ قيمَتُها وصارَتْ خُبْزاً يَهَبُ الرُّوح؛
ثُمَّ إنَّ الخُبْزَ طُحِنَ بالأسنان، فصارَ عَقْلاً وروحاً وَفَهْماً للذَّكيّ؛
ثُمَّ إنَّ الرُّوحَ الَّتي صارَتْ مَمحوَّةَ العِشْق، صارَتْ بَعْدَ الزَّرْعِ *يُعْجِبُ الزُّرَّاع*؛
وهذا الحديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فعُدْ، لِما قالَ يوسُفُ لِذلِكَ الرَّجُلِ الطَّيِّب؛
بَعْدَ سَرْدِ قِصَصٍ قالَ أي فُلان، هاتِ ماذا جَلَبْتَ لي مِنْ هَديَّةٍ؛
فارِغُ اليَدِ على بابِ الأصْدِقاءِ أي فتى، مِثْلُ غَيرِ ذي القَمْحِ في الطَّاحون؛
الحَقُّ تَعالى قالَ لِلْخَلْقِ في الحَشْر، أينَ الهَديَّةُ لأجْلِ يَومِ النَّشْر؛
جِئتُمونا فُرادى بلا زادٍ، على نَفْسِ هيئةِ *خَلَقناكُم كذا*؛
ما الَّذي جَلَبْتُمْ مِنْ وسيلَةٍ، هديَّةً ليومِ القيامَة؛
أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ أمَلٌ بالرُّجوع، وكانَ مَوعِدُ اليَومِ عِنْدَكُمْ باطِلاً؛
أكُنْتَ مُنْكِراً لِمَوعِدِ ضيافَتِه، حَمَلْتَ مِنَ المَطْبَخِ التُّرابَ والرَّماد؛
وإلَّا كَيْفَ أيْ مُنْكِرُ ويدُكَ فارِغَةٌ، تَخْطو إلى بابِ ذاكَ الصَّديقِ هكذا؛
اِصْرِفْ قليلاً مِنَ النَّومِ والأكْلِ، واحْمِلْ هديَّةً مِنْ أجْلِ مُلاقاتِه؛
كُنْ قليلَ اللَّيْلِ مِمَّا يَهْجَعون، كُنْ لَدى الأسحارِ مَنْ يستَغْفِرون؛
قُمْ بِقليلٍ مِنَ الحَراكِ كالجنين، حتَّى يُعطيَكَ حواسَّ ترى النُّور؛
ومِنْ عالَمٍ كالرَّحِمِ اخْرُجْ خارِجاً، انتَقِلْ مِنَ الأرْضِ إلى العَرْصَةِ الواسِعَة؛

عَرْصَةُ إنَّ أرْضَ اللهِ واسِعَةٌ تِلْكَ، اعْرِفْها العَرْصَةَ الَّتي ذهَبَ فيها الأنبياء؛
القَلْبُ لَنْ يضيقَ مِنْ تِلْكَ العَرْصَةِ الواسِعَة، لنْ ييبَسَ غُصْنُ نخيلِها الرَّطيب؛
أنتَ لا تزالُ إلى الآنَ حامِلَ الحواس، وستصيرُ عاجِزاً متروكاً منكوساً؛
عِنْدما كُنْتَ محمولاً لا حامِلاً وَقْتَ النَّوم، ذهَبَ التَّعَبُ وَصِرْتَ بلا أَلَمٍ وغَمّ؛
أُنْظُرْ إلى حالِ النَّومِ كمِثالٍ، واحْمِلْ عليهِ حالَ الأولياء؛
الأولياءُ أصحابُ كَهْفٍ أي عَنود، في قيامٍ وفي تَقَلُّبٍ وهُم رقود؛
يُقَلِّبُهُم بلا تَكَلُّفٍ في الفِعال، في غَفْلَةٍ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمال؛
ذاتَ اليمينِ مِنْهُم الفِعْلُ الحَسَن، ذاتَ الشِّمالِ مِنْهُم شُغْلُ البَدَن؛
هذانِ العَمَلانِ يجريانِ مِنَ الأنبياء، بلا خَبَرٍ مِنْهُمْ عَنهُما كَمِثْلِ الصَّدى؛
الجَبَلُ أَسْمَعَكَ صوتَكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ، ذاتُ الجَبَلِ عَنْ كِلا الاِثْنَيْنِ كانَ غافِلاً؛

قَولُ الضَّيْفِ لِيوسُفَ عليهِ السَّلام أَنَّني جَلَبْتُ لَكَ هديَّةً مِرآةً لكي تَتَذكَّرَني كُلَّ مَرَّةٍ تَنْظُرُ فيها وترى وجْهَكَ الحَسَن

قالَ يوسُفُ هيَّا أعْطِ الهديَّةَ، هُوَ مِنَ الخَجَلِ مِنْ هذا الطَّلَبِ أطلَقَ صَرْخَةً؛
قالَ لَقَدْ بَحَثْتُ كثيراً عَنْ هديَّةٍ لَكَ، فَلَمْ يَظْفَرْ نَظَري لَكَ بِهَديَّةٍ؛
كيفَ أحْمِلُ حَبَّةً إلى المَنْجَمِ، كيفَ أحْمِلُ قَطْرَةً إلى البَحْر؛
كَيْفَ أحْمِلُ الكمونَ إلى ***كرمان***، أُريدُ أنْ أحْمِلَ لَكَ القَلْبَ والرُّوح؛
لا بِذْرَةَ إلَّا وهيَ موجودَةٌ بِهذا المَخْزَن، غَيْرَ حُسْنِكَ الَّذي هُوَ بلا نَظير؛
فَرَأَيْتُ مِنَ اللّائقِ أنْ أجْلِبَ لَكَ، مِرآةً فأنتَ نورُ الصَّدْر؛
كي ترى وَجْهَكَ الجَميلَ فيها، أي مَنْ أنتَ الشَّمْسُ شَمْعَةُ السَّماء؛
جَلَبْتُ لَكَ أي نورُ مِرآةً، حتَّى إذا ما رأيتَ وَجْهَكَ الجميلَ تذكَّرْتَني؛
أخرَجَ مِرآةً مِنْ تَحْتِ إبطِه، مِرآةً ستصيرُ مَشغولَةً بِهذا الجَمال؛

بِما أنَّ مِرآةَ الوجودِ هيَ العَدَم، إنْ لَمْ تَكُنْ أبلَهاً فاحْمِلِ العَدَم؛
الوجودُ مُمْكِنُ الإظهار بالعَدَمِ، الأغنياءُ على الفُقراءِ يجودون؛
مرآةُ الخُبْزِ الصَّافِيَةُ الجائعُ، المُحْتَرِقُ مِرآةُ النَّارِ الحارِقَة؛
العَدَمُ والنَّقْصُ هُما حيثُما وُجِدا، مِرآةُ جمالِ جُمْلَةِ الصَّنائع؛
الثَّوبُ لو كانَ جاهِزاً ومخيطاً، متى يصيرُ مَظْهَرَ عِلْمِ وَفَنِّ الحائك؛
يجِبُ كَونُ الجُذوعِ غَيْرَ مُسَوَّاةٍ، ليشتَغِلَ النَّجَّارُ بالأُصولِ والفُروع؛
السَّيِّدُ مُجَبِّرُ الكسورِ يَذْهَبُ إلى هُناكَ، لأنَّ مَكْسورَ السَّاقِ كانَ هُناك؛
لو لم يكُنْ هُناكَ مريضٌ عاجِزٌ، متى يصيرُ جَمَالُ صَنْعَةِ الطِّبِّ واضِحاً؛
لولا حقارَةُ ودونيَّةُ النُّحاسِ في الملأ، متى يَظْهَرُ أثَرُ الكيمياء؛
النَّقائصُ مرايا وَصْفِ الكَمال، وتِلْكَ الحَقارَةُ مِرآةُ العِزِّ والجلال؛
ذلِكَ الضِّدُّ يَجْعَلُ ضِدَّهُ ظاهِراً يقيناً، ذلِكَ أنَّ وجودَ الخَلِّ أظْهَرَ حلاوة العَسَل؛
كُلُّ مَنْ رأى نَقْصَ نَفْسِهِ وعَرِفَهُ، جرى في طريقِ الاستِكمالِ بِعَشْرَةِ جياد؛
لأنَّ ذلِكَ الَّذي يَظُنُّ بِنَفْسِهِ الكمال، لا يطيرُ إلى جِهَةِ ذي الجلال؛
لا عِلَّةَ أسوأُ مِنْ سوءِ ظَنِّ الكمال، تُوجَدُ في الرُّوحِ مِنْكَ أي ذا الدَّلال؛
مِنْ قَلبِكَ ومِنْ عَيْنِكَ سَيَذْهَبُ دَمٌ كثيرٌ، حتَّى يَذْهَبَ مِنْكَ هذا العُجْب؛
عِلَّةُ إبليسَ كانَتْ *أنا* خَيْرٌ، وهذا المَرَضُ موجودٌ في نَفْسِ كُلِّ مَخلوق؛
لا شَكَّ مَنْ رأى كَسْرَ نَفْسِهِ الشَّديدَ، رأى الماءَ صافياً والبَعْرُ في قَعْرِ الجَدْول؛
فإذا أثاروا بِكَ الإضطِرابَ في الإمتِحان، صارَ الماءُ بِلَونِ البَعْرِ في الحال؛
في قَعْرِ الجَدوَلِ يُوجَدُ البَعْرُ أي فتى، رَغْمَ أنَّ الماءَ بدا صافياً لَكَ؛
اعْرِفْ شَيْخَ الطَّرِيقِ المليءَ بالفِطَن، اِرْوِ حدائقَ النَّفْسِ الكُلِّيَّةِ بالجداوِل؛
متى يستطيعُ الجَدْولُ أنْ يُطَهِّرَ نَفْسَهُ، إنَّ عِلْمَ المَرءِ صارَ نافِعاً مِنْ عِلْمِ الله؛
متى ينحَتُ السَّيْفُ قبضَتَه، اِذْهَبْ وَسَلِّمْ الجُرْحَ لِجَرَّاح؛

على كُلِّ جُرْحٍ يَتَجَمَّعُ الذُّباب، كي لا يرى شَخْصٌ قُبْحَ جُرْحِ نَفْسِه؛
ذلِكَ الذُّبابُ أفكارُكَ ومالُك، وجُرْحُكَ ذاكَ ظُلُماتُ أحوالِك؛
إذا وَضَعَ الشَّيخُ مَرْهَماً على جُرْحِك، يصيرُ في الحالِ ساكِناً مِنَ الألَمِ والأذى؛
لِتَظُنَّ أنَّ الجُرْحَ قَدْ طابَ، مِنْ ضياءِ المَرْهَمِ الَّذي شَعَّ ها هُناك؛
لا تَرْفُضِ المَرْهَمَ أيْ جَريحَ الظَّهْر ، واعْرِفْ ذلِكَ مِنَ الضِّياءِ لا مِنْ نَفْسِك؛

ارتِدادُ كاتِبِ الوَحْيِ بِسَبَبِ أنَّ نُورَ الوَحْيِ ألقى عَلَيْهِ تِلْكَ الآيَةَ قَبْلَ أنْ يَقْرأها النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه قالَ إذَنْ أنا أيضاً مِحَلٌّ للوحي

مِنْ قَبْلِ عُثْمانَ كانَ هُناكَ نَسَّاخٌ، وكانَ يُظْهِرُ الجِدَّ في نَسْخِ الوَحْي؛
كانَ إذا ألقى النَّبِيُّ عِلْماً مِنَ الوَحْي، قامَ بِتَحْريرِهِ كما هُوَ عَيناً على الوَرْق؛
بَريقٌ مِنْ ذلِكَ الوحي شَعَّ عَلَيه، فَوَجَدَ في داخِلِ نَفْسِهِ حِكْمَةً؛
عَيْنَ تِلْكَ الحِكْمَةِ الَّتي أمَرَ الرَّسول، مِنْ هذا القَدْرِ صارَ ضالاًّ أبو الفُضول؛
أنْ كُلُّ ما يقولُ الرَّسولُ المُستنير، حَقيقَتُهُ عِنْدي مَوجودَةٌ في الضَّمير؛
شُعاعُ تَفكيرِهِ وَقَعَ على الرَّسول، فكانَ لِقَهْرِ الحَقِّ على روحِهِ نُزول؛
مِنَ النَّسْخِ وأيضاً مِنَ الدِّين، صارَ عَدوّاً حاقِداً على المُصْطَفى وعلى الدِّين؛
قالَ المُصطفى للمَجوسيِّ العَنود، كَيْفَ صِرْتَ أسوَدَ وكانَ مِنْكَ نور؛
لو كُنْتَ ينبوعاً إلٰهيّاً، ما فَتَحْتَ مِثْلَ هذا الماءِ الأسوَدِ عَلَينا؛
وحتَّى لا ينكَسِرَ ناموسُهُ أمامَ هذا وذاك، أغْلَقَ هذا الرَّجُلُ فَمَهُ؛
وباطِنُهُ كانَ يُحْرِقُهُ أيضاً لِهذا السَّبَب، ولَمْ يَقُمْ بإيرادِ التَّوبَةِ هذا عَجَب؛
يُطْلِقُ الآهَ ولم يكُنْ لَهُ نَفْعٌ مِنَ الآه، حينَ جاءَ السَّيْفُ واصطَلَمَ رأسَه؛
الحَقُّ جَعَلَ النَّاموسَ أقوى مِنْ مِئَةِ حديدٍ، أي كَمْ مِنْ مُقيَّدٍ بِقَيْدٍ غَيْرِ ظاهِرٍ؛
الكِبْرُ والكُفْرُ أغلقا ذلِكَ الطَّريق، فَلَمْ يَجْعَلِ الرَّجُلُ آهاتِهِ ظاهِرَةً؛

قالَ *أغلالاً فَهُمْ بِها مُقْمَحون*، هذِهِ الأغلالُ ليسَتْ لنا ظاهِرَةً؛
خلْفَهُمْ سَدّاً فأغشيناهُمْ، فلا يرى القَيْدَ مِنْ أمامِهِ ومِنْ خَلْفِه؛
ذلِكَ السَّدُّ الَّذي قامَ لَهُ لَونُ الصَّحْراء، هُوَ لا يعْرِفُ أنَّ ذاكَ سَدُّ القَضاء؛
معشوقُكَ سَدٌّ في وَجْهِ المَعشوق، مُرْشِدُكَ كأنَّهُ السَّدُّ في وَجْهِ المُرشِد؛
أي كَمْ مِنَ الكُفَّارِ لَهُمْ هَوَسٌ بالدِّين، قيدُهُم النَّاموسُ والكِبْرُ وهذا وذاك؛
قَيْدٌ خَفِيٌّ ولكِنَّهُ أسوأُ مِنَ الحديد، قَيْدُ الحَديدِ تَقطَعُهُ الفَأس؛
قيدُ الحديدِ تَستطيعُ أنْ تَفُكَّهُ، قيدُ الغَيْبِ لا يَعْرِفُ شَخْصٌ لَهُ دواءً؛
الرَّجُلُ إذا لَسَعَتْهُ نَحْلَةٌ، أسْرَعَ طَبْعُهُ في اللَّحْظَةِ لِدَفْعِ اللَّسْعَة؛
هذا مِنْ وَخْزِ إبْرَةٍ أمَّا إذا كانَ مِنْ وجودِك، فالغَمُّ قَويٌّ ولا يَضْعُفُ الألَم؛
شَرْحُ هذا يَقْفِزُ خارِجاً مِنْ صَدري، لكِنْ أخافُ أنْ يُسَبِّبَ اليأس؛
لا تَكُنْ يائساً وكُنْ سَعيداً، أمامَ المُغيثِ أطْلِقْ صَرْخَةَ المُستَغيث؛
أنْ أيْ مُحِبَّ العَفْوِ أُعْفُ عَنَّا، أيْ طَبيبَ ألَمِ جُرْحِنا القديم؛
انعِكاسُ الحِكْمَةِ جَعَلَ ذلِكَ الشَّقِيَّ يُثَرْثِرُ، لا تَرَ النَّفْسَ حتَّى لا يُحيلَكَ غُباراً؛
أي أخي الحِكْمَةُ مِنْكَ جارِيَة، تِلْكَ مِنَ الأبدالِ وهيَ لَدَيكَ عارِيَة؛
إنْ كُنْتَ وَجَدْتَ في نَفْسِكَ بيتاً مِنَ النُّور، ذاكَ مِن جارِكَ المُنَوّرِ استنار؛
كُنْ شاكِراً ولا تَكَبَّرَ ولا تَغْتَرَّ، واستَمِعْ وإيَّاكَ والإعجابَ بالنَّفْس؛
مِئةَ مَرَّةٍ أسَفاً وألَماً أَنَّ هذِهِ العارِيَةَ، أبْعَدَتِ الأُمِّيِّينَ عَنِ الأُمَّة؛
أنا غُلامُ ذلِكَ الَّذي هُوَ في كُلِّ رِباط، لا يرى نَفْسَهُ واصِلاً إلى السِّماط؛
كمْ مِنْ رِباطٍ واجِبٌ تَرْكُهُ، كي يَصِلَ المَرءُ يوماً إلى مَسْكَنِه؛
رَغْمَ أنَّ الحديدَ يَحْمَرُّ هُوَ ليسَ أحْمراً، ضياؤهُ عارِيَةُ اشتِعالِ النَّار؛
إذا امتَلأتْ نافِذَتُنا بالنُّورِ أو مَنْزِلُنا، أنْتَ لا تَعْتَبِرْ مُضيئاً إلَّا الشَّمْس؛
كُلُّ بابٍ وكُلُّ جِدارٍ يقولُ أنا مُضيءٌ، ليسَ الَّذي عِنْدي ضياءُ غَيري هذا أنا؛

فتقولُ لهُ الشَّمْسُ ايُّها اللّارَشيد، حينَ أكونُ غارِبَةً يَظْهَرُ الأمْر؛
الخُضَرُ قالَتْ أنا خَضْراءُ مِنْ نَفسي، مَسرورَةٌ ضاحِكَةٌ جَميلَةُ الخَدِّ جِدّاً؛
فقالَ فَصْلُ الصَّيْفِ أيَّتُها الأُمَمُ، انظُروا إلى أنْفُسِكُم عِنْدَما أذْهَب؛
الجَسَدُ يختالُ بالحُسْنِ والجَمال، الرُّوحُ مَخْفيَّةٌ بالنُّورِ والرِّيشِ والجناح؛
كأنَّها تقولُ لَهُ أيْ مَزْبَلَةُ مَنْ أنتَ، لَقَدْ عِشْتَ يوماً أو يومَينِ مِنْ ضيائي؛
فَلَمْ تَسَعْ غُنْجَكَ ودلالَكَ الدُّنيا، فانتَظِرْ حتَّى أفِرَّ عَنْكَ؛
وَيَضَعَكَ المُعَزُّونَ في القَبْر، ويجعَلوكَ طعامَ النِّمالِ والحَيَّات؛
ويُمسِكُ مِنْ نَتَنِكَ الأنْفَ ذلِكَ الشَّخْصُ، الَّذي كثيراً ما كانَ يَخْضَعُ أمامَك؛
شُعاعُ الرُّوحِ نُطْقٌ وَنَظَرٌ وَسَمْعٌ، شُعاعُ النَّارِ كانَ غَلَيانَ الماء؛
ومِثْلَما يكونُ شُعاعُ الرُّوحِ على البَدَنِ، يكونُ شُعاعُ الأبدالِ على الرُّوح؛
روحُ الرُّوحِ إذا سَحَبَتِ القَدَمَ عَنِ الرُّوحِ، تَصيرُ الرُّوحُ مِثْلَ بَدَنٍ بلا روح؛
مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ أنا أضَعُ الرَّأسَ على الأرْض،كي تكونَ لي شاهِداً يومَ الدِّين؛
يومُ الدِّينِ *إذا زُلْزِلَتْ زِلْزالَها*، هذِهِ الأرْضُ تكونُ شاهِداً على أحوالِها؛
فهيَ تُحَدِّثُ جَهْرَةً أخْبارَها، تَجيءُ مُتَحَدِّثاً تُرابُها وأحْجارُها؛
المُتَفَلْسِفُ مُنْكِرٌ بالفِكْرِ والظَّنّ، يقولُ اذْهَبْ واضْرِبِ الرَّأسَ بِذلِكَ الجِدار؛
نُطْقُ الماءِ ونُطْقُ التُّرابِ وَنُطْقُ الطِّينِ، محسوسُ حواسِّ أهْلِ القَلْب؛
المُتَفَلْسِفُ المُنْكِرُ لِحنينِ الجِذْعِ، غريبٌ عَنْ حواسِّ الأولياء؛
يقولُ إنَّ شُعاعَ فَسادِ فِكْرِ الخَلْق، يأتي بالكَثيرِ مِنَ الخيالاتِ في عُقولِ الخَلْق؛
بَلْ انْعِكاسُ فَسادِهِ وكُفْرِهِ، هوَ الَّذي ألقى بِخيالِ الإنكارِ عَلَيْه؛
المُتَفَلْسِفُ المُنْكِرُ لوجودِ الشَّيطان، في الوَقْتِ عَيْنِهِ مُسَخَّرٌ مِنَ الشَّيطان؛
إن لَمْ تَرَ الشَّيطانَ انْظُرْ إلى نَفْسِكَ، زُرْقَةُ الجبينِ ليسَتْ على غَيرِ المَجنون؛
كُلُّ مَنْ في قَلْبِهِ شَكٌّ وإشكالٌ، هوَ في الدُّنيا مُتَفَلْسِفٌ خَفِيٌّ؛

يُظْهِرُ الاِعْتِقادَ ومِنْ حينٍ إلى حينٍ، عِرْقُ التَّفَلْسُفِ يَجْعَلُ وَجْهَهُ أسْوَداً؛
الحَذَرَ أي مؤمنونَ فذاكَ فيكُمْ، إنَّ فيكُمْ عوالِمَ كثيرَةً بلا مُنتهى؛
جُمْلَةُ الاِثنَتَينِ وسبعينَ مِلَّةً فيكُم، واهاً فَيَوماً ستُطِلُّ بِرَأسِها مِنْكُم؛
كُلُّ مَنْ كانَ عِنْدَهُ قَصْدُ ذلِكَ الإيمان، يكونُ مُرْتَجِفاً مِنَ الخَوفِ مِثْلَ وَرَقَةٍ؛
كُنْتَ تَضْحَكُ على الشَّيطانِ وإبليسَ مِنْ ذاكَ، أنْ رأيْتَ نَفْسَكَ رَجُلاً صالِحاً؛
عِنْدَما تَجْعَلُ الرُّوحُ جِلْدَكَ مَقلوباً، كَمْ مِنْ *واويلاهُ* تَخْرُجُ مِنْ أهْلِ الدِّين؛
في الدُّكَّانِ كُلُّ ما لَهُ مَظْهَرُ الذَّهَبِ، ضاحِكٌ لأنَّ حَجَرَ الاِمتِحانِ مَخْفيّ؛
لا تَرْفَعْ عنَّا الغِطاءَ يا سَتَّار، وكُنْ لنا مُجيراً عِنْدَ الاِخْتِبار؛
القَلْبُ يخْفِقُ للذَّهَبِ باللَّيلِ يَضْرِبُ الأضلاع، والذَّهَبُ يَجْعَلُهُ بانتِظارِ النَّهار؛
ولقد قالَ لَهُ الذَّهَبُ بِلِسانِ الحال، اِبْقَ أيُّها المُزَوّرُ حتَّى يَطْلَعَ مُنْتَشِراً النَّهار؛
مِئاتُ ألوفِ السِّنينَ إبليسُ اللَّعينُ، كانَ مِنَ الأبدالِ وأميرَ مؤمنين؛
وَجَّهَ الضَّرْبَةَ لآدَمَ مِنَ الكِبْرِ الَّذي عِنْدَهُ، صارَ مَفضوحاً كالبَعْرِ وَقْتَ الضُّحى؛

دُعاءُ بَلْعَمْ باعور بِأنْ يَرْجِعَ موسى وَقَومُهُ خائبينَ مِنْ هذِهِ المَدينَةِ الَّتي كانوا حاصَروها

صارَ خَلْقُ الدُّنيا بِبَلْعَم باعور، مَخدوعينَ كأنَّهُ عيسى الزَّمان؛
لَمْ يسجُدوا لِشَخْصٍ سِواه، كانَ سِحْرُهُ صِحَّةً مِنَ الألَم؛
فعانَدَ موسى مِنَ الكِبْرِ والكمال، وصارَ إلى ما سَمِعْتَ مِنْهُ الحال؛
في العالَمِ مِثْلَهُ مِئةُ ألْفِ إبليسٍ وَبَلْعَم، كانوا ظاهِرينَ ومُخْتَفين؛
جَعَلَ اللهُ هذينِ الإثْنَينِ مَشْهُورَين، ليكونا على الباقينَ شاهِدَين؛
جَعَلَ هذينِ الاِثنَيْنِ على مَشْنَقَةٍ عالِيَةٍ، وفي القَهْرِ الإلٰهيّ كثيرٌ مِنَ اللُّصوص؛
جَلَبَ هذينِ في رايَةٍ نَحْوَ المَدينَة، قَتْلى القَهْرِ لا يُمكِنُ إحصاؤهُم؛

مُكَرَّمٌ أنْتَ لكِنْ في الحَدِّ الحَسَنْ، اللهَ اللهَ لا تَجاوَزِ الحَدَّ بالقَدَم؛
لو التَقَيْتَ بِمَنْ هُوَ أكثَرُ كرامَةً مِنْكَ، لأخَذَكَ إلى تَحْتِ قَعْرِ الأرْضِ السَّابِعَة؛
مِنْ أجْلِ ماذا كانَتْ قِصَّةُ عادٍ وثَمود، لِتَعْلَمَ أنَّ للأنبياءِ كرامَةً؛
علامَةُ الخَسْفِ والقَذْفِ والصَّاعِقَةِ، صارَتْ بيانَ عِزِّ النَّفْسِ النَّاطِقَة؛
أُقْتُلْ جُمْلَةَ الحيوانِ مِنْ أجْلِ الإنسان، واقْتُلْ جُمْلَةَ الإنسانِ مِنْ أجْلِ العَقْل؛
إنَّما العَقْلُ هُوَ العَقْلُ الكُلِّيُّ للحَبيب، والعَقْلُ الجُزئيُّ عَقْلٌ ولكِنَّهُ ناقِص؛
مِنَ الآدَميّ جَمْعُ الحَيوانِ الوَحْشِيِّ، صارَ أقَلَّ مِنَ الحَيوانِ الإنسيّ؛
صارَ لِلْخَلْقِ إلى دِمائها سَبيل، ذاكَ لأنَّها وَحْشِيَّةٌ عَنِ العَقْلِ الجَليل؛
عِزَّةُ الوَحْشِيِّ لِهذا السَّبَبِ قَلَّتْ، لأنَّهُ جاءَ مُخالِفاً للإنسان؛
ثُمَّ أيَّةُ عِزَّةٍ تكونُ لَكَ أيْ نادِرَةً، إذا ما أنْتَ صِرْتَ حُمُراً مُسْتَنْفِرَةً؛
لا يجوزُ قَتْلُ الحِمارِ مِنْ أجْلِ الصَّلاح، فإذا صارَ وَحْشِيَّاً فَدَمُهُ مُباح؛
رَغْمَ أنَّ الحِمارَ لا زاجِرَ لَهُ مِنْ عِلْمٍ، لا يَجِدُ لَهُ الوَدودُ أيَّ عُذْرٍ؛
إذَنْ إذا ما صارَ آدَمِيٌّ وَحْشِيَّاً، متى يكونُ مَعْذوراً أيْ صَديقاً سَمِيَّاً؛
لا جَرَمَ أنَّ الكُفَّارَ دَمُهُم مُباح، مِثْلَ الوَحْشِيِّ أمامَ النُّشَّابِ والرِّماح؛
أزواجُهُمْ وأولادُهُمْ جُمْلَةً سَبيل، لأنَّهُمْ بلا عَقْلٍ وَكُلُّهُم مَرْدودٌ ذَليل؛
باذُ العَقْلِ الَّذي نَفَرَ مِنْ عَقْلِ العَقْلِ، مِنَ الحيَواناتِ قامَ بِنَقْلِ العَقْل؛

اعتِمادُ هاروت وماروت على عِصْمَةِ النَّفْس
وطَلَبُهُما الاختِلاطَ بِأهْلِ الدُّنيا وَوُقُوعُهُما في الفِتْنَة

مِثْلَ هاروتَ وماروتَ الشَّهيرَين، أصابَهُما مِنَ البَطَرِ سَهْمٌ مسموم؛
كانَ اعتِمادُهُما على قُدْسِ نَفْسَيْهِما، كاعتِمادِ الجاموسِ بالنِّسْبَةِ للأسَد؛
رَغْمَ أنَّهُ قامَ بِمِئَةِ حِيلَةٍ بالقَرْنِ، فإنَّ الأسَدَ قامَ بِتَمْزيقِهِ إرْباً؛

لو كانَ للثَّورِ مِنَ القُرونِ مِثْلَ القُنْفُذ، الأسَدُ للثَّورِ لا مَحالَةَ قاتِل؛

الرِّيحُ الصَّرْصَرُ تَقْتَلِعُ أشجاراً كثيرَةً، لكِنَّها تَعْمَلُ الإحسانَ للأعشابِ الطَّرِيَّة؛

تِلْكَ الرِّيحُ العاتِيَةُ رَحِمَتِ الأعشابَ الضَّعيفَة، أيْ قَلْبُ لا تُباهِ بالقُوَّة؛

المِدْيَةُ لا تَخافُ مِنْ ازْدِحامِ أغصانِ الأشجار، بَلْ تُقَطِّعُها إرْباً إرْباً؛

لكِنَّها لا تَضْرِبُ الأوراقَ، لا تَجْعَلُ حَدَّها على غَيْرِ ذي حَدّ؛

أيُّ خَوفٍ لِشُعْلَةِ النَّارِ مِنْ كَوْمَةِ الحَطَبِ، متى هَرَبَ القَصَّابُ مِنْ خَيْلِ الغَنَم؛

أمامَ المَعْنى ما الصُّورَةُ البَونُ واسِعٌ، مَعْنى الفَلَكِ يَقلبُ الفَلَكَ رأساً على عَقِب؛

أنْتَ خُذْ قياساً مِنْ دولابِ الفَلَكِ، دورانُهُ مِمَّن، مِنَ العَقْلِ المُشير؛

وَدَوْرَةُ هذا القالَبِ مِثْلَ الفَلَك، هِيَ مِنَ الرُّوحِ المُسْتَتِرِ أيْ وَلَد؛

دَوَرانُ هذِهِ الرِّيحِ مِنْ مَعْناها، مِثْلَ دولابٍ مَعْدَنيٍّ أسيرِ ماءِ السَّاقِيَة؛

جَزْرُ وَمَدُّ ودُخولُ وخُروجُ النَّفَس، مِمَّ يكونُ إلَّا مِنَ الرُّوحِ المليئةِ بالـهَوَس؛

حيناً تَجْعَلُهُ جيماً حيناً حاءً ودالاً، حيناً تَجْعَلُهُ صُلْحاً وحيناً جِدالاً؛

سَلَّطَ إلٰهُنا مِثْلَ هذِهِ الرِّيحِ، على عادٍ كأنَّها تِنِّين؛

وحينَ تِلْكَ الرِّيحُ عادَتْ على المؤمِنينَ، عادَتْ بالصُّلْحِ والمُراعاةِ والأمان؛

قالَ *المَعْنى هُوَ اللّٰهُ* شَيْخُ الدِّين، بَحْرُ معاني رَبِّ العالَمين؛

جُمْلَةُ أطباقِ الأرْضَ والسَّماء، كأنَّها القَشَّةُ في ذلِكَ البَحْرِ الجاري؛

حَمَلاتُ وَرَقْصُ القَشَّةِ في الماء، جاءَتْ أيضاً مِنَ الماءِ وَقْتَ الاِضطِراب؛

ولَمَّا أرادَها ساكِنَةً عَنِ السَّعْي، ألقى بِتِلْكَ القَشَّةِ إلى جِهَةِ السَّاحِل؛

حينَ سَحَبَها مِنَ السَّاحِلِ وَقْتَ المَوْجِ، فَعَلَ بِها ما تَفْعَلُ النَّارُ بالـهَشيم؛

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فانتَقِلْ، إلى جِهَةِ هاروتَ وماروتَ أيُّها الشَّابّ؛

بقيَّةُ قِصَّةِ هاروتَ وماروتَ ونكالُهُما
وعُقوبَتُهُما في الدُّنيا أيضاً في بِئرِ بابِل

حَيْثُ أنَّ ذَنْبَ وفِسْقَ خَلْقِ الدُّنيا، ظَهَرا لِكِلَيْهِما واضِحَيْنِ ذلِكَ الزَّمان؛
الخَلْقُ يعَضُّونَ الأيديَ مِنَ الغَضَبِ، لكِنْ لَمْ يَرَوا عَيْبَ أنْفُسِهِمْ بالعَيْن؛
رأى نَفْسَهُ في المِرآةِ ذلِكَ الرَّجُلُ القَبيحُ، فأدارَ الوَجْهَ مِنْ ذلِكَ وَغَضِب؛
المُعْجَبُ بالنَّفْسِ إذا رأى جُرْمَ شَخْصٍ، اشتَعَلَتْ فيهِ نارٌ ظاهِرَةٌ مِنْ جَهَنَّم؛
فَسَمَّى ذلِكَ الكِبْرَ مِنْهُ حَمِيَّةً للدِّين، وَلَمْ يَنْظُرْ في نَفْسِهِ إلى النَّفْسِ المَجوسيَّة؛
حَمِيَّةُ الدِّينِ هذِهِ لها دَليلٌ آخَرٌ، تَصيرُ مِنْهُ نارُ الدُّنيا خَضْراء؛
قالَ لَهُمُ الحَقُّ إنْ كُنْتُمْ ذوي ضياءٍ، لا تَنْظُروا إلى سَوادِ فِعالِ المُغَفَّلين؛
أُنطُقوا بالشُّكْرِ أيُّها الجَيْشُ والعَبيدُ، أنْ تَحَرَّرْتُمْ مِنَ الشَّهْوَةِ وَمِنَ العُبوديَّة؛
لَو وَضَعْتُ مِنْ ذلِكَ المَعْنى أكْثَرَ عَلَيْكُم، ما كانَتِ السَّماءُ لِتَقْبَلَكُمْ؛
العِصْمَةُ الَّتي وَضَعْتُها لَكُمْ في البَدَن، تِلْكَ مِنْ انعِكاسِ عِصْمَتي وَحِفْظي؛
فَلْتَرَوا تِلْكَ مِنّي لا مِنَ النَّفْسِ حَذارِ، كَيْ لا يَنْتَصِرَ عَلَيكُم الشَّيطانُ الرَّجيم؛
كما كانَ مِنْ كاتِبِ وَحْيِ الرَّسول، أنْ رأى الحِكْمَةَ في النَّفْسِ ونورَ الأُصول؛
فاعْتَبَرَ لِنَفْسِهِ أيضاً صَوْتَ طائِرِ اللهِ، وَصَوتُهُ ذاكَ الصَّفيرُ الرَّديءُ كالصَّدى؛
وإنْ كُنْتَ واصِفاً لِلَحْنِ الطُّيور، متى تَصيرُ واقِفاً على مُرادِ الطَّيْر؛
وإنْ كُنْتَ تَعَلَّمْتَ صَفيرَ البُلْبُل، ما يُدريكَ بِما يجري بينَهُ وَبَيْنَ الورود؛
وإنْ كُنْتَ عَلِمْتَ ذاكَ أيْضاً مِنَ الظَّنّ، فالظُّنونُ مِنْ حَرَكاتِ الشِّفاهِ قَدْ تَشطُّ؛

ذَهابُ أَصَمٍّ لِعيادَةِ جارِهِ المريض

قالَ رَجُلٌ عالي القَدْرِ لِذلِكَ الأصَمّ، إنَّ جارَكَ أصْبَحَ مَريضاً؛
قالَ الأصَمُّ لِنَفْسِهِ مَعَ ثِقَلِ السَّمْع، ما الَّذي سأفْهَمُ مِنْ حديثِ ذلِكَ الشَّابّ؛
خاصَّةً وَهُوَ مَريضٌ وَضَعيفُ صَوتٍ، لكِنْ لا بُدَّ مِنَ الذَّهابِ يَجِبُ الذَّهابُ؛
وحينَ أرى شَفَتَهُ تِلْكَ تَتَحَرَّكُ، آخُذُ القياسَ لِذلِكَ مِنْ نَفْسي؛
فإذا قُلْتُ لَهُ كَيْفَ أنْتَ يا حامِلَ المِحْنَة، هُوَ سَوفَ يقولُ حَسَنٌ أو طَيِّبٌ؛
فأقولُ أنا شُكْراً للهِ ما شَرِبْتَ مِنْ حَساء، فسيقولُ شراباً مَعَ حساءِ العَدَس؛
فأقولُ شَرِبْتَ صِحَّةً، ومَن ذاكَ الَّذي عادَكَ مِنَ الأطِبَّاءِ فيقولُ فلانٌ؛
فأقولُ يا لَهُ مِنْ مُبارَكِ خُطىً، بِما أنَّهُ قَدْ جاءَ فأمْرُكَ إلى خَيْرٍ؛
فإنَّنا قَد اخْتَبَرنا الخُطى مِنْهُ، وحيثُما ذَهَبَ كانَتْ الحاجَةُ مَقْضيَّةً؛
هَيَّأَ الجواباتِ صحيحَةً على القياس، ودَخَلَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ على ذلِكَ المَريض؛
قالَ كَيْفَ أنْتَ قالَ مَيِّتٌ قالَ شُكْراً لله، صارَ المَريضُ مِنْ ذلكَ مملوءاً أذىً؛
أنْ ما هذا الشُّكْرُ كأنَّهُ يَحْمِلُ لنا السُّوء، والأصَمُّ قاسَ وجاءَ القياسُ مُعْوَجَّاً؛
بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُ ما أكَلْتَ قالَ سُمَّاً، قالَ لِيهْنِكَ ما شَرِبْتَ فَزادَهُ قَهْراً؛
بَعْدَ ذلِكَ قالَ أيُّ طَبيبٍ مِنَ الأطِبّاء، يجيءُ إليكَ يقومُ بالتَّدبير؛
قالَ عزرائيلُ يأتي فاذْهَبْ أنْتَ، قالَ قَدَمُهُ مُبارَكَةٌ جِدَّاً فاسْعَدْ؛
خَرَجَ الأصَمُّ سعيداً بِما قالَ قائلاً، الحَمْدُ لِلَّهِ أنّي قُمْتُ بِمُراعاتِهِ الآن؛
المَريضُ قالَ هذا عَدُوٌّ لِروحِنا، ولم نَكُنْ نَعْلَمُ أنَّهُ مَنْجَمُ جفاء؛
صارَ خاطِرُ المَريضِ يبحَثُ عَنْ مِئةِ سَقَطٍ، مِنَ الكلامِ ليُرْسِلَهُ لهُ مِنْ كُلِّ نَمَطٍ؛
مِثْلَ شَخْصٍ تناوَلَ حساءً رديئاً، فصارَ يُثيرُ هَيَجانَ جَوفِهِ ليقيء؛
كَظْمُ الغَيْظِ أنْ لا تقيءَ ذاكَ، لِتَجِدَ في الجَزاءِ حُلْوَ الحديث؛

لمَّا لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ صَبْرٌ راحَ يتلوَّى، أنْ هذا الكَلْبُ زَوجُ البَغِيّ المُخَنَّثُ أينَ هُوَ؛
لأصُبَّ على رأسِهِ كُلَّ ذاكَ الَّذي قالَ، فقد كانَ أسَدُ ضميري آنَذاكَ نائماً؛
فإنَّ العِيادَةَ مِنْ أجْلِ جَلْبِ السُّكونِ للقَلْب، هذِهِ ليسَتْ عِيادَةً هذِهِ شماتَةُ عَدُوٍّ؛
ليرى عَدُوَّ نَفْسِهِ ضعيفاً عاجِزاً، وليَقِرَّ قرارُ خاطِرِهِ القبيح؛
أشخاصٌ كثيرونَ ضَلُّوا طريقَ الطَّاعَةِ، ويُمَنُّونَ القَلْبَ بالرِّضوانِ والثَّواب؛
حَقيقَةُ المَعْصِيَةِ خافِيَةٌ عَلَيْهِم، لَقَدْ ظَنَنْتَ شَديدَ الكَدَرِ صافياً؛
مِثْلَ ذلِكَ الأصَمِّ الَّذي كانَ كُلُّ ظَنِّهِ، أنَّهُ عَمِلَ خَيْراً وقد عَمِلَ عَكْسَ ما ظَنّ؛
وَجَلَسَ مَسروراً أنْ قُمْتُ بأداءِ الخِدْمَة، قُمْتُ بالوفاءِ بِحَقِّ الجارِ حَقَّ الوفاء؛
وهُوَ كانَ قَدْ أشْعَلَ النَّارَ لِنَفْسِهِ، في قَلْبِ المَريضِ وأحْرَقَ نَفْسَه؛
فاتَّقوا النَّارَ الَّتي أوْقَدْتُم، إنَّكُمْ في المَعْصِيَةِ ازدَدْتُم؛
قالَ النَّبِيُّ لِواحِدٍ فيهِ ريا، *صَلِّ إنَّكَ لَمْ تُصَلِّ يا فتى*؛
ومِنْ أجْلِ عِلاجِ هذِهِ المخاوِف، جاءَ في كُلِّ صلاةٍ اهْدِنا؛
أنْ هذِهِ الصَّلاةَ مِنّي يا رَبّ، لا تَمْزِجْ بِصَلاةِ الضَّالينَ وأهْلِ الرِّياء؛
مِنْ قياسٍ قامَ بِهِ ذلِكَ الأصَمُّ المُنْتَخَبُ، صُحْبَةُ عَشْرةِ سِنينَ صارَتْ باطِلَةً؛
خاصَّةً قياسُ حِسِّ الدُّونِ أيْ سَيِّد، في أمْرِ ذلِكَ الوَحيِ البَعيدِ عَنِ الحَدِّ جِدّاً؛
أُذُنِ الحِسِّ مِنْكَ إنْ كانَتْ جَديرَةً بالحَرْف، اِعْلَمْ أنَّ أُذُنَ الغَيْبِ مِنْكَ صَمَّاء؛

أوَّلُ شَخْصٍ قامَ بالقياسِ في قبالَةِ النَّصِّ كانَ إبليس

الشَّخْصُ الَّذي كانَ أوَّلَ مَنْ أظْهَرَ القياسَ الفاسِدَ، أمامَ أنوارِ اللهِ كانَ إبليس؛
قالَ بلا شَكٍّ النَّارُ مِنَ التُّرابِ أفْضَل، أنا مِنَ النَّارِ وهُوَ مِنَ التُّرابِ الأكْدَر؛
ثُمَّ بِقياسِ الفَرْعِ على أصْلِهِ، هُوَ مِنْ ظُلْمَةٍ ونَحْنُ مِنْ نورٍ مُضيءٍ؛
قالَ الحَقُّ لا إنَّهُ *لا أنساب*، الزُّهْدُ والتَّقوى لِلْفَضْلِ مِحراب؛

هذا لَيْسَ بِميراثِ العالَمِ الفاني، كي تَجِدَهُ بالأنسابِ إنَّهُ روحانيّ؛
بَلْ إنَّهُ مواريثُ الأنبياء، وارِثُ هذا أرواحُ الأتقياء؛
اِبْنُ أبي جَهْلٍ ذاكَ صارَ مؤمِناً عياناً، اِبْنُ نوحِ النَّبيِّ ذاكَ مِنَ الضَّالين؛
مولودُ التُّرابِ ذاكَ صارَ مُنَوَّراً كالقَمَر، وأنتَ اِبْنُ النَّارِ اذهَبْ أسوَدَ الوَجْه؛
القياساتِ والتَّحَرّي في اليَومِ الغائِمِ، أو في اللَّيلِ لِلْقِبْلَةِ قامَ بِها الحَبْر؛
لكِنْ مَعَ الشَّمْسِ والكَعْبَةُ أمامَ وَجْهِكَ، لا تَقُمْ بِهذا القياسِ وهذا التَّحَرّي؛
لا تَجْعَلِ الكَعْبَةَ مَخْفِيَّةً ولا تُشِحْ بِوَجْهِكَ عَنها، مِنْ قياسٍ *اللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛
حينَ تَسْمَعُ الصَّفيرَ مِنْ طائرِ الحَقّ، تَتَذَكَّرُ الظَّاهِرَ مِنْهُ كأنَّهُ الدَّرْس؛
ثُمَّ عِنْدَ ذلِكَ تَقومُ بالقياساتِ مِنْ نَفْسِك، تقومُ بالخَيالِ المَحْضِ مِنْ ذاتِك؛
اِصْطِلاحاتٌ للأبدال، ليسَ عَنْ ذلِكِ الخَبَرِ أقوال؛
مَنْطِقَ الطَّيْرِ بالصَّوتِ تَعَلَّمْت، ثُمَّ أشْعَلْتَ مِئةَ قياسٍ ومِئةَ هَوَس؛
مِثْلَ ذاكَ المَريضِ أتْعَبْتَ مِنْكَ القَلْب، الأصَمُّ بِظَنِّ الإصابَةِ صارَ سَكراناً؛
كاتِبُ الوَحْيِ مِنْ صَوتِ الطَّائِرِ ذاك، حَصَلَ لَهُ الظَّنُّ أنَّهُ شَريكُ ذلِكَ الطَّائر؛
ضَرَبَهُ الطَّائرُ بِجَناحِهِ فأعْماهُ، وَحَمَلَهُ في الحالِ إلى قَعْرِ المَوتِ والألَم؛
حذارِ أنْ تَسقُطوا أنْتُمْ أيْضاً، مِنْ صُوْرَةٍ أو مِنْ ظَنٍّ مِنْ مقاماتِ السَّماء؛
ولو كُنْتُم هاروتَ وماروتَ وأكْثَر، مِنَ الجَميعِ على سَقْفِ نَحْنُ الصَّافُّون؛
قُوموا بِرَحْمَةِ تِلْكَ السَّيِّئاتِ، وأقِلّوا مِنْ نَسيجِ الأنانيَّةِ والغُرور؛
حذارِ لا تأتيَنَّكُمْ الغَيْرَةُ مِنَ الكَمين، وتقَعوا في قَعْرِ الأرْضِ مَنكوسين؛
كِلا الاِثْنَيْنِ قالا إلٰهنا الأمْرُ أمْرُك، مِنْ دونِ أمانِكَ أينَ يكونُ الأمان؛
بقيا يُرَدِّدانِ وقلباهُما يَخْفِقان، كيفَ يجيءُ السُّوءُ مِنَّا وَنَحْنُ نِعْمَ العبيد؛
شَوكُ الشَّوكِ لَمْ يَذَرْ هذينِ المَلَكَين، حتَّى غَرَسَ بِذْرَةَ العُجْبِ بالنَّفْسِ فيهِما؛
فأخَذا يُخاطِبانِ الأركانِيّين، أنتُمْ بلا خَبَرٍ عَنْ طهارَةِ الرُّوحانِيّين؛

نَحْنُ ناصِبو الخيامِ على هذا الفَلَكِ، لِنَنْزِلْ إلى الأرْضِ ولنَنْعَم بِسَعادَةِ الرُّوح؛
ونقومُ بالعَذْلِ ونَجْلُبُ السَّعادَةَ، ثُمَّ كُلَّ ليلَةٍ نطيرُ راجعينَ مُجَدَّداً إلى الفَلَك؛
حتَّى نصيرَ أُعْجوبَةَ دَوْرِ الزَّمان، ونَجْعَلَ في الأرْضِ الأمْنَ والأمان؛
قياسُ حالِ الفَلَكِ ذاكَ على الأرْض ، لَم يَكُنْ صحيحاً وكانَ الفَرْقُ خافياً؛

في بيان أنَّهُ يجِبُ إخفاءُ الحال والسُّكْر عن الجاهلين

اسْمَعْ ألفاظَ الحكيمِ المُحْتَجِب، اخْفِضِ الرَّأسَ في مكانٍ شَرِبْتَ فيهِ الخَمْر؛
لَمَّا خَرَجَ مِنَ الخَمَّارَةِ سَكْرانٌ هائماً، صارَ مَسْخَرَةً وأُلعوبَةً للأطفال؛
صارَ يَسْقُطُ في الطِّينِ في كُلِّ طَرِيقٍ، مِنْ جِهَةٍ لِجِهَةٍ ويضحَكُ عليهِ كُلُّ أبْلَه؛
كانَ هكذا والأولادُ مِنْ خَلْفِهِ، غافِلينَ عَنْ سُكْرِهِ ولَذَّةِ خَمْرِه؛
الخَلْقُ أطفالٌ ما خلا سكرانَ الله، ولا بالِغَ إلَّا مَنْ تَحَرَّرَ مِنْ هواه؛
قالَ *الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ* وأنتُم، أطفالٌ تَلْعبونَ وَصَدَقَ الله؛
متى يتركُ الطِّفْلُ اللَّعِبَ في الخارِجِ، بلا تَزْكيَةِ الرُّوحِ متى يكونُ ذكيَّاً؛
جِماعُ الطِّفْلِ يَعْرِفُها شَهْوَةً، لِذلِكَ هُمْ يُسرِعونَ إلى ها هُنا؛
جماعُ الأطفالِ ذاكَ كانَ لَعِباً، مَعَ جماعِ رُسْتَمَ والغُزاة؛
حَرْبُ الخَلْقِ مِثْلَ حَرْبِ الأطفالِ، كُلُّها بلا معنى ولا مغزى ولا لُبّ؛
جميعُ حُروبِهِمْ بِسُيوفٍ مِنَ الخَشَبِ، وَسَعْيُهُم كُلُّهُ بلا نفْعٍ؛
جميعُهُم يركبونَ أحْصِنَةً مِنْ قَصَبٍ، أنْ هذا *بُراقُنا أو دُلْدُلُ* الخُطى؛
حاملونَ رفَعوا النَّفْسَ جَهْلاً، ويظُنُّونَ أنفُسَهُم راكِبينَ ومحمولينَ في الطَّريق؛
فانتَظِرْ إلى يَومٍ بِهِ محمولو الحَقّ، يعبرونَ بِخُيولِهِمْ مِنَ الطِّباقِ السَّبْع؛
تَعرُجُ الرُّوحُ إلَيْهِ والفَلَكْ مِنْ عُروجِ الرُّوحِ يَهْتَزُّ الفَلَكْ
جَميعُكُمْ مِثْلَ الأطفالِ تَرْكبونَ الذُّيولَ، أمْسَكْتُمْ طَرَفَ الثَّوبِ كأنَّهُ الجواد؛

جاءَ مِنَ الحَقِّ أنَّ الظَّنَّ لا يُغني، مَرْكَبُ الظَّنِّ متى يجري فَوقَ الأفلاك؛
أغْلَبُ الظَّنَّيْنِ في ترجيحِ ذا لا تُمارِ الشَّمْسَ في تَوضيحِها
وعِنْدَ ذاكَ تَرَونَ مراكِبَ أنْفُسِكُم، وقد جَعَلْتُمْ مراكِبَكُم أقدامَكُم؛
وَهْمَكُم وفِكْرَكُم وحِسَّكُم وإدراكَكُم، اِعْرِفوها مِثْلَ مَرْكَبِ الطِّفْل؛
عُلومُ أهْلِ الدِّيْنِ حَمَّالُهُم عُلومُ أهْلِ الحِسِّ أحْمالُهُم
العِلْمُ إذا طَرَقَ القَلْبَ صارَ مُعيناً، العِلْمُ إذا وَقَعَ على الجِسْمِ صارَ حِمْلاً؛
قالَ الحَقُّ يحْمِلُ أسفارَهُ، فصارَ العِلْمُ حِمْلاً لَهُ لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْه؛
العِلْمُ الَّذي لا يكونُ مِنْهُ بلا واسِطَه، لا يبقى فكأنَّهُ صِبْغَةُ الماشِطَه؛
لكِنْ حينَ تَحْمِلُ هذا الحِمْلَ حَسَناً، يَرْفَعونَ عَنْكَ الحِمْلَ ويُعطونَكَ الخَيْر؛
حذارِ لا تَحْمِلْ حِمْلَ العِلْمِ مِنْ أجْلِ الهوى، لَكَيْ ترى في داخِلِكَ مَخْزَنَ العِلْم؛
لِكَيْ تَصيرَ راكِباً على مَطِيَّةِ العِلْمِ مُقْبِلاً، ويَسْقُطَ عَنْ كَتِفِكَ الحِمْلُ؛
كَيْفَ تَتَحَرَّرُ مِنَ الأهواءِ بلا جامِ *هُوَ*، أيْ مَنْ أنْتَ قانِعٌ مِنَ *الهُوَ* باسمِ *هُوَ*؛
إنَّما يولَدُ مِنَ الصِّفَةِ ومِنَ الاِسْمِ الخيال، خيالُهُ ذاكَ لَهُ دَلَّالُ الوِصال؛
لا ترى دَلَّالاً بِلا مَدْلولٍ أبَداً، وإذا لَمْ تَكُنْ طَريقٌ لا يَكونُ غولٌ أبَداً؛
أرَأيْتَ اِسْماً أيَّ اِسْمٍ بلا حَقيقَةٍ، أمْ هَلْ قَطَفْتَ مِنْ حروفِ الوَرْدِ وَرْدَةً؛
قَرَأْتَ الاِسْمَ فابْحَثْ عَنِ المُسَمّى، أُطْلُبِ القَمَرَ في الأعلى لا في ماءِ النَّهْر؛
إذا كُنْتَ تُريدُ العُبورَ مِنَ الاِسْمِ والحَرْف، دُفْعَةً واحِدَةً طَهِّرِ النَّفْسَ مِنَ النَّفْس؛
مِثْلَ الحَديدِ صِرْ حديداً بلا لَونٍ، مِنَ الرِّياضَةِ صِرْ مِرآةً بلا صَدَأ؛
اِجْعَلْ نَفْسَكَ صافِياً مِنْ أوصافِ النَّفْس، لِترى ذاتَ نَفْسِكَ الطَّاهِرَةَ الصَّافِيَة؛
وترى في القَلْبِ عُلومَ الأنبياء، بلا كِتابٍ ولا مُعيدٍ ولا أُستاذ؛
قالَ النَّبِيُّ مَنْ يكونُ مِنْ أُمَّتي، لهُ عَيْنُ جَوْهَري ولَهُ عَيْنُ هِمَّتي؛
مَنْ رَأتني عُيونُهُمْ بِذاكَ النُّور، الَّذي أنا بِهِ أراهُمْ؛

بلا صَحيحَينِ وأحاديثَ ورواة، بَلْ مِنْ خِلالِ مَشْرَبِ ماءِ الحياة؛

سِرَّ *أمسينا لَكُرْدِيَّاً* اعرِفْ، سِرَّ *أَصْبَحْنا عَرابيَّاً* اِقْرَأْ؛

وإنْ كُنْتَ تُريدُ مِثالاً مِنَ العِلْمِ الخَفِيّ ، اِرْوِ قِصَّةَ الرُّومانْ والصِّينِيّين؛

قَصَّةُ تنافُس الرُّومان والصّينِيّين في عِلْمِ الرّسْمِ والتَّصوير

الصّينيّونَ قالوا نَحْنُ في الرَّسْمِ أجْدَر، الرُّومانُ قالوا نَحْنُ لنا فيهِ الكَرُّ والفَرّ؛

قالَ السُّلطانُ وَجَبَ الامْتِحانُ، لِنَرى لِمَنْ مِنْكُمْ الفَضْلُ في الدَّعْوى؛

حَضَرَ الصِّينيُّونَ وَحَضَرَ الرُّومان، الرُّومانُ في البَحْثِ كانوا أكثَرَ حُضوراً؛

قالَ الصِّينيُّونَ فَلْيَكُنْ لنا مَنْزِلٌ خاصٌّ، كما ولْيَكُنْ لَهُمْ مَنْزِلٌ خاصٌّ أيضاً؛

كانَ المَنْزِلانِ الواحِدُ قبالَةَ الآخَر، أخَذَ الصِّينيّون واحِداً وأخَذَ الرُّومانُ الآخَر؛

طَلَبَ الصِّينيُّونَ مِئَةَ لَونٍ مِنَ المَلِك، فَفَتَحَ الخِزانَةَ لَهُمْ ذلِكَ العَظيم؛

كُلَّ صباحٍ مِنْ خَزينَةِ الألوان، كانَ للصِّينِيّينَ راتِبٌ مِنَ العَطاء؛

الرُّومانُ قالوا لا نَقْشَ ولا لَونَ، لا يُناسِبُ هذا العَمَلَ غَيْرُ دَفْعِ الصَّدَأ؛

أغلَقوا البابَ وبَدَؤوا بالصَّقْل، عَملوا صَقيلاً صافياً كالسَّماء؛

مِنْ مِئتَي لَونٍ هُناكَ طريقٌ إلى اللّالون، اللَّونُ مِثْلَ الغَيْمِ واللّالَونُ مِثْلَ القَمَر؛

كُلَّ ما ترى في الغَيْمِ مِنْ ضَوءٍ ومِنْ شُعاعٍ، اعرِفْهُ مِنَ النَّجْمِ والقَمَرِ والشَّمْس؛

لَمَّا فَرَغَ الصِّينيُّونَ مِنَ العَمَل، راحوا يقرعونَ الطُّبولَ مِنَ الفَرَح؛

أَقْبَلَ المَلِكُ ورأى هُنالِكَ الرُّسومَ، ما يخطِفُ العَقْلَ ويسْلِبُ الفَهْم؛

بَعْدَ ذلِكَ أقْبَلَ نَحْوَ الرُّومان، فَرَفَعوا السّتارَةَ العالِيَةَ الفاصِلَة؛

انعِكاسُ التَّصويرِ والرُّسومِ، وَقَعَ على تِلْكَ الجُدرانِ الَّتي صارَتْ صافيَةً؛

كُلَّ ما رأى هُناكَ ظَهَرَ لَهُ هُنا، بِما يَخْطِفُ العُيونَ مِنَ المَحاجِر؛

الرُّومانُ أولئكَ صوفيُّونَ أي والِدُ، مِنْ دونِ تِكْرارٍ وكِتابٍ ومِنْ دونِ فَنّ؛

صُدورُهُم المَصقولَةُ صارَتْ مُطَهَّرَةً، مِنَ الطَّمَعِ والحِرْصِ والبُخْلِ والبُغض؛
صفاءُ المِرآةِ ذاكَ وَصْفُ القَلْبِ، فهُوَ يَقْبَلُ نُقوشاً لا حَصْرَ لها؛
بلا صورَةٍ و حَدٍّ لها صُورَةُ الغَيْب، مِنْ مِرآةِ القَلْبِ شَعَّت لِموسى مِن الجَيْب؛
رَغْمَ أنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ لا يَسَعُها الفَلَك، ولا الفَرْشُ والعَرْشُ والبَحْرُ والسَّمْك؛
ذاكَ لأنَّ ذلِكَ مَحْدودٌ وَمَعْدودٌ، ومِرآةُ القَلْبِ اعْلَمْ ليسَ لها حَدّ؛
العَقْلُ ها هُنا إمَّا ساكِتٌ وإمَّا مُضِلٌّ، ذاكَ لأنَّ القَلْبَ مَعَهُ أو هُوَ نَفسُهُ القَلْب؛
صُورَةُ كُلِّ نَقْشٍ لا تُشِعُّ للأبَد، إلَّا مِنَ القَلْبِ مَعَ العَدَدِ ومِنْ دونِ عَدَد؛
إلى الأبَدِ كُلُّ نَقْشٍ جديدٍ يَرِدُ إليه، يَظْهَرُ بلا حِجابٍ فيه؛
أهْلُ الصَّقْلِ أحرارٌ مِنَ العبيرِ واللَّون، كُلَّ لَحْظَةٍ يَرَونَ جمالاً بِلا تَوَقُّف؛
عَبَروا مِنْ صورَةِ العِلْمِ والقِشْر، رَفَعوا رايَةَ *عَيْنِ اليَقين*؛
مَسْلَكَ الفِكْرِ والضِّياءِ وَجَدوا، نَحْرَ وَبَحْرَ المَعْرِفَةِ وَجَدوا؛
المَوتُ الَّذي مِنْهُ الجَميعُ يخافون، هؤلاءِ القَومُ مِنْهُ يسخرون؛
لا شَخْصَ يجِدُ على قَلْبِهِمْ الظَّفَر، على الصَّدَفِ لا على الجَوْهَرِ يقَعُ الضَّرَر؛
إنَّهُمْ وإنْ كانوا تَرَكوا النَّحْوَ والفِقْه، إلَّا أَنَّهُمْ رَفَعوا المَحْوَ والفَقْر؛
حتَّى شَعَّتْ نُقوشُ ثَماني جِنانٍ، فَوَجَدَتْ لَوْحَ قَلْبِهِم قابِلاً؛
إنَّـهُمْ أعلى مِنَ العَرْشِ والكُرسيِّ والخلاء، إنَّـهُمْ ساكِنو مَقْعَدِ صِدْقِ الله؛

سؤالُ الرَّسولِ عليهِ السّلامُ لِزَيد كيفَ أنتَ اليَومَ وكيفَ أصْبَحْتَ وَقَولُهُ في الجوابِ أصْبَحْتُ مؤمِناً يا رَسولَ الله

قالَ النَّبيُّ صباحاً لِزَيْدٍ، كَيْفَ أصْبَحْتَ يا رفيقاً ذا صَفاء؛
قالَ عَبْداً مؤمِناً قالَ لَهُ، ما علامَةُ رَوْضِ الإيمانِ إذا تَفَتَّح؛
قالَ أظْمأتُ نَفْسِيَ الأيَّامَ، وَلَمْ أنَمِ اللَّيْلَ مِنَ العِشْقِ والاِحْتِراق؛

حتَّى عَبَرْتُ مِنَ النَّهارِ واللَّيْلِ مِثْلَما، يَعْبُرُ رأسُ السِّنانِ مِنَ الدِّرْعِ؛
فَمِنْ تِلْكَ الجِهَةِ جُمْلَةُ المِلَّةِ واحِدٌ، مئاتُ ألوفِ الأعوامِ وساعَةٌ واحِدَةٌ واحِد؛
إنَّ بينَ الأزَلِ والأبَدِ اتِّحاد، ليسَ لِلْعَقْلِ طريقٌ لِتِلْكَ الجِهَةِ مِنَ الافتِقاد؛
قالَ مِنْ هذِهِ الطَّريقِ أيُّ مَسْلَكٍ، يُناسِبُ فَهْمَ وعُقولَ هذِهِ الدِّيار؛
قالَ حينَ ينظُرُ الخَلْقُ إلى السَّماء، أنظُرُ أنا لِلعَرْشِ وَمَنْ فَوقَ العَرْش؛
الجِنانُ الثّمّاني والنِّيرانُ السَّبْعُ أمامي، ظاهِرَةً كما الصَّنَمُ أمامَ عابِدِ الصَّنَم؛
أعْرِفُ الخَلْقَ واحِداً واحِداً، كما أُمَيِّزُ بينَ القَمْحِ والشَّعيرِ في الطَّاحون؛
مَنْ هُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ وَمَنْ هُوَ الغَريبُ، ظاهِرٌ أمامي مِثْلِ حَيَّةٍ وَسَمَكَةٍ؛
بدا ظاهِراً لِهذِهِ الطَّائفَةِ هذا الزَّمانَ، *يومَ تَبْيَضُّ وجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوه*؛
الرُّوحُ قَبْلَ هذا ولَو كانَ مِلؤها العَيب، كانَتْ مُغَيَّبَةً عَنِ الخَلْق في الرَّحِمِ؛
الشَّقِيُّ مَنْ شَقيَ في بَطْنِ الأُمّ، مِنْ سِماتِ الجِسْمِ يُعْرَفُ حالُهم؛
البَدَنُ مِثْلَ أُمٍّ حامِلٍ بِطِفْلِ الرُّوح، المَوتُ ألَمُ ولادَةٍ وَزَلْزَلَةٍ؛
جُمْلَةُ الأرواحِ الماضِيَةِ مُنْتَظِرَة، كَيْفَ ستولَدُ تِلْكَ الرُّوحُ البَطِرَة؛
الزَّنْجُ قالوا إنَّها مِنَّا، الرُّومُ قالوا إنَّها زائدَةُ الجَمال؛
حينَ تُولَدُ في عالَمِ الرُّوحِ والجود، لا يبقى اختِلافٌ بينَ البيضِ والسُّود؛
فإنْ كانَ زنجيّاً أخَذَهُ الزَّنْجُ، وأخَذَ الرُّومُ الرُّوميَّ مِنَ الوَسَط؛
وَقَبْلَ أنْ تُولَدَ مُشكِلاتُ العالَم، مَنْ لَمْ يُولَدْ لا يَعْرِفُهُ إلَّا قليل؛
إلَّا أنْ يكونَ مِمَّنْ ينظُرُ بِنورِ الله، فتكونَ لَهُ طريقٌ إلى ما تَحْتَ الجِلْد؛
أصْلُ الماءِ نُطْفَةٌ بيضاءُ جَميلَةٌ، لكِنَّ انعِكاسَ الرُّوحِ روميٌّ وَحَبَشيٌّ؛
يُعطي لَونَ أحْسَنِ التَّقويم، إلى أنْ يأخُذَ هذا لأسْفَلِ سافلين؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فانْطَلِقْ، حتَّى لا نَتَخَلَّفَ عَنْ قِطارِ القافِلَة؛
يَومَ تَبْيَضُّ وَتَسْوَدُّ وجوه، يصيرُ التُّركيُّ والهِنْدِيُّ مَشهودَينِ في تِلْكَ الجماعَة؛

التُّركِيُّ والهِنْدِيُّ غَيْرُ ظاهِرَيْن في الرَّحِمِ، فإذا وُلِدَ رأوهُ نَحيفاً أمْ سَميناً؛
أراهُمْ جَميعاً كَيَومِ الحَشْر، عياناً ظاهِراً مِنْ رَجُلٍ وامرَأة؛
أأقولُ أمْ أُغْلِقُ النَّفَسَ، فَعَضَّ المُصْطَفى على الشَّفَةِ يعني كفى؛
يا رَسولَ اللهِ أأقولُ سِرَّ الحَشْر، وأجْعَلُ ظاهِراً اليَومَ في العالَمِ النَّشْر؛
دَعْني أُمَزِّقِ الحُجُبَ، لِيُشِعَّ جَوهَري كالشَّمْس؛
لِيَصِلَ الشَّمْسَ الكُسوفُ مِنِّي، لأُمَيِّزَ ظاهِراً النَّخْلَ مِنَ الصَّفصاف؛
أُظْهِرُ سِرَّ الحَشْر، أكشِفُ النَّقْدَ الصَّحيحَ والزَّيْف؛
وأُظْهِرُ الأيادِيَ القَطيعَةَ مِنْ أصحابِ الشِّمال، ولَونَ الكُفْرِ واللَّونَ الأحْمَر؛
وأفْتَحُ سَبْعَ ثُقوبِ النِّفاق، في ضياءِ قَمَرٍ بلا خَسْفٍ ولا محاق؛
أُظْهِرُ لِباسَ الأشقياء، أُسْمِعُ طَبْلَ وكوسَ الأنبياء؛
النَّارَ والجَنَّاتِ وما بينَهُما البَرْزَخَ، آتي بِها إلى أمامِ عَيْنِ الكافِرينَ عياناً؛
وأُظْهِرُ حَوضَ الكَوثَرِ وهُوَ يجيشُ، فيَضرِبَ ماؤهُ وجوهَهُم وَصَوتُهُ آذانَهُم؛
وأولئكَ الأشخاصُ الظَّامئونَ حَولَهُ دائرين، قد أصبحوا لي عياناً ظاهِرين؛
أكتافُهُمْ تُلامِسُ كَتِفي، أصواتُهُمْ تَصِلُ إلى أُذُني؛
أهْلُ الجَنَّةِ أمامَ عيني اختياراً، يأخُذُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالأحضان؛
الأيدي بالأيدي يقومونَ بالزِّيارَةِ، يخطُفونَ القُبَلَ مِنَ الأحِبَّة؛
وأُذُني صُمَّتْ مِنْ صُراخِ آهٍ آه، مِنَ الأخِسَّاءِ وَصَرْخَةِ واحَسْرَتاه؛
هذِهِ إشاراتٌ أقولُها مِنْ بَعيدٍ، لكِنَّني أخافُ مِنْ إيذاءِ الرَّسول؛
كانَ يتَحَدَّثُ هكذا سكرانَ خَرِباً، حتَّى أخَذَ الرَّسولُ بِلُبَّةِ الثَّوبِ مِنْهُ؛
قالَ انْتَبِهْ صَمْتاً حَمِيَ جوادُك، صُورَةُ *الحَقُّ لا يستحيي* أصابَتْهُ فَخَجِل؛
مِرآتُكَ ابْحَثْ عَنها خارِجَ الغِلاف، في المِرآةِ والميزانِ أينَ مَنْ قالَ خِلاف؛
المِرآةُ والميزانُ متى يحبِسانِ النَّفَس، حَذَراً مِنْ أذى وحياءِ أيِّ شَخْص؛

المِرآةُ والميزانُ كُلٌّ مِنْهُما محَكٌّ سَنِيٌّ، ولو قُمْتَ بِخِدْمَتِهِما مِئتَينِ مِنَ الأعوام؛
أنْ أخفيا الحَقيقَةَ لأجلي، أَظْهِرا زيادَةً ولا تُبدِيا نَقْصاً؛
يقولانِ لَكَ لا تَضْحَكْ على لِحْيَتِكَ وشارِبِك، أَمِرآةٌ وميزانٌ وتزويرٌ ومَكْرٌ؛
إنَّ اللهَ أعلانا مِنْ أجْلِ أنْ، تستطيعوا أنْ تَعْرِفوا الحقيقَةَ بِنا؛
هذا لا يجوزُ ماذا نُساوي أيُّها الشَّابُّ، ومتى نَصيرُ مِرآةً لوجوهِ الحِسان؛
لكِنْ غَطِّ المرآةَ باللُّبَّاد، إذا تَجَلَّى لِصَدْرِكَ سيناء؛
قالَ آخَرٌ ليسَ مَنْ أخْفى في الإبط، شَمْسَ الحَقِّ وذُكاءَ الأزَل؛
إنَّها تُمَزِّقُ الإبطَ وتُمَزِّقُ الزَّغَلَ، ولا يَصْمُدُ أمامَها جُنونٌ ولا عَقْلٌ؛
قالَ لو وَضَعْتَ إصْبَعاً واحِداً على العَيْن، لَرَأيتَ العالَمَ خالياً مِنَ الشَّمْس؛
طَرَفُ إصْبَعٍ واحِدٍ صارَ حِجابَ القَمَر، هذهِ إشارَةٌ على ساتِرِيَّةِ الله؛
فقد غطَّتِ العالَمَ نُقْطَةٌ، صارَتِ الشَّمْسُ مُنكَسِفَةً مِنْ سَقْطَة؛
أَغْلِقِ الشِّفاهَ وانظُرْ إلى قاعِ البَحْر، الحَقُّ جَعَلَ البَحْرَ مَحكومَ البَشَر؛
مِثْلَما عَينُ السَّلسَبيلِ والزَّنْجَبيل، تكونُ في حُكْمِ ساكِنِ الجَنَّةِ الجليل؛
أربَعَةُ أنهارِ الجَنَّةِ في حُكْمِنا، هذا قرارُ اللهِ وليسَ مِنْ قُدْرَتِنا؛
حَيثُما نَشاءُ نَجْعَلُها تسيل، كما السِّحْرُ في مُرادِ السَّاحِرين؛
مِثْلَ هذينِ النَّبْعَيْنِ الجارِيَيْنِ مِنَ العَينين، بِحُكْمِ القَلْبِ وأمْرِ الرُّوحِ يَجْريان؛
إذا أرادَ ذَهَبَ نَحْوَ السُّمِّ والأفْعى، أو أرادَ ذَهَبَ نَحْوَ الاِعتبار؛
إذا أرادَ ذَهَبَ نَحْوَ المَحسوسات، أو أرادَ ذَهَبَ نَحْوَ الملبوسات؛
إذا أرادَ جرى نَحْوَ الكُلِّيَّات، أو أرادَ بقيَ في حَبْسِ الجُزئيَّات؛
وهكذا كُلٌّ مِنَ الحواسِّ الخَمْسِ مِثْلَ شَفَةِ النَّاي، جائزَةٌ بِأمْرِ ومُرادِ الْقَلْب؛
إلى أيَّةِ جِهَةٍ أشارَ لها القَلْبُ، تَمْضي كُلُّ حاسَّةٍ تَجُرُّ الذَّيل؛
اليَدُ والقَدَمُ بِأمْرِ القَلْبِ في الملأ، كما هِيَ تِلْكَ العصا في يَدِ موسى؛

إذا أرادَ القَلْبُ بَدَأتِ القَدَمُ بالرَّقْص، أو هَرَبَتْ نَحْوَ الزِّيادَةِ مِنَ النَّقْص؛
أرادَ القَلْبُ فبَدَأتِ اليَدُ بالحِساب، بالأصابعِ حتّى كَتَبَتِ الكِتاب؛
اليَدُ باقِيَةٌ في يَدٍ خَفِيَّةٍ، هِيَ في الدَّاخِلِ تُشيرُ للبَدَنِ في الخارِجِ؛
إنْ أرادَتْ تَصيرُ حَيَّةً للعَدوّ، أو أرادَتْ تصيرُ مُعيناً للوليّ؛
إنْ أرادَتْ فَمِغْرَفَةٌ للأكْل، أو أرادَتْ فكَمْهْراسٍ بِعَشْرَةِ أمنان؛
القَلْبُ ما يقولُ لها واعَجَباً، وَصْلَةٌ طريفَةٌ بِسَبَبٍ خَفيّ؛
لَكَأنَّ القَلْبَ وَجَدَ خَاتَمَ سُلَيمان، فَجَعَلَ خَتْمَهُ على الحواسِّ الخَمْس؛
الحواسُّ الخَمْسُ الخارِجِيَّةُ لَهُ مَيسورَةٌ، الحواسُّ الخَمْسُ الدَّاخِلِيَّةُ لَهُ مأمورةٌ؛
عَشْرُ حواسٍّ وَسَبْعَةُ أطرافٍ وغيرُها، مِمَّا لا يجيءُ تَحْتَ الكلامِ وَعُدَّ؛
يا قَلْبُ أنْتَ مِثْلَ سُلَيمانَ في العَظَمَة، تَحْتَ حُكْمِ خاتَمِكَ الجِنُّ والشَّياطين؛
إنْ تَكُنْ في مُلْكِكَ بريئاً مِنَ الرِّياء، ثلاثَةُ شياطينَ لا يأخُذونَ الخاتَمَ مِنْ يَدِك؛
بَعْدَ ذلِكَ يستَولي على العالَمِ إسْمُك،يصيرُ العالَمانِ مَحْكومَيْنِ لَكَ مِثْلَ جِسْمِك؛
وإذا ما أخَذَ الشَّيطانُ مِنْ يَدِكَ الخاتَمَ، فاتَكَ السُّلطانُ وماتَ بَخْتُك؛
بَعْدَ ذلِكَ تَصيرُ *يا حَسْرَتا يا عِباد*، محتومٌ عَلَيْكَ حَتَّى يَومِ التَّناد؛
وإذا ما قُمْتَ بإنكارِ مَكْرِكَ ، متى تَنْجو بالرُّوحِ مِنَ الميزانِ والمِرآةِ؛

اتِّهام الغِلْمان والشُّرَكاء لُقمان، أنْ لُقمانُ
أكَلَ الفاكِهَةَ الطَّازَجَةَ الَّتي جَلَبناها

كانَ لُقْمانُ عِنْدَ سَيِّدِهِ، واحِداً بينَ عَبيدِهِ الخاضِعين؛
أرسَلَ السَّيِّدُ الغِلمانَ إلى البُستان، ليجلبوا لَهُ الفاكِهَةَ مِنْ أجْلِ الفِراغ؛
كانَ لُقمانُ في الغِلْمانِ كطُفَيْلٍ، مملوءٍ بالمعاني مُعْتِمِ الصُّورَةِ كأنَّهُ اللَّيْل؛
أولئكَ الغِلْمانُ مِنْ شِدَّةِ طَمَعِهِم وَشَغَفِهِم، أكلوا الفاكِهَةَ المقطوفَةَ هانئين؛

وقالوا للسَّيِّدِ أنَّ لُقمانَ أكَلَها، فصارَ السَّيِّدُ غاضِباً وحانِقاً على لُقمان؛
بَعْدَ أنْ تَفَحَّصَ لُقمانُ عَنِ السَّبَب، فَتَحَ الشِّفاهَ في عِتابِ سَيِّدِه؛
قالَ لُقمانُ سيِّدا عِنْدَ الله، العَبْدُ الخائنُ لا يكونُ مُرتَضى؛
قُمْ بامتِحانِنا جَميعاً أي كريم، اِسْقِنا حتَّى الإمتِلاءِ مِنَ الماءِ الحميم؛
بَعْدَ ذلِكَ اجعَلْنا نَجْري إلى صَحْراءَ عاليَةٍ، وأنْتَ راكِبٌ ونحْنُ على الأقْدام؛
وَقْتَذاكَ انْظُرْ إلى سيِّئِ الفِعْل، وانْظُرْ صُنْعَ كاشِفِ الأسرار؛
وجاءَ السَّيِّدُ بالماءِ الحميم، وسقى الغِلمانَ فَشَرِبوا مِنَ الخَوف؛
بِعْدَ ذلِكَ ساقَهُمْ إلى المفازَةِ، وَجَعَلَهُم يجرونَ ما بينَ المزارِع؛
فَوَقَعَ القَيْءُ لَهُمْ مِنَ العَناء، وأخْرَجَ الماءُ مَعَهُ الفاكِهَةَ مِنْهُم؛
وعِنْدَما تَقَيَّأَ لُقمانُ ما في الجَوف، خَرَجَ مِنْ جَوفِهِ ماءٌ صافٍ؛
حِكْمَةُ لُقمانَ تَقْدِرُ على إظْهارِ هذا، فَكَيْفَ بِحِكْمَةِ رَبِّ الوجودِ إذَن؛
يَومَ تُبلى السَّرائرُ كُلُّها، بانَ مِنْكُمْ كامِنٌ لا يُشْتَهى؛
إذْ سُقوا ماءً حَميماً قُطِّعَتْ، جُمْلَةُ الأستارِ مِمَّا أفْظَعَتْ؛
النَّارُ مِنْ ذلِكَ صارَتْ عَذابَ الكافِرين، والنَّارُ تكونُ امتِحاناً لِلْحَجَر؛
ذلِكَ القَلْبُ كالصَّخْرِ كَمْ وَكَمْ، قُمنا بِتَرْقيقِهِ فَلَمْ يَقْبَلِ النُّصْح؛
في الجُرْحِ السَّيِّئِ يَجِدُ العِرْقُ الدَّواءَ سيِّئاً، رأسُ الحِمارِ جديرٌ بِها أسنانُ كَلْب؛
الخَبيثاتُ لِلخبيثينَ حِكْمَةٌ، القبيحُ أيضاً قَرينُ القبيحِ ولائقٌ بِه؛
فاذْهَبْ إلى أيِّ قَرينٍ شِئتَ، تَكُنْ مِثْلَهُ وَبِشَكْلِهِ وَصِفاتِه؛
إنْ تُرِدِ النُّورَ كُنْ مُسْتَعِدّاً للنُّور، وإنْ تُرِدِ البُعْدَ فانْظُرْ إلى النَّفْسِ وابْعُدْ؛
وإنْ أرَدْتَ النَّجاةَ مِنْ هذا السِّجْنِ الخَرِب، لا تَعْصِ الحَبيبَ واسْجُدْ واقْتَرِب؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ زَيد في جوابِ الرَّسولِ عَلَيهِ السَّلام

هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ فَقُمْ زَيد، على بُراقِ *النَّاطِقَةِ* اجْعَلْ القَيْد؛
النَّاطِقَةُ فاضِحَةُ العَيْب، مُمَزِّقَةٌ لِحُجُبِ الغَيْب؛
الغَيْبُ جاءَ مَطلوبَ الحَقِّ في مواضِع، ضارِبَ الطَّبْلِ هذا أبْعِدْ وَسُدَّ الطَّريق؛
وحيداً لا تَجْرِ شُدَّ العِنانَ السِّتْرُ أولى، كُلُّ شَخْصٍ مَسرورُ ظَنِّ نَفْسِهِ أولى؛
كذلِكَ الحَقُّ يُريدُ مِنَ القانِطينَ مِنْهُ، أنْ لا يَرْجِعوا بالوَجْهِ عَنْ هذِهِ العِبادَة؛
ويكونوا أيضاً مُشَرَّفينَ بالرَّجاءِ، يسيرونَ في رِكابِهِ بِضْعَ أيَّام؛
يُريدُ تُشِعَّ تِلْكَ الرَّحْمَةَ على الجَميع، على السَّيِّئِ والحَسَنِ مِنْ عُمومِ المَرْحَمَة؛
الحَقُّ يُريدُ مِنْ كُلِّ أميرٍ وأسيرٍ، أنْ يكونَ في رَجاءٍ وَخَوْفٍ وفي حَذَر؛
الرَّجاءُ والخَوفُ هذانِ كانا في حِجاب، لينموا خَلْفَ ذلِكَ الحِجاب؛
إذا مَزَّقْتَ الحَجابَ فأينَ الخَوفُ والرَّجاء، صارَ الغَيْبُ في كَرٍّ وَفَرٍّ على المَلأ؛
على ضفَّةِ النَّهْرِ أخَذَ الظَّنُّ بِفَتىً، أنْ هذا سُلَيمانُ يصيدُ السَّمَكَ بيننا؛
لو كانَ هذا مِمَّ هُوَ وحيدٌ ومُخْتَلٍ، وإلَّا فما هُوَ السَّيماءُ السُّلَيمانيّ؛
كانَ في تَفْكيرِهِ حائراً، كَيْفَ صارَ سُلَيمانُ مَلِكاً وَمُسْتَقِلَّاً بِنَفْسِه؛
ذَهَبَ شيطانٌ هارِباً مِنْ مُلْكِهِ وَسَلْطَنَتِه، أراقَ دَمَ ذلِكَ الشَّيطانِ بِسَيْفِ بَخْتِه؛
جَعَلَ سُلَيمانُ الخاتَمَ في إصْبَعِه، اجْتَمَعَ لَهُ جَيْشٌ مِنَ الشَّياطينِ والجِنّ؛
وجاءَ الرِّجالُ نَظَّارَةً، وبينَهُم صاحِبُ ذلِكَ الخَيال؛
حينَ رأى الخاتَمَ في إصْبَعِهِ، ذَهَبَ الفِكْرُ والتَّحَرّي دُفْعَةً واحِدَةً؛
كانَ عِنْدَهُ الوَهْمُ عِنْدَما كانَ مُخْتَفِياً عَنْهُ، هذا التَّحَرّي كانَ لأجْلِ غَيْرِ مَرئيّ؛
خيالُ الغائبِ صارَ ضَخْماً في الصَّدْر، حينَ صارَ حاضِراً ذَهَبَ الخيال؛
طالَما سَماءُ النُّورِ لا تَكونُ بلا مَطَر، الأرْضُ المُظْلِمَةُ لا تكونُ بلا نَبات؛

يؤمِنونَ بالغَيْبِ يَجِبُ أنْ تَكونَ لنا، مِنْ ذلِكَ نُغْلِقُ نافِذَةَ فانِيَةِ الدُّنيا؛
ما دُمْتُ أشُقُّ السَّماءَ في الظُّهور، كَيفَ أقولُ هل ترى فيها مِنْ فُطور؛
ما داموا في تَحَرٍّ في هذهِ الظُّلْمَة، كُلُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ آخِذٌ في جانب؛
وتكونُ الأمورُ مَعكوسَةً مُدَّةً، ويجيءُ السَّارِقُ بالحاكِمِ لِلْمَشْنَقَة؛
وكمْ مِنْ سُلطانٍ وعالي هِمَّةٍ، صارَ عَبْداً لِعَبْدِهِ مُدَّة؛
العُبودِيَّةُ في الغَيْبِ سيرَةٌ حَسَنَةٌ، وَحِفْظُ الغَيْبِ في الإِستِعبادِ حَسَنٌ؛
أينَ مَنْ يقومُ بِمَدْحِ الشَّاهِ في الحَضْرَة، مِمَّنْ يكونُ خَجِلاً مِنْهُ في الغَيْبَة؛
صاحِبُ القَلْعَةِ على حُدودِ المَمْلَكَة، بعيدٌ عَنِ السُّلطانِ وَظِلِّ السَّلْطَنَة؛
يَحرِسُ القَلْعَةَ مِنَ الأعْداء، لا يبيعُ القَلْعَةَ بِمالٍ لا يُعَدُّ؛
غائبٌ عَنِ الشَّاهِ في حُدودِ الثُّغور، وهُوَ مِثْلَ الحاضِرِ حافِظٌ للوفاء؛
هُوَ عِنْدَ الشَّاهِ أفضَلُ كثيراً مِنَ الآخَرين، الحاضِرينَ بالخِدْمَةِ والباذِلينَ الرُّوح؛
نِصْفُ ذَرَّةِ حِفْظٍ لِلعَمَلِ في الغَيْبَة، أفْضَلُ مِنْ مِئَةِ ألْفٍ مِنْ ذلِكَ في الحَضْرَة؛
الطَّاعَةُ والإيمانُ الآنَ مَحْمودان، بَعْدَ المَوتِ في العِيانِ مَرْدودان؛
ما دامَ الغَيْبُ والغائبُ والسِّتْرُ أفْضَل، أَغْلِقِ الشِّفاهَ الشَّفَةُ المُغْلَقَةُ أجْمَل؛
أي أخي انْزَعِ اليَدَ مِنَ الحديث، يَجْعَلِ اللهُ لَكَ عِلْماً ظاهِراً مِنْ لَدُنْه؛
كَفى شاهِداً للشَّمْسِ وَجْهُها، أيُّ شَيءٍ أعْظَمُ والشَّاهِدُ إلٰه؛
لا أقولُ وقد صارَ قريناً في البيان، اللهُ والملائكَةُ وأولو العِلْم؛
يَشْهَدُ اللهُ والمَلَكُ وأهْلُ العُلوم، أنَّهُ لا رَبَّ إلَّا مَنْ يدوم؛
إذا شَهِدَ الحَقُّ ما يكونُ المَلَكُ، ليصيرَ في الشَّهادَةِ مُشْتَرِكاً؛
ذلِكَ أنَّ شُعاعَ حُضورِ الحَقّ، لا يُضيءُ العُيونَ والقُلوبَ الخراب؛
مِثْلَ خَفَّاشٍ قَطَعَ الأمَلَ مِنَ النُّور، لأنَّهُ لا يحتَمِلُ ضوءَ الشَّمْس؛
واعْرِفِ الملائكَةَ مِثْلَنا لَهُمْ عَيْنُ الحبيب، والمُتَجَلِّي كالشَّمْسِ في السَّماء؛

فَنَحْنُ وَجَدْنا مِنَ الشَّمْس هذا الضِّياءَ، فأشْعَلناهُ كالخَليفَةِ للضُّعَفاء؛
كَقَمَرٍ جديدٍ أو ذي ثلاثَةِ أيَّامٍ أو بَدْر، لِكُلِّ مَلَكٍ مَرْتَبَةٌ في النُّورِ والقَدْر؛
مِنْ أجنِحَةِ النُّورِ الثُّلاثِ والرُّباع، دالٌّ على مراتِبِ كُلِّ مَلَكٍ شُعاع؛
كمِثْلَ أجْنِحَةِ عُقولِ الأناسي، وفَرْقٌ كثيرٌ هُناكَ ما بينَها؛
فقرينُ كُلِّ بَشَرٍ مِنْ حَسَنٍ وسيِّئٍ، مَلَكٌ يكونُ على شاكِلَتِه؛
بما أنَّ عَيْنَ الأعْمَشِ لا تَحْتَمِلُ الضِّياء ، صارَ شَمْعاً لَهُ النَّجْمُ لِيَجِدَ الطَّريق؛

قَولُ النَّبيّ عليهِ السّلام لِزَيد لا تُذِعْ هذا السِّرَّ أكثَرَ وحافِظْ على المُتابَعَة

قالَ النَّبِيُّ أصحابي نُجوم، شُموعُ السَّالِكين ورُجومُ الشَّياطين؛
كُلُّ شَخْصٍ كانَ لَهُ البَصَرُ ذاكَ والقُدْرَة، لا يأخُذُ النّورَ مِنْ شَمْسِ الفَلِك؛
مَنْ كانَ لَهُ مِنْ نورِ الشَّمْسِ الدَّليل، مَتى تكونُ لَهُ حاجَةٌ بالنَّجْمِ أيْ ذليل؛
البَدْرُ قالَ للطِّينِ والغَيْمِ والفَيّ، كُنْتُ بَشراً لكِنْ يوحى إلَيّ؛
كُنْتُ مِثْلَكُمْ مُظْلِمَ الطِّيْنَةِ لكِنْ، وَحْيُ الشَّمْسِ أعطاني هذا النُّور؛
عِنْدي ظُلْمَةٌ نِسْبَةً إلى الشُّموس، عِنْدِيَ نورٌ لأجْلِ ظُلُماتِ النُّفوس؛
أنا ضَعيفٌ لِكي تَتَحَمَّلوا النُّور، فَلَمْ أكُنْ رَجُلَ الشَّمْسِ الأنوَر؛
أنا مَزيجٌ كالشَّهْدِ والخَلِّ مَعاً، كيْ أجِدَ الطَّريقَ إلى ألَمِ الكَبِد؛
ما دُمْتَ تَحَرَّرْتَ مِنَ العِلَّةِ أيْ رَهين، أُعبُرْ مِنَ الخَلِّ واشْرَبِ العَسَل؛
وسريرُ القَلْبِ مَعْمورٌ مُطَهَّرٌ مِنَ الهوى، أُنْظُر *الرَّحْمَنُ على العَرْشِ استوى*؛
الحُكْمُ على القَلْبِ بَعْدِ هذا بلا واسِطَه، *يَفعَلُ الحَقُّ* إنْ وَجَدَ القَلْبُ هذِهِ الرَّابِطَه؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فأيْنَ زَيْد، لأُعْطِيَهُ النَّصيحَةَ لا تَبْحَثْ عَنِ الفَضيحَة؛

رُجوعٌ إلى حِكايَةِ زَيد

الآنَ لَنْ تَجِدَ زَيْداً فَقَدْ فَرَّ، قَفَزَ مِنْ صَفِّ النِّعالِ ورمى النَّعْل؛
أنتَ الَّذي تكونُ زَيْداً أيْضاً لَنْ تَجِدَ النَّفْس، مِثْلَ نَجْمٍ أشْرَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْس؛
لَنْ تَجِدَ مِنْهُ لا أثَراً ولا إشارَةً، لَنْ تَجِدَ قَشَّةً في طريقِ المَجَرَّة؛
لَقَدْ صارَتْ حواسُّنا وَمَحْدودُ نُطْقِنا، مَحْواً في نُورِ عِلْمِ سُلطانِنا؛
حواسُّهُمْ وعُقولُهُم الباطِنَةُ تِلكَ، مَوجٌ في مَوجِ *لَدَينا مُحْضَرون*؛
إذا جاءَ اللَّيلُ صارَ وَقْتُ العَمَل، النَّجْمُ الَّذي كانَ مُخْتَفِياً صارَ في العَمَل؛
يَهَبُ الحَقُّ للغائبينَ عَنِ الوَعْيِ وَعْيَهُم، حَلْقَةً حَلْقَةً يَجْعَلُ الحَلَقَ في آذانِهِم؛
راقِصينَ ومُصَفِّقينَ في الثَّنا، يتَدَلَّلونَ في غُنْجِ *رَبَّنا أحيَيْتَنا*؛
تِلْكَ الجُلودُ وَتِلْكَ العِظامُ المُلقاة، استَحالَتْ فُرساناً تُثيرُ الغُبار؛
تَحْمِلُ مِنَ العَدَمِ إلى الوجود، في القِيامَةِ مِنْ شَكورٍ ومِنْ كَنود؛
لِماذا تَلوي بِالرَّأسِ أما رَأيْتَ، أنَّكَ مِنَ الأوَّلِ في العَدَمِ عَصَيْت؛
في العَدَمِ كُنْتَ قَدْ كَبَسْتَ على القَدَم، أنْ مَنْ ذا الَّذي يَقْتَلِعُني مِنْ مَوضعي؛
ألا تَرى صُنْعَ رَبَّانيكَ، الآخِذِ بِشَعْرِ ناصِيَتِك؛
يسْحَبُكَ إلى أنواعِ أحوال، لَمْ تَكُنْ تَخْطُرُ لَكَ على بالٍ ولا في خيال؛
ذلِكَ العَدَمُ لَهُ دائماً عَبْدٌ، اِعْمَلْ شيطانُ فَسُلَيمانُ حَيّ؛
الشَّيطانُ يَعْمَلُ الجِفانَ كالجَواب، لا جُرْأةَ لَدَيهِ لِلاِعْتِراضِ أو للجَواب؛
أُنْظُرْ إلى نَفْسِكَ تَرْتَعِشُ مِنَ الخَوف، واعْلَمْ أنَّ العَدَمَ على الاِرتِعاشِ مُقيم؛
وإذا صِرْتَ ذا سُلْطَةٍ في المَناصِب، أنتَ مِنَ الخَوفِ مِنْ ضياعِها تَدْفَعُ الرُّوح؛
كُلُّ شَيْءٍ غَيْرَ عِشْقِ اللهِ الأحْسَن، وَلَوْ كانَ أكْلَ السُّكَّرِ نَزْعٌ للرُّوح؛
وما نَزْعُ الرُّوحِ إنَّهْ الاِتِّجاهُ للمَوت، وَعَدَمُ مَدِّ اليَدِ لِماءِ الحَياة؛

إنَّ لِلْخَلْقِ عَيْنَيْنِ في التُّرابِ والمَمات، وَلَهُمْ مِئةُ تَفْكيرٍ بِماءِ الحياة؛
اجْهَدْ أنْ تَصيرَ ظُنونُكَ المِئةُ تِسْعين، واذهَبِ اللَّيْلَ فإنْ نِمْتَ فإنَّ اللَّيْلَ يَذْهَب؛
في اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ ابْحَثْ عَنْ ذلِكَ النَّهار، قَدِّمْ أمامَكَ ذلِكَ العَقْلَ الحارِقَ للظَّلام؛
في اللَّيْلِ سَيِّئِ اللَّونِ كُثيرٌ مِنَ الخَيْر، إنَّ ماءَ الحياةِ قَرينُ الظُّلُمات؛
مَتى تَقْدِرُ أنْ تَرْفَعَ الرَّأسَ مِنَ النَّوم، وأنْتَ قَدْ زَرَعْتَ مِئةً مِنْ بُذورِ الغَفْلَة؛
مَيِّتُ النَّومِ رَفيقُ اللُّقْمَةِ المَيِّتَة، نامَ السَّيِّدُ فَشَرَعَ اللِّصُّ في العَمَل؛
أنْتَ لا تَعْرِفُ خُصومَكَ مَنْ يكونون، خَصْمُ الوجودِ التُّرابِيِّ هُمُ النَّاريُّون؛
النَّارُ خَصْمُ الماءِ وأبناءِ الماء، كما أنَّ الماءَ خَصْمُها اللَّدود؛
الماءُ يقتُلُ النَّارَ لأنَّ النَّارَ، خَصْمٌ لأبناءِ الماءِ وعَدُوٌّ؛
بَعْدَ ذلِكَ هذِهِ النَّارُ هِيَ نارُ الشَّهْوَة، الَّتي كانَ فيها أصْلُ الذَّنْبِ والزَّلَّة؛
النَّارُ الخارِجِيَّةُ تَنْطَفِئُ بالماء، نارُ الشَّهْوَةِ تُوصِلُ إلى نارِ الجَحيم؛
نارُ الشَّهْوَةِ لا تَسْكُنُ بالماء، لأنَّ لَها طَبْعَ جَهَنَّمَ في العَذاب؛
مَعَ نارِ الشَّهْوَةِ الوَسِيْلَةُ نورُ الدِّين، نُورُكُم إطْفاءُ نارِ الكافِرين؛
بِما أنَّ نُورَ اللهِ أطْفَأَ هذِهِ النَّار، أشْعِلْ نورَ إبراهيمَ يا أُستاذ؛
حَتَّى مِنْ نارِ نفْسِكَ الَّتي هِيَ كَنَمْرود، تُخَلِّص جِسْمَكَ الَّذي يُشْبِهُ العُود؛
لا تَقُلْ بِطَرْدِ نارِ الشَّهْوَةِ كُلِّيّاً، إذا هِيَ بَقِيَتْ قَليلَةً لا يكونُ مِنْها أيُّ أذى؛
ما دُمْتَ فَوْقَ النَّار تَضَعُ الحَطَب، مَتى تَنْطَفِئُ النَّارُ مِنْ مَزِيدِ الحَطَب؛
وإذا مَنَعْتَ الحَطَبَ عَنِ النَّارِ ماتَتْ، ذاكَ لأنَّ التَّقوى تَجلبُ الماءَ إلى النَّار؛
مَنْ يَجْعَلُ أسْوَدَ مِنَ النَّارِ وَجْهَهُ الجميلَ الأحْمَرَ كالوَرْدِ مِنْ تَقوى القُلوب؛

وقوع حريق في المدينة في أيَّام عُمَر(رض)

وَقَعَتْ على عَهْدِ عَمَرَ نارٌ، كانَتْ تأكُلُ الحَجَرَ كالخَشَبِ اليابِسِ؛
أخَذَتْ بالبناءِ والمَساكِنِ حتَّى، وَصَلَتْ إلى أجْنِحَةِ الطُّيورِ وأعشاشِها؛
نِصْفُ المَدينَةِ أخَذَتْهُ شُعَلُ النَّار، الماءُ خافَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ واستجار؛
الأشخاصُ الأذكياءُ راحوا يَصُبُّونَ على النَّارِ قِرَبَ الماءِ والخَلِّ؛
والنَّارُ مِنْ عِنادِها تَزيدُ أواراً، ويصِلُ إلَيها مَدَدٌ بِلا حَدّ؛
جاءَ الخَلْقُ إلى عُمَرَ مُسرِعين، أنْ نارُنا لا تَنْطَفِئُ بِأيِّ ماءٍ؛
قالَ إنَّ تِلْكَ النَّارَ مِنْ آياتِ الله، شُعْلَتُها مِنْ نارِ بُخْلِكُم؛
فاتْرُكوا النَّارَ وقوموا بِقِسْمَةِ الخُبْز، وإنْ كُنْتُم مِنْ آلي فَدَعوا البُخْلَ؛
قالَ الخَلْقُ لَقَدْ كُنَّا فَتَحْنا الأبواب، وكُنَّا أهْلَ فُتُوَّةٍ وأسخياءَ؛
قالَ لَقَدْ أعْطَيْتُم الخُبْزَ رَسْماً وَعادَةً، لَمْ تَكونوا كُرَماءَ في سَبيلِ الله؛
بَلْ مِنْ فَخْرٍ وحِشْمَةٍ وَكِبْرٍ، لا مِنْ خَوفٍ وَتَقوىً واضطِرار؛
المالُ بِذْرَةٌ لا تَضعوها بِكُلِّ أرْضٍ مالِحَةٍ، لا تُعطوا السَّيْفَ لِكُلِّ قاطِعِ طريق؛
اعرِفوا أهْلَ الدِّينِ مِنْ أهْلِ الحِقْدِ، اطلُبوا وجالِسوا أولياءَ الْحَقِّ؛
كُلُّ شَخْصٍ قامَ بإيثارِ قَومِهِ مِن طَبْعِهِ ، والأحْمَقُ ظَنَّ أنَّهُ أحْسَنَ عَمَلاً؛

تَفْلُ الخَصْمِ في وَجْهِ أميرِ المؤمِنينَ علِيٍّ عَلَيهِ السَّلام
وإلقاءُ عَلِيٍّ عَلَيهِ السَّلامُ السَّيْفَ مِنْ يَدِه

مِنْ علِيٍّ تَعَلَّمْ إخلاصَ العَمَل، اِعْرِفْ أسَدَ الحَقِّ مُطَهَّراً مِنَ الدَّغَل؛
بَعْدَ أنْ وَجَدَ في غَزاةِ الغَلَبَةَ على بَطَلٍ، وَأَشْرَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ مُسْرِعاً لِيَصْرَعَه؛
قامَ ذاكَ بالتَّفْلِ في وَجْهِ عَلِيّ، افتِخارِ كُلِّ نَبيٍّ وكُلِّ وَليّ؛

تَفَلَ على الوَجْهِ الَّذي لَهُ سَجَد، وَجْهُ القَمَرِ في مَوضعِ السُّجود؛
فرمى عَلِيٌّ سَيْفَهُ ذاكَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، وكانَ مِنْهُ حينَها عَجْزٌ في القِتال؛
صارَ ذاكَ المُبارِزُ حَيْرانَ مِنْ هذا العَمَل، وَمِنْ إظهارِ عَفْوٍ وَرَحْمَةٍ بلا مَحَلّ؛
قالَ لَقَدْ رَفَعْتَ عَلَيَّ سَيْفَكَ القاطِعَ، فلِماذا رَمَيْتَهُ ولِماذا تَرَكْتَني؛
ما ذاكَ الَّذي رَأَيْتَ أَفْضَلَ مِنْ قِتالي، حتَّى وَهِنْتَ عَنْ اصطيادي؛
ما ذاكَ الَّذي رَأَيْتَ لِيَخَمَدَ غَضَبُكَ هَكذا، حتَّى ظَهَرَ مِثْلُ ذلِكَ البَرْقِ ثُمَّ خَبا؛
ما ذاكَ الَّذي رَأَيْتَ فَمِنْ انعِكاسِهِ، أَخَذَتْ بي شُعْلَةٌ ظاهِرَةٌ في القَلْبِ والرُّوح؛
ما ذاكَ الَّذي رَأَيْتَ أَفْضَلَ مِنَ الكَوْنِ والمَكان، ومِنَ الرُّوحِ وَأعطيتني الرُّوح؛
أَنْتَ في الشَّجاعَةِ أَسَدٌ رَبَّانيّ، في المُروءَةِ مَنْ ذا الَّذي يَعْرِفُ مَنْ تكون؛
أَنْتَ في المُروءَةِ سَحابُ موسى في التِّيْه، نَزَلَتْ مِنْهُ مائدَةٌ وَخُبْزٌ بلا شَبيه؛
الغَيْمُ أعْطى القَمْحَ ومِنْ بَعْدِ جَهْد، خَبَزَهُ القَومُ وَجَعَلوهُ حُلْواً كالشَّهْد؛
غَيْمُ موسى فَتَحَ جَناحَ الرَّحْمَة، فأعْطاهُ مَخبوزاً وَحُلْواً بلا زَحْمَة؛
مِنْ أجْلِ أولئكَ المُعْوِزينَ سائلي الكَرَم، رَحْمَتُهُ رَفَعَتْ في العالَمِ العَلَم؛
إلى أربَعينَ عاماً تِلْكَ الوَظيفَةُ وذاكَ العَطاء، ما انقَطَعا يوماً عَنْ أَهْلِ الرَّجاء؛
إلى أنْ قاموا مِنَ الخِسَّةِ، وطَلَبوا الفِجْلَ والكُرَّاثَ والخَسَّ؛
لأُمَّـةِ أحْمَدَ الكِرام، إلى القِيامَةِ باقٍ ذلِكَ الطَّعام؛
حينَ *أبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي* صارَتْ فاشِيَةً، *يُطْعِمُ وَيَسْقي* صارَتْ عنِ العَيشِ كِنايَةً؛
فكُنْ قابِلاً هذا بلا أيِّ تأويل، لِيَعْبُرَ في الحَلْقِ كالشَّهْدِ واللَّبَن؛
ذاكَ لأنَّ التَّأويلَ رَدُّ الْعَطاء، ذو التَّأويلِ رأى تِلْكَ الحَقيقَةَ خَطاءً؛
رؤيَتُهُ ذاكَ خَطاءً مِنْ ضَعْفِ عَقْلِه، العَقْلُ الكُلِّيُّ لُبٌّ والعَقْلُ الجُزئيُّ قِشْرٌ؛
قُمْ بِتَأويلِ نَفْسِكَ لا الأخبار، قُلِ بِمُخِّكَ العَيْبَ لا بِرَوْضِ الوَرْد؛
أي عَلِيٌّ أي مَنْ أنتَ جُمْلَةً عَقْلٌ وَنَظَر، عَنْ شُمَّةٍ مِمَّا رأيتَ أَخْبِرنا الخَبَر؛

سَيْفُ حِلْمِكَ مَزَّقَ أرواحَنا مِزَقاً، ماءُ عِلْمِكَ طَهَّرَ تُرابَنا تَطْهيراً؛
أَعِدِ الشَّرْحَ أَعْلَمُ أَنَّ هذِهِ أسرارُ **هُوَ**، مِنْ ذلِكَ الَّذي شأنُهُ القَتْلُ بلا سَيفٍ؛
صانِعٍ بلا آلَةٍ ولا جارِحَة، واهِبٍ لِهذِهِ الهدايا الرَّابِحَة؛
أذاقَ الفَهْمَ مِئاتِ آلافِ الطُّعومِ، مِمَّا لا خَبَرَ عَنْهُ لِعَيْنَينِ وأُذُنَيْنِ؛
أَعِدِ القَوْلَ أَيْ *بازَ العَرْشِ* حَسَنَ الصَّيْد، عمَّا رأَيْتَ هذا الزَّمانَ مِنَ الفَعَّال؛
عَيْنُكَ مُعَلَّمَةٌ إدراكَ الغَيْب، وعيونُ الحاضِرينَ مَخيطَةٌ؛
ذاكَ واحِدٌ كانَ يرى القَمَرَ عِياناً، وذاكَ واحِدٌ كانَ يرى العالَمَ مُظْلِماً؛
وذاكَ واحِدٌ كانَ يرى ثلاثَةَ أقْمارٍ معاً، والثَّلاثَةُ أولئكَ جالِسونَ في مكانٍ معاً؛
وعَيْنُ كُلٍّ مِنَ الثَّلاثَةِ مَفتوحَةٌ وأُذُنُ كُلٍّ مِنْهُمْ حادَّةٌ، مُعَلَّقَةٌ بِكَ هارِبَةٌ مِنّي؛
سِحْرُ عَيْنٍ هذا عَجَباً لَهُ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ، في صورَةِ ذئبٍ لَكَ ولي يُوسُفيّ؛
لو كانَ العالَمُ ثمانيَةَ عَشَرَ ألفاً وأكْثَرَ، ليسَتْ ثمانيةَ عَشَر لِكُلِّ نَظَرٍ مِنَ البُعْد؛
اِكْشِفِ السِّرَّ أيْ عَلِيٌّ المُرْتَضى، أيْ حُسْنَ القَضا بَعْدَ سوءِ القَضا؛
أو تَقولَ أنتَ ذلِكَ الَّذي عَقْلُكَ رأى، أو أقولَ أنا ذلِكَ الَّذي عَلَيَّ شَعَّ؛
مِنْكَ شَعَّ عَلَيَّ وكُنْتَ تُخْفيه، أنْتَ كالقَمَرِ تَنْشُرُ النُّورَ بلا لِسان؛
لكِنْ لو كانَ قامَ بالنُّطْقِ قُرْصُ القَمَر، كانَ دَلَّ السُّراةَ أسْرَعَ في دَرْبِ السَّفَر؛
ولصاروا آمِنينَ مِنَ الغَلَطِ والذُّهول، فَصوتُ القَمَرِ غالِبٌ على صَوتِ الغُول؛
القَمَرُ مِنْ دونِ مَقالٍ يكونُ دليلاً، فإذا جاءَ بالمَقالِ كانَ ضياءً على ضياء؛
بِما أنَّكَ بابُ تِلْكَ المَدينَةِ لِلْعِلْمِ، وأنَّكَ مِثْلُ شُعاعِ شَمْسِ الحِلْم؛
اِفْتَحِ البابَ أيْ بابَ قاصِدي الباب، لِتَصِلَ لنا مِنْكَ القُشورُ فيها اللُّباب؛
كُنْ فَتحاً أيْ بابَ الرَّحْمَةِ إلى الأبَد، يا قَصْرَ *ما لَهُ كُفُواً أحَد*؛
كُلُّ هواءٍ وكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْهُ مَنْظَرَةٌ، غَيرَ مفتوحٍ ما كأنَّ هُنالِكَ باب؛
لو لَمْ يفتَحِ البوَّابُ فيهِ باباً، ما نَهَضَ هذا الظَّنُّ في الدَّاخِلِ أبداً؛

فإذا فُتِحَ بابٌ صارَ حَيراناً، وطائرُ الأمَلِ والطَّمَعِ صارَ مُرَفْرِفاً؛
غافِلٌ وَجَدَ فَجْأةً في خرابٍ كَنْزاً، فصارَ مِنْ ذاكَ يُسرِعُ إلى جِهَةِ كُلِّ خراب؛
إذا لَمْ تَجِدِ الجَوهَرَ عِنْدَ دَرويشٍ، متى تَبْحَثُ عَنْ الجَوهَرِ عِنْدَ دَرويشٍ آخَر؛
الظَّنُّ ولو جَرى السِّنينَ بِأقدامِ نَفْسِه، لا يَمُرُّ مِنْ فُتُحاتِ الأنْفِ مِنْ نَفْسِه؛
إنْ كُنْتَ لَمْ يَصِلْكَ بالأنْفِ مِنَ الغَيْبِ عَبيرٌ،غيرَ الأنْفِ هَلْ ترى أيَّ شَيءٍ قُلْ؛

سؤالُ ذلِكَ الكافِرِ أميرَ المؤمِنينَ عَلِيّاً (ع) أنْ لَمَّا صِرْتَ مُظَفَّراً عليَّ لِماذا ألْقَيْتَ بالسَّيْفِ مِنْ يَدِك

ثُمَّ قالَ ذاكَ المُسْلِمُ الجديدُ الوَلِيّ، مِنْ صَميمِ السُّكْرِ واللَّذَّةِ لِعَلِيّ؛
أنْ يا أميرَ المؤمِنينَ تَحَدَّثْ، لِتَتَحَرَّكَ الرُّوحُ في البَدَنِ كالجَنين؛
سَبْعَةُ أنْجُمٍ كُلِّ جَنينٍ مُدَّةً، تَقومُ بالخِدْمَةِ كُلٌّ لَهُ نَوبَةٌ؛
فإذا جاءَ وَقْتُ أنْ يَأخُذَ الرُّوحَ الجنين، تَصيرُ لَهُ الشَّمْسُ ذاكَ الزَّمانَ المُعين؛
فهذا الجَنينُ تَجيءُ حَرَكَتُهُ مِنَ الشَّمْس، الشَّمْسُ تُعطيهِ سَريعاً الرُّوح؛
هذا الجَنينُ لا يَجِدُ مِنَ الأنْجُمِ الأُخرى غَيْرَ النَّقْشِ حَتَّى تُشِعَّ عَلَيْهِ الشَّمْس؛
مِنْ أيَّةِ طَريقٍ هُوَ وَجَدَ التَّعَلُّقَ، في الرَّحِمِ بالشَّمْسِ حَسَنَةِ الوَجْه؛
مِنْ طَريقٍ خَفِيَّةٍ هِيَ عَنْ حِسِّنا بَعيدَةٌ، شَمْسُ الفَلَكِ لها طُرُقٌ كثيرةٌ؛
فذاكَ طَريقٌ يجِدُ الذَّهَبُ القُوْتَ مِنْه، وَذاكَ طَريقٌ يصيرُ الصَّخْرُ ياقوتاً مِنْه؛
وذاكَ طَريقٌ يَجْعَلُ اللَّعْلَ أحْمَراً، وطريقٌ وَهَبَ البَرْقَ لِلنِّعال؛
وذاكَ طَريقٌ قَدْ أنْضَجَ ثماراً، وذاكَ طَريقٌ جَعَلَ القَلْبَ مُحتاراً؛
قُلْ لنا أيُّها البازُ مَنْشورُ الجَناح، المُرَبَّى على ساعِدِ الشَّاهِ المُعلَّمُ مِنَ الشَّاه؛
أعِدِ القَوْلَ أي بازَ الشَّاهِ صائِدَ العَنْقاء، أي كاسِرَ الجَيْشِ بِنَفْسِهِ لا بِالجَيْش؛

أُمَّةٌ أنْتَ وَحْدَكَ، واحِدٌ ومِئةُ ألْفٍ، أعِدِ القَولِ أي مَنْ أنا عَبْدُكَ صَيْدُ بازِك؛
في مَحَلِّ القَهْرِ هذِهِ الرَّحْمَةُ مِمَّ تكونُ، مَدُّ يَدِ العَونِ للأفعى طَريقُ مَنْ تَكون؛

جوابُ أميرِ المؤمنين عَنْ سَبَب إلقاء
السَّيف مِنَ اليَد في تِلْكَ الحالَةِ ما كان

قالَ أنا أضْرِبُ بالسَّيْفِ في سَبيلِ الحَقّ، أنا عَبْدُ الحَقِّ لَسْتُ مأمورَ بَدَني؛
أنا أسَدُ الحَقِّ لَسْتُ أسَدَ الهوى، فِعْلِيَ مِنْ أجْلِ الدِّيْنِ لا مِنْ أجْلِ الهوى؛
أنا *ما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ* في الحِراب، أنا كالسَّيْفِ والضّارِبُ تِلْكَ الشَّمْس؛
حَمَلْتُ مَتاعَ النَّفْسِ مِنْ هذِهِ الطَّريق، غَيْرَ الحَقِّ أتَصَوَّرُ عَدَماً؛
أنا ظِلٌّ وأنا قَيِّمُ الشَّمْس، حاجِبٌ أنا وَلَسْتُ لَهُ بِحِجاب؛
أنا مِثْلَ سَيْفٍ مَملوءٍ بِجواهِرِ الوِصال، أنا أُحيي لا أُميتُ في القِتال؛
الدَّمُ لا يُغَطِّي جَوْهَرَ سَيفي، الرِّيحُ لا تُزَحْزِحُ سَحابي؛
لَسْتُ قَشَّةً أنا جَبَلٌ مِنَ الحِلْمِ والصَّبْرِ والعَطاء، الجَبَلُ متى تَخْطُفُهُ العاصِفَة؛
ذاكَ الَّذي تُحَرِّكُهُ الرِّيحُ مِنْ مكانِهِ خَسيسٌ، لأنَّ الرِّياحَ غَيْرَ المُوافِقَةِ كَثيرٌ؛
ريحُ الغَضَبِ وريحُ الشَّهْوَةِ ريحُ الحِرْص، حَمَلَتْهُ إذْ لَمْ يكُنْ مِنْ أهْلِ الصَّلاة؛
أنا جَبَلٌ ووجودي هُوَ بُنيانُهُ، وإذا صِرْتُ كالقَشَّةِ كانَت ريحي من ذِكْرِهِ؛
إلَّا مِنْ ريحِهِ لا يكونُ حِراكٌ لِمَيْلي، غَيْرَ عِشْقِ الأحَدِ لا قائدَ لِخَيلي؛
الغَضَبُ مَلِكٌ على المُلوكِ وهُوَ لنا غُلام، الغَضَبُ عِندي مَلْجومٌ بلِجام؛
سَيْفُ حِلْمي قاطِعٌ رَقَبَةَ غَضَبي، غَضَبُ الحَقِّ صارَ كالرَّحْمَةِ لي؛
غَريقٌ بالنُّورِ رَغْمَ أنَّ سَقفي خرابٌ، صِرْتُ رَوضَةً رَغْمَ أنِّي أبو تُراب؛
عِنْدَما دَخَلَتْ عِلَّةٌ في القِتال، رأيتُ أنَّ الأَولى إغْمادُ السَّيف؛
ليصيرَ اِسمي *أحَبَّ لِلّه*، لِتَصيرَ بُغْيَتي *أبْغَضَ لله*؛

ليصيرَ جودي *أعطى لله*، ليَصيرَ مَنْعي *أَمْسَكَ لِلّهِ*؛
عطائي للهِ وحَسْبُ وبُخلي للهِ، جُمْلَتي للهِ لستُ أنا ذلِكَ الشَّخْص؛
وذاكَ الَّذي أعْمَلُ للهِ لَيْسَ تَقليداً، ليسَ تَخيُّلاً وَظَنّاً وليسَ غَيْرَ عِيانٍ؛
مِنَ الاِجْتِهادِ والتَّحَرّي تَحَرَّرْتُ، كُمّي بِرِداءِ الحَقِّ عَقَدْتُ؛
حينَ أكونُ طائراً أكونُ ناظِرَ المَطَار، وحِينَ أكونُ حاطّاً أكونُ ناظِرَ المَدار؛
وإنْ حَمَلْتُ حِمْلاً كُنْتُ عالِماً إلى أين، الشَّمْسُ والقَمَرُ كانا أمامي دَليلَيْن؛
قَوْلُ أكْثَرَ مِنْ هذا لِلْخَلْقِ ليسَ لهُ وَجْهٌ، استيعابُ البَحْرِ مِنْ جَدْوَلٍ ليسَ مُمْكِناً؛
أُرْسِلُ القَوْلَ على مِقدارِ العُقول، هذا ليسَ عَيْباً هذا فِعْلُ الرَّسول؛
أنا حُرٌّ مِنَ الغَرَضِ فاسْمَعْ شَهادَةَ حُرّ، فَشَهادَةُ العَبيدِ لا تُساوي حَبَّتَيْ شَعير؛
شَهادَةُ العَبْدِ عَنْدَ الدَّعْوى والقَضاءِ، في الشَّريعَةِ لَيْسَتْ بِذاتِ قَدْرٍ؛
لو كانَ آلافٌ مِنَ العَبيدِ لَكَ شهوداً، الشَّرْعُ لا يرى لَهُمْ وَزْنَ قَشَّةٍ؛
عَبْدُ الشَّهْوَةِ أسوَأُ عِنْدَ الحَقّ، مِنْ العَبيدِ والغُلامِ المُسْتَرَقّ؛
فهذا بِلَفْظٍ واحِدٍ مِنَ السَّيِّدِ يصيرُ حُرّاً، وذاكَ وُلِدَ عَذْباً وماتَ مُرّاً؛
عَبْدُ الشَّهْوَةِ ما لَهُ مِنَ النَّفْسِ خلاص، إلّا بِفَضْلٍ مِنَ اللهِ وإنْعامٍ خاصّ؛
لَقَدْ وَقَعَ في بِئرٍ عَميقَةٍ بلا غَور، وذاكَ ذَنْبُهُ ولَيْسَ الجَبْرُ والجَوْر؛
أراهُ رَمى نَفْسَهُ بِبئرٍ، لا أرى يَصِلُ لِقَعْرِها حَبْلٌ؛
كفى هذا الحَديثُ لَوْ زادَ ما تَكونُ حالُ الكَبِدِ، والصَّخْرُ الصَّلْدُ مِنْهُ صارَ دَماً؛
هذهِ الأكبادُ لَمْ تَصِرْ دَماً لَيْسَ مِنَ قَسْوَةٍ، بَلْ مِنْ غَفْلَةٍ وانشِغالٍ وسوءِ بَخْت؛
تَصيرُ دَماً يَومَ يصيرُ دَمُها بلا نَفْع، صِرْ دَماً وَقْتَ لا يكونُ الدَّمُ مَردوداً؛
بِما أنَّ شَهادَةَ العَبيدِ غَيْرُ مَقبولَةٍ، فالعَدْلُ عِنْدَهُ مَنْ لا يكونُ عَبْداً للغول؛
صارَ *أرسَلْناكَ شاهِداً* في النُّذُرْ، لأنَّهُ كانَ مِنْ كَوْنِهِ *حُرّاً ابْنَ حُرٍّ*؛
بِما أنَّني حُرٌّ مَتى يُقَيِّدُني الغَضَبُ، ليسَ هُنا غَيرُ صِفاتِ الحَقِّ فادخُلْ؛

أُدْخُلْ فَقَدْ جَعَلَكَ حُرَّاً فَضْلُ الحَقّ، لأنَّ رَحْمَتَهُ على غَضَبِهِ ذاتُ سَبْق؛
أُدْخُلْ فَقَدْ تَحَرَّرْتَ الآنَ مِنَ الخَطَر، كُنْتَ حَجراً وجَعَلَتْكَ الكيمياءُ جَوهَراً؛
تَحَرَّرْتَ مِنَ الكُفْرِ وَحَقْلِ شَوكِه، إذْ تَفَتَّحْتَ وَرْداً في بُستانِ **هُو** (الهويَّة)؛
أنْتَ أنا وأنا أنْتَ أيْ مُحْتَشِمُ، أنْتَ كُنْتَ عَلياًّ فكَيْفَ أقتُلُ عَليّاً؛
عَمِلْتَ مَعْصِيَةً أفْضَلَ مِنْ كُلِّ طاعَةٍ، طَوَيْتَ السَّماءَ في ساعَةٍ؛
كمْ مَعْصِيَةً فَعَلَ المَرءُ كانَتْ مُبارَكَةً، أَلَيْسَ مِنَ الشَّوكِ تَطْلَعُ أوراقُ الوَرْد؛
أَلَيْسَ ذَنْبُ عُمَرَ في قَصْدِهِ الرَّسول، هُوَ الَّذي شَدَّهُ إلى عَتَبَةِ القَبول؛
أَلَمْ يَشُدَّ فَرْعَونُ السَّاحِرينَ، إلى السِّحْرِ فصارَ دَولَةَ عَوْنِهِم؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ سِحْرُهُمْ وذاكَ الجُحود، مَتى كانَ يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ فِرْعَونُ العَنود؛
مَتى كانوا رأوا العَصا والمُعْجِزات، المَعْصِيَةُ غَدَتْ طاعَةً أيُّها القَومُ العُصاة؛
قَطَعَ اللهُ عُنُقَ القُنوط، حينَ جاءَ الذَّنْبُ كالطَّاعَة؛
بِما أنَّهُ مُبَدِّلٌ للسَّيِّئات، يَجْعَلُها طاعَةً لَهُ بِرَغْمِ الوُشاة؛
مِنْ هُنا صارَ مَرجوماً الشَّيْطانُ الرَّجيم، خَاسِئاً انشَطَرَ مِنَ الحَسَد نِصْفَين؛
فقد سعى في رِعايَةِ الذَّنْب، وأدْخَلَنا البِئر مِنْ ذلِكَ الذَّنْب؛
ساعَةَ رأى أنَّ ذلِكَ الذَّنْبَ صارَ طاعَةً، كانَتْ عَلَيْهِ ساعَةً غَيْرَ مُبارَكَةٍ؛
أُدخُلْ فَقَدْ فَتَحْتُ لَكَ الباب، تَفَلْتَ تُفْلاً فأعْطَيْتُكَ تُحْفَةً؛
إذا كُنْتُ أُعطي الجافيَ مِثْلَ هذا العطاء، وعادَتي التَّواضُعُ لِمَنْ عَنْ شِمالي؛
فماذا إذن أُعطي لِصاحِبِ الوَفاءِ، اِعْلَمْ أنَّني أُعطيهِ الكُنوزَ والأملاكَ الخالِدَة؛

قَولُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلام في أُذُنِ جَمَّالِ أميرِ المؤمِنينَ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلام أنَّ قَتْلَ عليٍّ سَوفَ يكونُ عنْ يَدِكَ، قد أعْطَيْتُكَ الخَبَر

أنا ذلِكَ الرَّجُلُ الَّذي مِنْ أجْلِ دَمي، مَشْرَبُ لُطْفي لا يكونُ في قَهْرِ سَيفي؛
قالَ النَّبِيُّ في أُذُنِ خادمي، أنَّهُ سَيكونُ يوماً ضارِبَ رأسي بالسَّيفِ وقاتِلي؛
الرَّسولُ ذاكَ مِنْ وَحْيِ الحَبيب أخْبَرَهُ، أنَّ هلاكي في العاقِبَةِ سيكونُ عنْ يَدِه؛
فقالَ لي اقْتُلني مِنْ قَبْلِ ذلِكَ، كي لا يجيءَ مِنِّي هذا الخَطَأُ المُنْكَر؛
قُلْتُ ما دامَ مَوتي مِنْكَ، مِنْ أيْنَ لي أنْ أقْدِرَ على الحِيْلَةِ مَعَ القَضاء؛
وكم وَقَعَ أمامي قائلاً أي كريمُ، مِنْ أجْلِ الحَقِّ اجْعَلني شَطْرَيْن؛
كي لا تَصِلَ إلَيَّ هذِهِ النِّهايَةُ السَّيِّئةُ، كي لا تَحْتَرِقَ روحي مِنْ أجْلِ روحِك؛
وكُنْتُ أُجيبُ جَفَّ القَلَم، مِنْ ذلِكَ القَلَمِ كم انتكَسَ عَلَم؛
ليْسَ هُناكَ أيُّ بُغْضٍ في روحيَ لَكَ، ذاكَ لأنِّي لا أعْرِفُ هذا الفِعْلَ مِنْكَ؛
أنْتَ آلَةُ حَقٍّ والفاعِلُ يَدُ الحَقّ، كَيْفَ لي بِطَعْنِ وَدَقِّ آلَةِ الحَقّ؛
قالَ فلِأجْلِ ماذا إذَنْ ذلِكَ القَصاصُ، قالَ هُوَ أيضاً مِنَ الحَقِّ، ذلِكَ سِرٌّ خَفيّ؛
لَمَّا قامَ على فِعْلِ نَفْسِهِ بالإِعْتِراض، تَفَتَّحَتْ مِنْ اعْتِراضِ نَفْسِهِ الرِّياض؛
الاعتِراضُ جاءَهُ وِقايَةً مِنْ فِعْلِه، ذاكَ لأنَّهُ الأَحَدُ في قَهْرِهِ وفي لُطْفِهِ؛
الأميرُ في مَدينَةِ الحوادِثِ هذِهِ هُو، مالِكُ التَّدبيرِ في الممالِكِ كُلِّها هُوَ؛
إذا هُوَ ما كَسَرَ آلَةَ نَفْسِه، عَمِلَ الجَميلَ لِذاكَ الَّذي صارَ مَكسوراً؛
رَمْزَ *نَنْسَخْ آيَةً أو نُنْسِها* أيُّها السَيِّدُ اعْلَمْ ، *نَأْتِ بِخَيْرٍ* مِنها في *العَقِبِ اعْلَمْ*؛
كُلُّ شَريعَةٍ جَعَلَها الحَقُّ منسوخَةً، أخَذَ العُشْبَ وجاءَ عِوَضاً عَنْهُ بالوَرْد؛
اللَّيْلُ جَعَلَ شُغْلَ النَّهار مَنْسوخاً، انظُرْ إلى العَقْلِ المُضيء صارَ جَماداً؛
ثُمَّ اللَّيْلُ صارَ مَنْسوخاً مِنْ نورِ النَّهار، حتَّى احْتَرَقَ الجمادُ مِنْ اشتِعالِ النَّار؛

رَغْمَ أنَّ الظُّلْمَةَ جاءَتْ ذلِكَ النَّومَ والسُّبات، أَلَيْسَ في داخِلِ الظُّلْمَةِ ماءُ الحياة؛
أَلَيْسَ في داخِلِ تِلْكَ الظُّلْمَةِ تَجَدَّدَتْ عُقولٌ، أَلَيْسَتِ السُّكْتَةُ رَأسَ مالٍ للصَّوت؛
مِنَ الأضْدادِ جاءَتِ الأضْدادُ ظاهِرَةً، في السُّوَيْداءِ خَلَقَ الضِّياء؛
حَرْبُ النَّبيِّ صارَتْ مَدارَ الصُّلْح، صُلْحُ آخِرِ الزَّمانِ مِنْ تِلْكَ الحَرْب؛
مِئاتِ أُلوفِ الرُّؤوس قَطَعَ سالِبُ القُلوبِ ذاكَ، لِيَجِدَ مُجْمَلُ أَهْلِ العالَمِ الأمان؛
البُستانيُّ قَطَعَ الغُصْنَ المُضِرّ مِنَ البُستان، لِيَجِدَ النَّخْلُ القاماتِ والثَّمَر؛
ذو المَعْرِفَةِ يَقْتَلِعُ مِنَ البُستانِ ذلِكَ الحَشيش، لِيُظْهِرَ البُستانُ وثمارُهُ البَهْجَة؛
يَقْلَعُ الأسنانَ الرَّديئَةَ ذلِكَ الطَّبيب، ليُحرِّرَ مِنَ الألَمِ والمَرَضِ الحبيب؛
فالزِّيادَةُ موجودَةٌ داخِلَ النَّقْص، الشُّهَداءُ لَهُم حياةٌ في الفَناء؛
إذا صاروا مَقطوعي الحَلْقِ الطَّاعِمِ للرِّزْق، طابَ لَهُمْ *يُرزَقونَ فَرِحين*؛
حَلْقُ الحَيَوانِ إذا ما قُطِعَ بِعَدْل، زادَ في حَلْقِ الإنسانِ الإحكامُ والفَضْل؛
حَلْقُ الإنسانِ إذا صارَ مَقْطوعاً، انْظُرْ كم يزيدُ واجْعَلْ قياسَ هذا على ذاك؛
حَلْقٌ ثالِثٌ يُوْلَدُ وغِذاؤُهُ، شُرْبَةُ الحَقِّ وأنوارُه؛
حَلْقٌ مَقطوعٌ شَرِبَ شُرْبَةَ الولاء، وحَلْقٌ مِنْ **لا** وَصَلَ مَيْتاً إلى البلاء؛
كفى أيْ قليلَ الهِمَّةِ قَصيرَ البَنان، إلامَ تَطْلُبُ حياةَ الرُّوحِ في الخُبْز؛
مِنْ ذلِكَ أنْتَ كالصَّفصافِ بلا ثَمَرٍ، جَعَلْتَ ماءَ وَجْهِكَ لأجْلِ الخُبْزِ الأبيَض؛
إنْ كانَ روحُ الحِسِّ لا يصْبِرُ عَنِ الخُبْز، امتَلِكِ الكيمياءَ وحوِّلِ النُّحاسَ ذَهَباً؛
إذا كُنْتَ تُريدُ الثَّوبَ مَغْسولاً أي فُلان، لا تَرْجِعْ بالوَجْهِ عَنْ مَحَلَّةِ الغسَّالين؛
رَغْمَ أنَّ هذا الخُبْزَ كَسَرَ صَومَكَ، تَعَلَّقْ بالمَكسورِ وارْقَ؛
لأنَّ المَكْسورَ مَربوطَةٌ يَدُهُ بِرِباط، فَقَدْ صارَ كَسْرُهُ يقيناً رَفْواً؛
إنْ قالَ لَكَ تعالَ وذاكَ الَّذي كَسَرْتَ، اِجْعَلْ صحيحاً وما لَكَ يَدٌ ولا قَدَمٌ؛
الكَسْرُ حَقُّهُ فهُوَ الَّذي، يَعْرِفُ رَفْوَ المَكْسورِ حَقّاً؛

ذاكَ الَّذي يَعْرِفُ الرَّتْقَ يعْرِفُ الخَرْق، وكُلُّ شيءٍ باعَهُ اشترى أحْسَنَ مِنْه؛
جَعَلَ البَيْتَ خراباً أعلاهُ وأسْفَلَهُ، ثُمَّ في ساعَةٍ واحِدَةٍ جَعَلَهُ أكْثَر عَمارَةً؛
إذا قامَ بِقَطْعِ رأسٍ واحِدٍ عَنْ بَدَن، جاءَ بِمِئَةِ ألْفِ رَأسٍ في عَيْنِ الزَّمَن؛
لَو لَمْ يَكُنْ أَمَرَ بالقِصاصِ مِنَ الجُناة، لَوْ لَمْ يَكُنْ قالَ أَنَّ في القِصاصِ حَياة؛
مَنْ كانَ تكونُ لهُ الجُرْأَةُ مِنَ النَّفْس، لِيَضْرِبَ أسيرَ حُكْمِ الحَقِّ بالسَّيْف؛
ذلِكَ أنَّ كُلَّ مَنْ فَتَحَ عَيْنَهُ يَعْلَمُ، أنَّ ذلِكَ القاتِلَ كانَ مُسَخَّراً للتَّقْدير؛
كُلُّ مَنْ وَقَعَ ذلِكَ الحُكْمُ على رَأسِه، ضَرَبَ السَّيْفَ عَيْنَهُ على وَلَدِه؛
رُحْ خائفاً وأقِلَّ الطَّعْنَ على السَّيِّئين، أمامَ شِباكِ الحُكْمِ اِعْرِفْ عَجْزَ نَفْسِك؛

تَعَجُّب آدَم عَلَيْهِ السَّلام مِنْ ضلالَةِ إبليس اللَّعين وإظْهارُهُ العُجْب

نَظَرَتْ عَيْنُ آدَمَ إبليسَ الشَّقِيّ، نَظْرَةً مِنَ الحَقارَةِ والصَّغارَة؛
رأى نَفْسَهُ مُفَضَّلاً ومُعْجَباً بالنَّفْسِ، أطْلَقَ ضُحْكَةً على فِعْلِ إبليسَ اللَّعين؛
جاءَ النِّداءُ مِنْ غَيْرَةِ الحَقِّ أنْ أي صَفيّ، أنتَ غيرُ عالِمٍ بخَفِيِّ الأسرار؛
لَو أنَّهُ جَعَلَ الجِلْدَ مَقلوباً، قَلَعَ الجَبَلَ مِنْ أصْلِهِ وَجَذْرِه؛
مَزَّقَ بُرْدَةَ مِئةِ آدَمَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، وجاءَ بِمِئةِ إبليسَ مُسلِمينَ جُدُداً؛
قالَ آدَمُ لَقَدْ تُبْتُ مِنْ هذا النَّظَر، لَنْ أعودَ للتَّفكيرِ بِمِثْلِ قِلَّةِ الحياءِ هذِهِ؛

يا غياثَ المُستغيثينَ اهْدِنا   لا افتِخارَ بالعُلومِ والغِنى
لا تُزِغْ قَلْباً هَدَيْتَ بالكَرَم   واصْرِفِ السُّوءَ الَّذي خَطَّ القَلَم
اِصْرِفَنْ عَنْ روحِنا سوءَ القَضا   لا تُبَعِّدْنا عَنْ إخوانِ الصَّفا

لَيْسَ أمَرَّ مِنَ فِراقِكَ أيُّ شَيءٍ، مُشكِلٌ بِمُشكِلٍ غَيْرَ مَلاذِكَ كُلُّ شَيْء؛
مَتاعُنا أيضاً قاطِعُ طريقِ متاعِنا، جِسْمُنا نازِعُ الثِّيابِ عَنْ أرواحِنا؛
أيدينا مادامَتْ تأكُلُ أقدامَنا، كيفَ ينجو بالرُّوحِ شَخْصٌ بلا أمانِكَ لنا؛

العَبْدُ ولو نجا بالرُّوحِ مِنْ عَظيمِ الأخطار، يَظَلُّ عُرْضَةً لِلخَوف والإدبار؛

فإنَّ الرُّوحَ ما لمْ تكُنْ للأحِبَّةِ واصِلَةً، تَظَلُّ للأبَدِ مَعَ النَّفْسِ عَمياءَ مُعتِمَةً؛

إذا أنتَ لَمْ تُعْطِ الطَّريقَ لِروحِكَ السَّالِكة، الرُّوحُ الحَيَّةُ مِنْ دونِكَ تصيرُ مَيِّتة؛

إنْ كُنْتَ مُرْسِلَ الطَّعَناتِ لِلعبيد، سَوفَ يَصِلُ ذاكَ إلَيْكَ يا أيُّها المَرَفَّه؛

إذا قُلْتَ للقَمَرِ والشَّمْسِ الجفاء، إذا قُلْتَ لِلسَّروِ قامَتُكَ عَوجاء؛

إذا قُلْتَ لِلْفَلَكِ والعَرْشِ أنتُما حَقيران، إذا قُلْتَ لِلمَنْجَمِ والبَحْرِ أنتُما فقيران؛

ذاكَ بالنِّسْبَةِ إلى كمالِكَ جائزٌ، مُلْكُ الإكمالِ لَكَ على الفانيات؛

فأنْتَ مُطَهَّرٌ مِنَ الخَطَرِ ومِنَ العَدَم، أنتَ للمَعدوماتِ موجِدٌ ومُفْنٍ؛

ذاكَ الَّذي أنمى يَعْرِفُ الحَرْقَ، ذاكَ الَّذي خَرَقَ يَعْرِفُ الرَّتْقَ؛

إنَّهُ في كُلِّ خَريفٍ أحْرَقَ البُستان، ثُمَّ عادَ فأنمى الأورادَ مَصبوغَةً بالألوان؛

أنْ أيَّتُها المَحروقاتُ اطلَعي وكوني جديدَةً، عودي جَميلَة الغِناءِ كوني جَميلَةً؛

أعادَ خَلْقَ عَيْنِ النَّرْجِسِ العَمياءَ مِنْ جَديد، أعادَ حَلْقَ النَّايِ المَقطوعِ للنُّواح؛

وحيثُ كُنَّا مَصنوعِينَ ولسنا صانِعين، لسنا غَيْرَ عاجِزينَ ولسنا غيرَ قانِعين؛

وَنَحْنُ كُلٌّ يصيحُ نَفْسي نَفْسي، إنْ لَمْ تَقُلْ أنَّنا جَميعاً شياطين؛

مِنْ ذلِكَ نَحْنُ مِنَ الشَّيطانِ قَدْ تَحَرَّرْنا، إذِ اشترى روحَنا مِنَ العَمى؛

أنْتَ دليلٌ لِكُلِّ ما بِهِ حياةٌ، بلا عصاً ودليلٍ كيفَ تكونُ حالُ الأعمى؛

كُلُّ شَيءٍ سِواكَ جَميلاً كانَ أمْ قبيحاً، حارِقٌ للإنسانِ وعَينُ النَّار؛

كُلُّ مَنْ اتَّخَذَ مِنَ النَّارِ مَلْجَأً وَظَهيراً، صارَ مَجوسِيَّاً وصارَ أيضاً زَرَدَشْتِيَّاً؛

كُلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ باطِلٌ   إنَّ فَضْلَ اللهِ غَيْمٌ هاطِلٌ

عودَةٌ إلى حِكايَةِ أميرِ المؤمنينَ عليٍّ عَلَيْهِ السّلام ومُسامَحَتُهُ بِدَمِ نَفْسِه

عُدْ مُجَدَّداً إلى عَليّ وسافِكِ دَمِه، وذاكَ الكَرَمِ الزَّائِدِ مِنْهُ مَعَ سافِكِ دَمِه؛
قالَ عَدُوِّيَ باللَّيلِ والنَّهارِ أراهُ، أراهُ عِياناً ولا حِقْدَ لي عَلَيْه؛
ذلِكَ أنَّ مَوتي يجيءُ عَذْباً مِثْلي، مَوتي عَزْفُ قَيثارَةِ البَعْث؛
الموتُ بلا مَوتٍ كانَ لنا حلالاً، العَيْشُ بلا زادٍ كانَ لنا نوالاً؛
ظاهِرُهُ مَوتٌ وفي الباطِنِ حياةٌ، ظاهِرُهُ البَتْرُ وَمَخْفِيُّهُ البقاء؛
الوِلادةُ للجَنينِ في الرَّحِمِ ذهابٌ، وهِيَ في العالَمِ لَهُ تَفَتُّحٌ مِنْ جديد؛
بِما أنَّ عِشْقَ وهَوى الأجَل لي، صارَ *نَهْيُ لا تُلقوا بِأيديكُمْ* لي؛
ذاكَ لأنَّ النَّهْيَ يكونُ عَنْ حَبَّةٍ حُلْوَةٍ، مَتى تكونُ حاجَةٌ للنَّهْيِ عَنِ المُرّ؛
الحَبَّةُ الَّتي تكونُ مُرَّةً لُبّاً وقِشْراً، مَرارَتُها وكراهَتُها في ذاتِها نَهْيُها؛
حَبَّةُ مَوتي صارَتْ عِنْدي عَذْبَةً، *بَلْ هُمْ أحياءٌ* جاءتْ مِنْ أجْلي؛

أُقْتُلوني يا ثِقاتي لائما   إنَّ في قَتْلي حياتي دائما
إنَّ في مَوتي حياتي يا فَتى   كَمْ أُفارِقْ مَوطِني حتَّى مَتى
فِرْقَتي لَوْ لَمْ تَكُنْ في ذا السُّكونْ   لَمْ يَقُلْ *إنَّا إلَيْهِ راجِعون*

الرَّاجِعُ ذاكَ العائدُ إلى الوَطَنْ ، عادَ للوَحْدَةِ مِنْ تَفْريقِ الزَّمَنْ؛

سُقوطُ الجَمَّالِ كُلَّ مَرَّةٍ أمامَ عَلِيٍّ (ع) أنْ أيْ أميرَ المؤمنينَ مِنْ أجْلِ اللهِ اقتُلني وَخَلِّصْني مِنْ هذا القَضاء

مُجَدَّداً عادَ أنْ أيْ عليُّ عَجِّلْ بِقَتْلي، لِئلاّ أرى اللَّحْظَةَ تِلْكَ والوَقْتَ السَّيِّئ؛
جَعَلْتُكَ في حِلٍّ مِنْ دَمي فأرِقْ دَمي، حتَّى لا تَرى عَيني تِلْكَ القِيامَة؛
قُلْتُ لَوْ أنَّ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ دَمي تَصيرُ، خَنْجَراً في كفِّ قاصِدٍ يقصِدُك؛

ما استطاعوا أنْ يقطَعوا مِنْكَ شَعْرَةً واحِدَةً، بِما أنَّ القَلَمَ هكذا خَطَّ لَكَ؛
لكِنْ كُنْ بِلا غَمٍّ فأنا لَكَ الشَّفيعُ، أنا سَيِّدُ روحي لسْتُ مَملوكَ بَدَني؛
لا قيمَةَ عِنْدي تكونُ للبَدَن، أنا الفَتى اِبْنُ الفَتى بلا بَدَن؛
الخَنْجَرُ والسَّيْفُ لي رَيحانٌ، الموتُ زَهْرُ نَرْجِسٍ لي وَحَفْلُ طَرَبٍ؛
ذاكَ الَّذي يسيرُ هكذا مَعَ البَدَن، مَتى يكونُ مِنْهُ حِرْصٌ على إمارَةٍ وخِلافَة؛
سَعْيُهُ الظَّاهِرُ ذاكَ في طَرِيقِ الجاهِ والحُكْم، لِيُظْهِرَ للأُمَراءِ الطَّرِيقَ والحُكْم؛
لِيَهَبَ روحاً أُخْرى للإمارَةِ، لِيَهَبَ الثَّمَرَ لِنَخْل الخِلافَةِ؛

بيان أنَّ طَلَبَ فَتْحِ مَكَّةَ وَغَيْرِ مَكَّةَ مِنَ الرَّسولِ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ جِهَةِ مَحَبَّةِ مُلْكِ الدُّنيا وَقَدْ قالَ أنَّ الدُّنيا جِيْفَةٌ بَلْ كانَ عَنْ أمْر

جُهْدُ النَّبِيِّ بِفَتْحِ مَكَّةَ مِنْ ذلِكَ، مَتى كانَ النَّبيُّ في حُبِّ الدُّنيا مُتَّهَماً؛
ذاكَ الَّذي عَنْ مَخازِنِ السَّمٰواتِ السَّبْعِ، أغْلَقَ القَلْبَ والعَيْنَ يَومَ الاِمتِحان؛
طَلَباً لِلنَّظَرِ إلَيْهِ الحُورُ والأرواحُ، ملأتِ آفاقَ كُلِّ سماءٍ مِنَ السَّمٰواتِ السَّبْعِ؛
زَيَّنَتْ نَفْسَها لِأجْلِه ولكِنْ، مَتى كانَ لَهُ لِغَيْرِ الحَبيب مَيْلٌ؛
صارَ هَكَذا مِنْ إجلالِ الحَقّ مَملوءاً، حتَّى أهْلُ الحَقِّ ما وجدوا إلَيْهِ طريقاً؛
لا يَسَعْ فينا نَبِيٌّ مُرْسَلُ والمَلَكُ والرُّوحُ أيضاً فاعْقِلوا
قالَ لسنا *كالزَّاغِ* نَحْنُ *ما زاغَ*، لسنا سكارى البُستانِ بلْ سَكارى الصَّبَّاغْ؛
مَخازِنُ الأفْلاكِ والعُقولُ جَميعاً، خَسيسةً بَدَتْ لِعَيْنِ الرَّسول؛
فما تَكونُ مَكَّةُ والشَّامُ والعِراق، لِيُظْهِرَ مِنْ أجْلِها الحَرْبَ والاِشْتياق؛
ذلِكَ الظَّنُّ عَنْهُ قامَ بِهِ ضَميرُ سُوءٍ، قامَ بالقِياسِ على جَهْلِ وَحِرْصِ نَفْسِه؛
إذا جَعَلْتَ نِقاباً مِنَ الزُّجاجِ الأصْفَر، فإنَّكَ ترى نُورَ الشَّمْسِ جُمْلَةً أصْفَر؛
فاكْسِرْ ذلِكَ الزُّجاجَ المُعْتِمَ والأصْفَر، لِتَعْرِفَ وَضيعَ الرِّجالِ مِنَ الرَّجُل؛

فقد أثارَ الفارِسُ الغُبارَ عالياً، وَقَدْ ظَنَنْتَ الغُبارَ رَجُلاً حَقّاً؛
رأى إبليسُ طيناً قالَ هذا فَرْعُ طينٍ، كَيفَ يكونُ خيراً مِنّي أنا نارِيُّ الجَبين؛
ما دُمْتَ تَرى أنَّ هؤلاءِ الأعِزَّةَ بَشَر، مِيراثَ إبليسَ اِعْرِفْ ذاكَ النَّظَر؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ وَلَداً لِإبليسَ أي عَنود، كَيْفَ وَصَلَ إلَيْكَ ميراثُ ذلِكَ الكَلْب اللَّدود؛
أنا لَسْتُ كَلْباً أنا أسَدُ الحَقِّ عابِدُ الحَقّ، ذاكَ الَّذي تَحَرَّرَ مِنَ الصُّورَةِ أسَدُ حَقّ؛
باحِثٌ عَنِ الصَّيْدِ والزَّادِ أسَدُ الدُّنيا، باحِثٌ عَنِ الحُرِّيَّةِ والمَوْتِ أسَدُ المَولى؛
لَمَّا رأى داخِلَ المَوتِ مِئَةَ وجود، كما تَفْعَلُ الفَراشَةُ أحْرَقَ الوجود؛
حُبُّ المَوتِ صارَ طَوقاً للصَّادِقين، كانَ اليَهودُ بِهذا الاِمتِحانِ لَحْظَةً مُمْتَحَنين؛
فَقَدْ كانَ قالَ النَّبِيّ لِلقَومِ أي يَهود، إنَّ المَوتَ للصَّادَقينَ كَنْزٌ وَمَنْفَعَةٌ؛
مِثْلَما تكونُ أُمْنِيَّةُ نَيْلِ الرِّبْحِ تِلْكَ، أُمْنيَّةُ نَيْلِ المَوتِ أفْضَلُ مِنْ تِلْكَ؛
أيْ يهودُ مِنْ أجْلِ ناموسِ بني الإنسان، اِجْعَلوا يَجري هذا التَّمَنّي على اللِّسان؛
فَلَمْ يَمْتَلِكْ يَهوديٌّ واحَدٌ هذا القَدْرَ مِنَ الجُرْأة، حينَ رَفَعَ مُحَمَّدٌ هذا العَلَمَ عالياً؛
قالَ لَوْ أجْرَيْتُم هذا على اللِّسان، لَمْ يَبْقَ في العالَمِ يهودِيٌّ واحِدٌ؛
فَحَمَلَ اليَهُودُ المالَ والخِراج، أنْ لا تَقُمْ بِفَضْحِنا أيْ سِراج؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ ظاهِرَةً، أعْطِني يَدَكَ بِما أنَّ عَيْنَكَ رأتِ الحَبيب؛

قَولُ أميرِ المؤمِنينَ علي عَلَيْهِ السَّلام لِقرينِهِ أنْ حَينَ تَفَلْتَ في وَجْهي تَحَرَّكَتْ نَفسي فَلَمْ يَبْقَ إخلاصُ العَمَل، مانِعُ قَتْلِكَ كانَ ذاك

قالَ أميرُ المؤمنينَ لِذلِكَ الشَّابّ، أنَّهُ أثناءَ القِتالِ أيْ شُجاع؛
حينَ قُمْتَ بالتَّفْلِ في وَجْهي، تَحَرَّكَتْ نَفسي وَفَسَدَ طَبْعي؛
صارَ نِصْفٌ هوىً وَنِصْفٌ مِنْ أجْلِ الحَقّ، ولا شَراكَةَ تجوزُ في أمْرِ الحَقّ؛
أنْتَ رَسْمٌ مِنْ يَدِ كَفِّ المَولى، الحَقُّ لَمْ يُعْطِني ذلِكَ الحَقّ؛

ما خَلَقَ الحَقُّ كَسْرُهُ بِأمْرِ الحَقّ، على زُجاجَةِ الحبيبِ اِرْمِ حَجَرَ الحَبيب؛
المَجوسيُّ سَمِعَ هذا وَصارَ لَهُ نورٌ، ظاهِرٌ في القَلْبِ حَتّى مَزَّقَ الزّنّار؛
قالَ أنا كُنْتُ أزْرَعُ بِذْرَةَ الجَفاء، أنا كُنْتُ أظُنُّكَ نَوعاً آخَر؛
أنتَ كُنْتَ لِطَبْعِ الأحَدِ ميزاناً، بَلْ لِكُلِّ ميزانٍ كان كُنْتَ لِساناً؛
أنْتَ كُنْتَ آلِي وأصْلي وَنَسَبي، أنْتَ كُنْتَ ضياءَ شَمْعِ مَذْهَبي؛
أنا غُلامُ ذَلِكَ السِّراجِ الباحِثِ عَنِ العَيْن، مِنْ سِراجِك يَقْتَبِسُ النُّورُ الضِّياء؛
أنا غُلامُ مَوْجِ ذلِكَ البَحْرِ مِنَ النُّور، الَّذي جَعَلَ مِثْلَ هذا الجَوْهَرِ في ظُهور؛
اِعْرِضْ عَلَيَّ تِلْكَ الشَّهادَةَ، فأنا رأيْتُكَ فَخْرَ الزَّمَن؛
خَمْسونَ شَخْصاً مِنْ أهْلِه وقَومِه، عاشِقينَ للدِّينِ الجَديدِ وَجَّهوا الوَجْه؛
هُوَ بِسَيْفِ الحِلْمِ كَمْ مِنْ حَلْقٍ، اشترى مِنَ السّيْفِ وكَمْ مِنْ خَلْق؛
سَيْفُ الحِلْمِ مِنْ سَيْفِ الحَديدِ أحَدُّ، بَلْ مِنْ مِئةِ جَيْشٍ مُظَفَّرٍ أَشَدُّ؛

خاتِمَةُ الكِتابِ الأوَّل

أسَفا أكَلْتَ لُقْمَةً أوْ لُقْمَتَين، جَيَشانُ فِكْرِكَ مِنْ ذلِكَ خَمَدَ؛
قَمْحَةٌ كَسَفَتْ شَمْسَ آدم، ذَنَبُ الشَّعْشاعِ خَسَفَ بَدْراً؛
هاكَ لُطْفَ قَلْبٍ يَجْعَلُ مِنْ حَفْنَةِ تُرابٍ، قَمَراً يقودُ فِرْقَةَ الثُّرَيا؛
الخُبْزُ إذْ كانَ مَعْنىً كانَ أكْلُهُ نافِعاً، ولَمَّا صارَ صُورَةً أثارَ جُحوداً؛
كالشَّوكِ الأخْضَرِ يأكُلُهُ البَعير، يَحْصَلُ مِنْ أكْلِه على مِئةِ لَذَّةٍ ونَفْع؛
فإذا ذَهَبَتْ خُضْرَتُهُ وَصارَ يابِساً، كعَيْنِ ذاكَ الَّذي رَعى الجَمَلُ في الصَّحْراء؛
شَقَّ الحَنَكَ والشَّفَةَ أي أَسَفاً، أنَّ مِثْلَ ذاكَ الوَرْدِ المُرَبَّى صارَ جِراباً؛
الخُبْزُ كانَ مَعْنىً كالشَّوكِ الأخْضَرِ، الآنَ هُوَ صُورَةً ويابِسٌ وقاسٍ؛
وأنتَ بِعادَةِ كَوْنِكَ كُنْتَ تأكُلُهُ، مِنْ قَبْلِ هذا أيُّها الوجودُ المُنَعَّم؛

تأكُلُ هذا الجافَّ على العَبيرِ ذاتِهِ، مِنْ ذلِكَ كانَ مَزَجُكَ المَعْنى والثَّرى؛
صارَ مَزْجَ تُرابٍ ويابِساً وَيَشُقُّ اللَّحْمَ، فاحْتَرِزْ الآنَ مِنْ ذلِكَ العُشْبِ أي جَمَل؛
يَخْرُجُ الحَديثُ مِنّي صَعْباً مَمزوجاً بالتُّراب، صارَ الماءُ عَكِراً فاكْبِسِ البِئر؛
لِيَجْعَلَهُ اللهُ مِنْ جَديدٍ صافياً وَعَذْباً، فهُوَ جَعَلَهُ كَدِراً وَهوَ أيضاً جَعَلَهُ صافياً؛
الصَّبْرُ لا السُّرْعَةُ يأتي بالمُراد   اِصْبِرَنْ واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب

تَمَّ المُجَلَّدُ الأوَّل مِنَ المَثْنوي المَعْنَوي